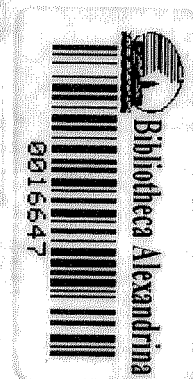


آية الله جوادى آملى

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع)

والقرآن الحكيم



عَلِيٌّ بْنُ مُوَيْتِيٍّ رَضِيَ
وَالْقَابِلَاتُ الْحَكَمُ



آيَةُ اللَّهِ جَوَادِيَّ آمَلِيَّ

عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع)

وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ

دَارُ الصِّفْوَةِ
بَيْتُوت - بَنَان

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

بيروت - بئر العبد - الصوبرة - مقابل ستر داعر - بناية دياب مهدي

Tel: 823518 - 822167 - 601002

Fax. 009611601019

P.o. Box: 36/24

ت: ٨٢٣٥١٨ - ٨٢٢١٦٧ - ٦٠١٠٠٢

فاكس: ٠٠٩٦١١٦٠١٠١٩

ص.ب: ٢٤ / ٦٣



مقدمة

الحمد لله الذى حمد في الكتاب نفسه وافتتح بالحمد كتابه وجعل الحمد آخر دعوى اهل جنته وصلى الله على من جعل لواء الحمد بيده وبعثه مقاما محمودا وعلى عترته الذين بهم يبين القرآن اذ عطفوا الهوى على الهدى حين عطف الناس الهدى على الهوى. واللعن على اعدائهم اجمعين من الآن الى يوم الدين. وبعد: فيقول العبد المفتاق الى مولاه الجواد عبدالله الجوادى الطبرى الاملى: هذه وجيزة حول القرآن الحكيم من وجهة نظر مولينا ثامن الحجج على ابن موسى الرضا عليها السلام رحبنا بالمشروع مهدفا استبانة مقامه السامى بها فى ضوء القرآن الكريم وان يبين معارفه الراقية ببيان القرآن الناطق، حيث ان مستقاهما واحد، كما وان مسيرتهما ومنتهاهما ومعيتهما بالحق فارده فلن يفترقا ابدا ونهايتهما. حررتها للمؤتمر العالمى الثانى المنعقد بمناسبة ذكرى ميلاده (ع) ١١ ذى القعدة الحرام عام ١٤٠٦ فى جوار روضته المغسوسة بطوبى المعرفة التى «تسوق اكلها كل حين باذن ربها». ونظمتها فى روضة وجنان:

اما الروضة: فليبان مايتصل الى القرآن الكريم بالذات .

واما الجنان: فهى لبيان شرائط معرفة القرآن والموانع عنها وكذا بيان

٦ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

المعارف المستفادة من القرآن، مقتصرًا في ذلك كله على ما صدر عن مولينا
الرضا (ع) عدا مواضع خاصه. وقد حان الآن الغوص في هذا البحر اللجج
معتمداً عليه سبحانه وثقةً به تعالى ومسانداً اليه ومسلماً له راجياً ان يكون فيضه
سبحانه قلبي الذي به اعقل ولساني الذي به انطق وبصري التي بها أبصُرُ
وسمعي التي بها اسمع ويدي التي بها اكتب، ناثباً في ذلك كله عن بقية الله
- ارواح من سواه فداه- مهديا ثواب هذه النيابة الى اهل بيت الوحي
والعصمة (ع) الذين هم اولى بحسناتنا منا اذ بولايتهم إكتمل نصاب ديننا
وتمت نعمة ربنا ورضى الله الاسلام لنا ديناً فهولاء السادة القادة (ع) اولى بنا
من انفسنا فضلاً عن حسناتنا، لان الاحسن من الحسنة هو فاعلها حيث انها
اثر منه والموثر افضل وجوداً من لإثره، كما اوعز اليه امير المؤمنين (ع) بكلمته:

خير من الخير فاعله^١

الفصل الاول

روضة: في العلوم التي تحوم حول القرآن نفسه

ان القرآن له وجود علمي ووجود عيني لم يفترقا قط ولن يفترقا بعد وكانا لدى الله سبحانه نورا واحدا صدرا من عنده تعالى، بان ارسل وجوده العيني وانزل معه وجوده العلمي لا «ليقوم الناس بالقسط»^١ فقط وليس الا، بل ليخرجوا «من الظلمات الى النور»^٢ ذاتا وصفةً وفعلا.

فتحقيق المقال في مقامين: احدهما حول القرآن العلمي والاخر حول القرآن العيني، فنقول:

المقام الاول: حول القرآن العلمي

ان القرآن كلام الله سبحانه وكتابه الذي تجلى لعباده فيه من غير ان يكونوا رأوه^٣ وحبل الله المتصل به تعالى الذي امر الناس بالاعتصام به^٤ فله طرفان احدهما بيد الله سبحانه والطرف الآخر بايدى الناس وله مراتب بعضها فوق بعض يتنزل من عال الى دان بالحق نزولا^٥ ويترقى من دان الى عال

١ - الحديد / ٢٥.

٢ - ابراهيم / ٥.

٣ - نهج البلاغة.

٤ - واعتصموا بحبل الله جميعا - آل عمران / ١٠٣.

٥ - بالحق انزلناه وبالحق نزل - بني اسرائيل (الاسراء) / ١٠٥.

٨ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

كذلك صعودا كما قال سبحانه:

انا جعلناه قرآنا لعربا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب
لعلى حكيم^١.

والمراتب الوسطى التى هى بين عالم الطبيعى وكسوة اللفظ وبين عالم
العقل والتجرد التام المعبر عنه بقوله تعالى =ام الكتاب=
صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بايدى سفرة، كرام بررة^٢.

وحيث انه من مبتدأ ظهوره وصدوره حتى منتهى نزوله
وهبوطه مصاحب الحق ومحفوظ به فطبعى ان لا يتطرق الضلال من
بين يديه ولا من خلفه ولا يتسرب اليه البطلان من يمينه ولا شماله، كما قال
قائله - سبحانه -:

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا. الا من ارتضى من رسول فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. ليعلم ان قد ابغوا رسالات ربه واحاط
بما لديهم واحصى كل شئ عددا^٣.

اذأ فهو معصوم عن الجهل والخطا حدوثا ومصون عن الضلال والبطلان
بقاءً، وهو الحق لاغير، وما ذا بعد الحق الا الضلال فالتقدم عليه كالتأخر عنه
ضلالة والانحراف عنه الى اليمين كالانحراف عنه الى الشمال مضلة، اذ الجادة
هى الوسطى لا جانبها والصراط هو سبيل القصد لا حاشيتها.
واليك بعض ما عن مولانا الرضا (ع) فى ذلك كمايلي:

قال الريان بن الصلت للرضا (ع) : ما تقول فى القرآن؟ فقال (ع) : كلام

١- الزخرف / ٤ - ٣.

٢- عبس / ١٢ - ١٦.

٣- الجن / ٢٨ - ٢٦.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٩

الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا^١.

يعنى الامام (ع): ان القرآن كلام الله وظهور فعله، فهو دون الذات المتكلم به وآية له فلا يصح التجاوز عن حده الوجودى كما انه هدى للناس وبصائر من الله فلا يجوز التعدى عنه وطلب الهدى والبصيرة في غيره، ولذا قال (ع) في شأنه:

هو جبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلى المودى الى الجنة والمنجى من النار لا يخلق على الازمنة ولا يغت على اللسنة لانه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان والحجة على كل انسان لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد^٢.

فالقرآن حتى لا يطرئه الموت والوبار كما وانه حق لا يقتربه البطلان، لانه المظهر التام لله سبحانه الذى هو حياة لاموتة فيها وحق لا يحوم حوله البطلان لانه تعالى لم ينزله لزمان دون زمان ولا لاناس دون اناس فهو فى كل زمن جديد عند كل قوم، غصص الى يوم القيمة^٣.

والعامل الأساسى فى خلود حياته عدا ماتقدم من كونه مظهراً ومجلى للحق الذى لا يموت من ناحية مبدئه الفاعلى، هو كونه موافقاً لصميم الفطرة الانسانية وهادياً لها مزيكياً اياها من حيث مبدئه القابلى كما وان الفطرة طالبة ومسوقة اياه مشتاقة له بلا تبديل ولا تغيير، كما قال فاطرها تعالى:

.... فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم^٤

١- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠٧/١، عن التوحيد ٢٢٣ والامالى ٢٢٦.

٢- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠٩/١، عن عون الاخبار ١٣٠/٢.

٣- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠٩/١، عن عيون الاخبار ٨٧/٢.

٤- الروم / ٣٠.

١٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وحيث إنّ الرسالة العامة ضرورية لا محيص عنها، كما قال سبحانه:
ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا^١.

وقال سبحانه:

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان
الله عزيزا حكيمًا^٢.

وقال تعالى:

انما انت منذر ولكل قوم هاد^٣.

وقال سبحانه:

ولو انا اهلكناهم بعدذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتنع
آياتك من قبل ان نذل ونغزى^٤.

وقال تعالى:

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم
البينة، رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة^٥.

الى غير ذلك من الآيات الدالة على ضرورة النبوة وتداومها، وان ذلك
سنة الهية لا تجدها تحويلا ولا تبديلا وانه ليس لشيء من الاستكبار
والاستهزاء وقتل الانبياء واضطهادهم ونحو ذلك ان يمسك فيضه سبحانه ويمانع
عن ارسال الرسل ويذر الناس على حالهم بلا حجة، كما قال سبحانه:
افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي

١ - الاسراء/١٥.

٢ - النساء/١٦٥.

٣ - الرعد/٧.

٤ - طه/١٣٤.

٥ - البينة/٣ - ١.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١١

في الأولين وماياتهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن^١.

وقد ثبت بالنص القطعي انه لاني بعد رسول الله (ص)، ولا كتاب بعد القرآن، وقد ارتحل الرسول العظيم (ص) بشخصه، حيث انه ميت ونحن ميتون وماجعل الله لبشر من قبله الخلد بل جعل كل نفس ذائقه الموت فلوجاز- والحال هذه- تطرق البطلان الى القرآن وتسرب الضلال الى محتواه ونفوذ التحريف الى شىء من معارفه لزم انقراض النبوة من رأس، وانقطاع الرسالة من اصل، مع انها ضرورية التحقق دائما كما مرمسقا. وهذا هو البرهان العفلى على صيانة القرآن الكريم عن التحريف. ويمكن استنباطه ايضا من بيان مولينا الرضا (ع) في كلمته:

... لانه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان والحجة على كل انسان لاياته الباطل من بين يديه ولا من خلفه...^٢

فلو امكن زواله بنفسه من ناحية فقدان المقتضى للبقاء بأن لا يكون صالحا له ورافعا لمشاكل الحياة الانسانية ومجيبا للشبهات العلمية وهاديا الى ما هو المقصد الأسنى الالهى، او أمكن زواله من ناحية وجود المانع عن البقاء بالدس والتصحيف والتحريف وما الى ذلك لما كان حبلا متينا وعروة وثقى سببا افاده (ع) بل كان حبلا موهونا وعروة مفصومة لامتانة ولا وثاقة لها اما لسبب في دخيلته هي فقد اقتضاء البقاء او لسبب خارج هو وجود المانع عن التخليد. كما وانه لو كان القرآن كذلك - اى لم يكن صالحا للبقاء الابدى، اما لفقد اقتضاء الخلود واما لوجود المانع عن التأييد- لما كان نورا ظاهرا على

١- الزخرف / ٥.

٢- فصلت / ٤٢.

١٢..... المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

الأديان كلها ولو كره المشركون، بل كان نورا ضعيفا منطمساً بنفسه او مطموسا بعاصفة الشرك وزوبعة الكفر ولو كره المؤمنون والتلازم بين و بطلان التالى كما متناع المقدم واضح حسباً افاده الله المتكلم بهذا الكلام سبحانه حيث قال -عزمن قائل- فى غيرمورد:

يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون^١.

يعنى تعالى ان النور الإلهى الذى من اجلى مصاديقه القرآن الكريم كما قال سبحانه:

يا ايها الناس قد جئكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبيناً^٢.

ابدى البقاء ببقاء الله، وذلك لوجود اقتضاء الخلود لأن الله الذى انزله يتمه و يمه ويمسكه ويفيض عليه فيض وجوده ويسلب المنع عنه، لأن أفواه الشرك والنفاق والكفر والعناد غير قادرة على اطفائه نهائيا لا بالقاء الشبهات واطراح المتشابهات ولا بإتيان المثليل وایجاد النظر، لعجزهم عن كل ذلك بتاتا كما قال سبحانه:

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^٣.

فاية شبهة او اى شبيهه اطرحتها المشركون او اتى به كفره الانس والجن

١ - النوبة / ٣٣ - ٣٢.

٢ - النساء / ١٧٤.

٣ - الاسراء / ٨٨.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٣

يلقعه القرآن الكريم ويحطمه ويبقى وحده لا شريك له وبما أن العلة التامة لبقائه متحققة فإن بقاءه يكسبون ضروريا وزواله ممتنعا، كما قال سبحانه:

..... وأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد^١.

و حيث انه موجود ممكن وكل ممكن فهو صلة وربط محض وفقر صرف الى قومه المستقل المحض الغنى - باكمل معنى كلمته - اذاً فلا يكون خلوده بل شأن من شئونه ذاتيا بل تبعا فيكون دوامه بادامة متكلمه المتجلى للناس فيه وبقائه بابقاء الله الذى انزله فلذا قال سبحانه:

إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون^٢

اى يكون احتفاظه فى عالم الطبيعية بايدى الناس مسانداً اليه سبحانه لا بالذات، كما وأنه محتفظ ايضا فى اللوح المحفوظ عن اى تغير طبيعى بحفظ الله الذى هو الحفيظ بالذات.

والسرفيه هو ان مقتضى التوحيد ان يكون وجود اى شىء وظهوره مسانداً الى الهوية البحتة المطلقة بمعنى كلمتها حتى عن قيد الاطلاق الذى يقابل التقييد، ولذلك قال مولينا الرضا (ع) فى جواب سؤال ابن الصلت عن رأيه فى القرآن: «كلام الله لا تتجاوزوه...» اى لا تتجاوزوا عن حده الوجودى ولا تعدوا عنه إذا الكلام قائم بمتكلمه باق ببقائه فالقرآن قائم بمتكلمه ودائم بدوامه لا بذاته.

١- فصلت / ٤٢ - ٤١.

٢- الحجر / ٩.

تنبيه:

ان الذى اسلفناه لايثبت ازيد من ضرورة بقاء القرآن وخلوده واما ازدياد
غضاظته ومزيد نصارته فى كل عصر وعند كل جيل بالنشر والدراسة المراس
فهذا لما لا يدلل به ماقدمناه. والذى يدل عليه هو ان رقى العلم وحاجة الناس
الى المعارف العميقة يوجب استعدادا خاصا راقيا لاقتراح مسائل غضة لم تكن
مسيبقة فى الاعصار الغابرة، وبما أن السؤال بلسان الاستعداد يلزم الجواب،
ضرورة ان المبدء الجواد «دائم الفضل على البرية» كما افاد سبحانه
وأناكم من كل ما سألتموه!

فلا بد وان يكون القرآن الذى هو المرجع الفريد لكافة الناس ابديا دون
غيره من الكتب كافلا لجميع ما يحوج اليه الانسان من المسائل والمشاكل. ولما
كانت الاسئلة حادثة كانت الاجوبة بطبيعتها - جديدة ناضرة طرية فالقرآن
وان شبه فى بعض النصوص بالشمس والقمر الا انه من الجانب المبحوث عنه
كالعين النضاخة والكوثر الفوار الذى ينبع منه كل يوم ماء طرى يظهر بعد
ابطانه فكما ان اصل نظام الكون من السموات والارض كذلك بالنسبة اليه
سبحانه بمعنى انه يسئله كل موجود فى كل لحظة وآونه ويحييه تعالى بافاضة
بعدافاضة فى كل حين وقد جمع بين هذين الامرين اى السؤال المستمر والجواب
المواصل الدائم قوله تعالى:

يسئله من فى السموات والارض كل يوم هوفى شأن^١.

١ - ابراهيم / ٣٤.

٢ - الرحمن / ٢٩.

على بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم ١٥

هكذا - بالذات - المجتمع البشرى فى ساحة القرآن الكريم، اى ان كل
مدارسة وحوار فانها تواجه سؤالاً جديداً ويستوجب - بطبعته - جواباً طرياً يانعا
لم يعهد من سابق فينبع ويشتر من كثر القرآن مطلب غض غير مستبق .
وهذا اصل عقلى يؤيده النقل فى غير مورد كما نقرئه فى مثل:
... يا من لا تزيد كثره العطاء الاجودا وكرما^١.
فان فضلك لا يفيض وان خزائلك لا تنقص بل تفيض^٢.

لانه يعنى ازدياد الجود بكل عطية وسخاء لانه لا ينفذ فقط، والفارق بين
عدم النفاذ بالاعطاء وبين ازدياد الجود والكرم بكل عطاء وافاضة جلى ببن
وهذا المعنى المعقول المؤيد بالمنقول هو المستفاد مما نقله مولينا الرضا (ع) عن ابيه
موسى بن جعفر (ع) والحديث كالتالى:

ان رجلا سال ابا عبد الله (ع) ما بال القرآن لا يزداد عند النسر والدراسة الا
غضاضة؟ فقال: لان الله لم ينرله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو فى
كل زمان جديد وعند كل قوم غض الى يوم القيمة^٣.

لدلالته على انه غض فى كل عصر لانه باق فحسب كالحجر المتكثل
المتركد بل نابع كالكوثر النضاح فهو كل يوم فى شأن جديد ولا يشغله شأن عن
شأن لانه مظهر تام للمتكلم الذى بصفته كذلك بالذات فلا بد وان يكون مثالا
للظاهر فيه وآية تامة له تعالى فى هذه الجهة.

ثم ان فضيلة هذا الكلام السامى توجب ان تكون ظروفه الزمانية
والمكانية التى تحقق فيها هى ايضا افضل الظروف. ولذلك نقرء عنه انه نزل فى

١- دعاء الافتتاح. ٢- الصحيفة السجادية، دعاء وداع شهر رمضان.

٣- مسند الامام الرضا (ع) ١/٣٠٩، عن عيون الاخبار ٢/٨٧.

١٦ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

ليلة مباركة هي خير من الف شهر^١ وفي جوار «أول بيت وضع للناس» وكفى في شرف ذلك البيت انتسابه الى الله المنزه عن المكانية المبرء عن التزمن وما اليهما حيث قال تعالى:

...طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود^٢

وبنفس العلة توجب ان يكون مهبط نزوله قلبا هو خير القلوب لكونه صادقا امينا لا يكذب ما يرى ولا يخون ما وُثِّقَ، كما قال سبحانه: «ما كذب الفؤاد ما رأى»^٣، بلا خصيصة له بما شاهده في المعراج، كما وان لسان غير واحد من الانبياء هو:

... اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون^٤

فلا مجال لكذبه (ص) فيما نزل به الروح الامين على قلبه، كما لامورد لحياته، اذاً، فجميع ما ينزل في قلبه غيب الهى انبائه الله به وليس هو (ص) على شئ من الغيب بضنين حتى يكتم ما وحي اليه، كما ان جميع ما ينطق - مما يرجع الى الدين - وحي الهى، فهو (ص) لا يكتم شيئاً مما امر بابلاغه كما لا ينطق بشئ لم يوح اليه، وعليه يكون القرآن وحياً محضاً لا يحوم حوله الريب اصلاً، لذلك فلا تصح لممارسة فيما رأى فواده ونطق لسانه كما قال سبحانه:

افتمارونه على ما يرى^٥

اذا لشاهد يرى ما لا يراه الغائب، والرسول يسمع ما لا يسمعه غيره فلا يجوز المراء فيما شاهده معاينة وأخبر الناس به وهذا هو الذي يفيدنا كلمة مولينا الرضا (ع):

١ - القدر / ٣ - ١.

٢ - البقرة / ١٢٥.

٣ - النجم / ١١.

٤ - الشعراء / ١٠٧.

٥ - النجم / ١٢.

١٧ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

المراء في كتاب الله كفراً.

لان الجدال في الحق المحض بعدما تبين رشده عن غبيّ مقابله كفر له
والحاد عنه، اذ ماذا بعد الحق الا الضلال، فلذا قال (ع): ولا تطلبوا الهدى
في غيره فتضلوا.

تذكّرة. ان للقرآن من حيث نفسه علوما جمة لا مجال للبحث عنها هنا، لأن
هدفنا ليس الا التعرض لخصوص ما وصل اليها من النصوص الرضوية. على من
صدع بها وافاضها آلاف السلام والتحية - مع أنّ لنا رسالة اخرى حول تلك
العلوم القرآنية قنابها حسب الطاقة الضعيفة والبضاعة المزجاة وعليه فلا وجه
للتكرار، ولذلك نعطف المقال عن هذا المقام الباحث حول القرآن العلمي الى
المقام الباحث حول القرآن العيني بمايلي.

المقام الثاني: فيما يتصل بالقرآن العيني

ان للشيء وجوداً اعتبارياً ووجوداً حقيقياً (اما الاول) فكالوجود اللفظي
والكتبي للاشياء حيث إنه يختلف باختلاف اللغات والامم ونحو ذلك. (واما
الثاني) فكالوجود الخارجي الاعم من الطبيعي والمثالي والعقلي لأنه لا يختلف
باختلاف الألسن والألوان والملل وما الى ذلك ولكل واحد من الوجودين
- الاعتباري والحقيقي - حكم يخصه كما ان لكل قسم من اقسام النوعين ايضاً
حكماً يختص به واثراً يترتب عليه والقرآن - ايضاً - له وجود لفظي يتلى باللسن
ووجود كتبي يضبط في المصاحف، ولكل منها حكم فقهي وغير فقهي يخصه.
كما وان له ايضاً وجوداً خارجياً، من فضاء الطبيعة الى عنان عالم العقل يتحقق

١- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠٧/١، عن تفسير العياشي ٨/١.

كل من ذلك في موطنه وله حكم يخصه.

وحيث ان المراد من الوجود الخارجى هو الوجود الحقيقى المترتب عليه الآثار سواء أكان في موطن النفس الانسانية كالعلوم والافصاف النفسانية او في موطن آخر فلا بد وان يكون الوجود الخارجى لكل شىء بحسبه، مثلا ان للشجر وجودا خارجيا وللعلم ايضا وجودا خارجيا والممايز بينهما هو أن العلم أمر خارجى يتحقق في موطن النفس الانسانية وراء الوجود الذهنى المقابل للوجود الخارجى الفاقد لأى اثر عبنى، وان الشجر امر خارجى متحقق في الخارج عن النفس.

وبما أن القرآن مشتمل على العقائد والاخلاق والاعمال وكل ذلك متعلق بالانسان بحيث لولا الانسان لما كان للعقيدة وجود ولا للخلق تحقق ولا للعمل بالقرآن حصول ومعنى، وعليه فالوجود الخارجى لمضامين القرآن انما يتحصل في موطن النفس الانسانية التى هى في وحدتها كل القوى المدركة والمحركة فن علم بظاهر القرآن وباطنه وعرف تفسيره وتاويله واطلع على متشابهه ومحكمه ورّد المتشابه منه الى محكمه وعمل بعزائمه وفرائضه وبسننه ورخصه وكان مؤمنا بجميع حكمه واحكامه معتقدا بأن كله من عند الله فهو القرآن الناطق، اى القرآن التكوينى المتحقق خارجا كالعتره الطاهرة (سلام الله عليهم اجمعين) لأن علوم القرآن ومعارفه قد تحققت في نفوسهم الشريفة اذا لايان قد خالطهم من القرن حتى القدم، فالانسان الكامل - اى الامام المعصوم (ع) - قرآن ممثل، كما وانه صراط مستقيم وميزان قسط، كل ذلك على منهج الحق لا المجاز.

ويشهد لذلك ما رواه مولينا الرضا (ع) عن آبائه (ع) عن الحسين بن

على (ع) انه قال:

اتفق في بعض سنى اميرالمومنين (صلوات الله عليه) الجمعة والغدير

فصعد المنبر... فحمد الله وأثنى عليه حمدا لم يسمع بمثله وأثنى عليه ثناء لم يتوجه اليه غيره فكان مما حفظ من ذلك قوله، الحمد لله الذي جعل الحمد من غير حاجة منه الى حامديه طريقا من طرق الاعتراف بلاهويته وصمدانيته وربانيته... هذا يوم النصوص على اهل الخصوص هذا يوم تبيت هذا يوم ادريس هذا يوم يوشع هذا يوم الأمن المأمون هذا يوم اظهار المصون من المكنون هذا يوم ابلاء السرائر- الى ان قال (ع)-: «أفتدرون الاستكبار ما هو هوترك الطاعة لمن امروا بطاعته والترفع على من ندبوا الى متابعتة والقرآن ينطق من هذاعن كثير ان تدبره متدبر. واعلموا انها المؤمنون ان الله عزوجل قال: «ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص». أتدرون ماسبيل الله ومن سبيله ومن صراط الله ومن طريقه. انا صراط الله الذي من لم يسلكه بطاعة الله فيه هوى به الى النار، وانا سبيله الذي نصبتى للاتباع بعد نبيه، انا قسم الجنة والنار، وانا حجة الله عزوجل على الفجار والابرار، وانا نور الانوار، فانتبهوا من رقدة الغفلة وبادروا بالعمل قبل حلول الاجل... الحديث^١.

نلاحظ: انه (ع) عرّف نفسه النفيس بالصراط والسبيل، يعنى (ع) ان الصراط العلمى هو الدين الالهى والصراط العينى هو الامام المعصوم (ع)، وهكذا في غيره من المعارف كالميزان القسط، حسبها ورد في نصوص اخر. والسرفى ذلك هو ان الحركة والمسافة والمتحرك في الحركة الجوهرية متحدة في العين وان كانت حسب تحلل الذهن متغايرة، والانسان وان كان نوعا اخيرا عند الجمهور لكنه نوع متوسط تحته انواع حقيقية كثيرة عند اصحاب الحكمة المتعالية، فالنفس في بادى الامر بمنزلة المادة للكمالات الوجودية فاذا رسخت تلك الكمالات فيها وصارت ملكة تصورت تلك النفس بها وصارت اياها حقيقة بعد ما كانت مستعدة لها واجدة اياها بالقوة.

٢٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

والانسان سالك بكل وجوده وذاته الى الله سبحانه وكادح اليه فيلاقيه
كما قال سبحانه:

يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلاقه^١.

فان سار على الصراط المستقيم وانتحاه وصار صراطا مستقيما فهو يلاق
جمال رحمة ربه، كما قال تعالى:

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة^٢،

وان انحرف عنه وبناء عوجا وصار بنفسه سبيلا غيا ووقودا للنار او حطبا
لها فطبيعي ان يلاق جلال قهر ربه، كما قال سبحانه: حاكيا عن هولاء الذين
ينادون من مكان بعيد^٣. ربنا ابصرنا وسمعنا^٤.
مع انهم يحشرون عُمياً. كما قال تعالى:
ونحشرهم يوم القيمة اعمى^٥.

لانهم اعمى عن مشاهدة الجمال والرحمة لاعتن شهود الجلال والقهر
(تدبر).

وحيث إنّ القرآن صراط مستقيم يسير عليه السالك فاذا تلاه حق تلاوته
وأمن بجميع ما فيه وعرف ذلك كله وعمل به ولم يخس منه شيئا يصير هو بذاته
صراطا مستقيما وميزانا قسطا يوزن بعقيدته عقائد الناس وبخلقه العظيم اخلاق
الناس وباعماله الصالحة اعمال الناس، فهو القرآن الممثل بجميع ما فيه
من المعارف فيصير قرانا عينيا تجاه القرآن العلمي ولا ينفك عنه، كما لم يفترق
القرآن العلمي عنه ابدا. فالمعية - المتسالم عليها بين القرآن والعترة - تكون حقيقة

١- الانشقاق / ٦.

٢- القيامة / ٢٣ - ٢٢.

٤- فصلت / ٤٤.

٥- طه / ١٢٤.

٣- السجدة / ١٢.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٢١

ذات مراتب حذاء مراتب الوجود الخارجى، فى عالم الطبيعة بنحو تقضيه الكثرة العينية ويستلزمها. وفى عالم المثال ايضا على كيفية مقتضاها، لكن بلا تراحم مادى وتطارد عيني وفى عالم العقل والتجرد التام على نحو يقتضى الوحدة العينية ويلازمها وان كان التباير التحليلي من حفظا مادام هناك ذهن ومفهوم وتحليل مفهوى او ماهوى.

ولعله الى ذلك يوعز الامام الصادق (ع) حين سئله المفضل بن عمر عن الصراط فقال (ع):

هو الطريق الى معرفة الله - عزوجل - وهما صراطان صراط فى الدنيا وصراط فى الآخرة واما الصراط الذى فى الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه فى الدنيا واقتدى بهداه مرعلى الصراط الذى هو جسرهم فى الآخرة ومن لم يعرفه فى الدنيا زلت قدمه عن الصراط فى الآخرة فتردى فى نار جهنم^١.

وبما ان القرآن كلام الهى مصون عن تعرض الشيطان فى شئ منه بالزيادة او النقص او التصحيف او التحريف على ما مر مسبقا، وعليه فاذا تكلم السالك الى الله به وباشره بروحه وجسمه قلبا وقالبا ولم ينفك عن هداية ولم يعطف هداية على هوى نفسه بل عاكسه وعطف هواه على هداية يصير هو بنفسه قرآنا ممتلا مصونا عن وسوسة الشيطان وترادده فلا يطعم فيه بالضلالة ولا بالغواية ولا باتباع الهوى ولا بالزيف والطفى، وهذا هو المستفاد مما رواه مولينا الرضا (ع) عن آبائه المعصومين (ع) انه قال النبى (ص) لعلى (ع):

ما سلكت طريقا ولا فتجا الا سلك الشيطان غير طريقك وفتجك^٢.

وحيث ان اهتداء الله سبحانه بذاته وهدايته لغيره من اوصافه الفعلية

١ - معانى الاخبار، باب معنى الصراط.

٢ - عيون اخبار الرضا (ع) ١/٦٤.

٢٢ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

وكل صفة فعلية فإنما ينتزع من مقام الفعل المستند الى الذات لامن نفس الذات فلا بد للهداية - اذاً - من مظهر خارجي ، فكما ان القرآن الكريم مظهر لله سبحانه في هذين الاسمين - اى كونه مهتديا بنفسه وهاديا لغيره - كذلك الانسان الكامل المعصوم (ع) العالم به والعالم بمقتضاه مظهر لله سبحانه في دينك الاسمين وهذا هو المفاد من حديث مولينا الرضا (ع) في الامامة حيث قال (ع):

ان الانبياء والائمة (صلوات الله عليهم) يوفقههم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتاه غيرهم فيكون علمهم فوق علم اهل الزمان في قوله تعالى: افن يهدي الى الحق احق ان يتبع أمّن لا يهدي الا ان يهدي فالكف كيف تحكمون.^١

يعنى ان الانسان المتكامل المعصوم (ع) مهتد بنفسه لاجابة له الى هداية غيره من اتى موجود إمكانى آخر ، وذلك لانه مظهر تام لله الذى فعله هونفس الصراط المستقيم ، كما قال:

... ان رقى على صراط مستقيم.^٢

فلا ينتزع الاهتداء الا من متن فعله الخارجى بلا حاجة الى هداية غيره فهو الحرى بان يكون هاديا لغيره ، فن عد المعصوم (ع) بحاجة فى هداية اليه كما وان جميع الكتب التى دونتها ايدى الناس للهداية الى الحق بحاجة ماسة الى كتاب الله سبحانه لانه المظهر لله ، المهتدى بالذات ، الهادى لاسواه . فالقرآن العيني كالقرآن العلمى - ذاتاً - مظهر له تعالى فى هذين الاسمين . والسر هو ما تمسبها من أنّ الانسان الكامل قرآن ممثل ، كما ان القرآن انسان كامل

١ - يونس / ٣٥ .

٢ - هود / ٥٦ .

على بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن الحكيم ٢٣

مدون.

وبما أنّ الشفاء ومقابلته من الاوصاف الفعلية لله سبحانه وينتزع من مقام فعله لا من الذات لتعالیه عن ذلك فمن الممكن ان يكون فعل واحد خارجي نوراً لقوم وعمى لآخرين او شفاء لطائفة وسقماً لآخرى، بلا محذور في الجمع بينهما، لتعدد الاضافة. لذلك فقد ورد في حق القرآن العلمي انه نور لبعض وعمى لبعض آخر وشفاء لقوم ومرض وبوار لآخرين، كما قال سبحانه: ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً^١.

وقال تعالى:

... قل هولاء الذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد^٢.

وهكذا ورد في حق القرآن العيني - اي الانسان الكامل المعصوم - أنه مظهر جمال الله لقوم ومظهر جلاله لقوم آخرين، كما قال مولينا الرضا (ع): ... الامام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب بخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدين وعز المسلمين وغيظ الكافرين وبوار الكافرين^٣.

وقد سبق البرهنة على ذلك وهو: ان الانسان الكامل هو الوجود الخارجي للقرآن حقيقةً فجميع ما يترتب على القرآن العلمي يترتب على القرآن العيني بلا ترتيب وقد مضى نبذة من ذلك، وسياتي جانب منه. فمن تلك الآثار المشتركة بين القرآن العلمي والعيني هو: ان القرآن العلمي مظهر علمي لله الذي لا شريك له وليس كمثل شيئ. لذلك فانه

١- الاسراء / ٨٢.

٢- فصلت / ٤٤.

٣- مسند الإمام الرضا (ع) ١/ ٩٨.

لا يعادله شيء ولا يتمكن من الاتيان بمثيله حتى وان اجتمع الانس والجن وكان بعضهم مظاهراً لبعض ولا ينال كنهه لباب الناس كما هو المستفاد من غير موضع من القرآن في شان نفسه، كذلك القرآن العيني، اى الانسان الكامل المعصوم (ع) فانه مظهر عيني لله الذى ليس كمثله شيء ولا شريك له في ملكه ولا شبه له في خلقه، فلذا لا يشاركه احد ولا يكون له كفوف في صعيد الموجودات الامكانية من آحاد الناس. كما افاده مولينا الرضا (ع) بقوله:

... الامام واحد دهره لا يدانيه احد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فن ذا الذى يبلغ معرفة الامام او يمكنه اختياره هيئات هيئات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الالباب وخست العيون وتصاغرت العظاء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الالباء وكلت الشعراء وعجزت الادباء وعيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه او فضيلة من فضائله واقرت بالعجز والتقصير وكيف يوصف بـكله او ينعت بكنهه او يفهم شيئ من أمره او يوجد من يقوم مقامه ويغنى عنه = لا = كيف وائى وهو بحيث النجم من ايدى المتناولين ووصف الواصفين فاين الاختيار من هذا واين العقول عن هذا واين يوجد مثل هذا^١.

فالذى يفيدنا هذا البيان الجامع عجز الناس بكافتهم عن معرفة مكتنة الانسان الكامل المعصوم (ع) وعجزهم نهائياً عن اختياره ونصبه وانتخابه وتوكيله حتى تكون الامامة بالوكالة دون الولاية. بل الامام المعصوم (ع) بمنزلة النجم الفائق الذى لا تناوشه ايدى المتناولين لكى يرشحوه وينصبوه لهم سراجاً منيراً. بل الله سبحانه هو الذى ينصب بالذات الامام المعصوم (ع) لهم سراجاً منيراً وهذه الميزات والمؤهلات كما مر مسبقاً مشتركة بين القرأتين

١ - مسند الامام الرضا (ع) ٩٩/١، عن الكافي ١٩٨/١.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٢٥

العلمى والعينى المعبر عنها بالثقلين.

ومنها - اى من تلك الآثار المشتركة بينهما: أن انكار القرآن العلمى والاعراض عنه والتعرض له جاهلية جَهْلَاء مبتعد عن نطاق العقل والعدل كما اوعز اليه سبحانه:

أفحكم الجاهلية يغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون^١.

وقال تعالى:

اذْجُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمِيمَةَ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^٢.

اذ العقل هو ما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان فما لا يعبد به الرحمن فليس بعقل بل جهل وسفاهة كما قال - غزمن قائل -: ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه. فالحيوة المفتقدة لرشد العقل جهالة وسفالة سواء اصطحبها الرقى الصناعى كما هو المشهود المألوف فى الملل الراقية فى الصناعة الطغاة الظلامية دولة او لم يكونوا كذلك كما فى الملل التابعة لهم القائلة يوم القيمة:

انا اطعنا سادتنا وكرائنا فاضلونا السبيلا^٣.

فالمنكر للقرآن والمعرض عنه والمتعرض له جاهل سافل وحيوته جاهلية، يحمل فى قلبه تعصبا باطلا جاهليا ولا مجال لانزال السكينة والطمأنينة فيه كما لا مجال لاعطاء التقوى مع الطغوى اذ التقوى عبودية حقة وتذلل فى

١ - المائدة / ٥٠.

٢ - الفتح / ٢٦.

٣ - الاحزاب / ٦٧.

٢٦ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

ساحة قدس الله سبحانه والطغوى ربوية باطلة وتمرد واستكبار فى قبال الله تعالى كمتقدم نقله عن مولينا علىّ الرضا (ع) عن جده الامام المرتضى (ع) فانه قال :

أفتدرون الاستكبار ماهو؟ هونرك الطاعة لمن امروا بطاعته والترفع على من ندنوا الى متابعتة^١.

فحيوة منكر القرآن العلمى والمعرض عنه جاهلية جهلاء كذلك حبة منكر القرآن العيى والمعرض عنه جاهلية. كمانقل محمد بن اسماعيل عن مولينا الرضا (ع) انه قال :

من مات وليس له امام مات ميتة جاهلية، فقلت له: كل من مات وليس له امام مات ميتة جاهلية؟ قال، قال: نعم، والواقف كافر والناصب مشرك^٢.

فان هذا البياك وان كان يفيدنا ويتحفنا بأن ذلك الموت هوالموت الجاهلى، بيد ان الموت لما كان على وزان الحيوة اذ الناس كما يعيشون يموتون فاذا كان الموت جاهلية يكشف عن كون الحبوة كانت جاهلية تطورت بالميتة الجاهلية، اذ الحيوة العقلية تتعقب موتا عقليا لان الذى ينتقل من الدنيا الى روضة من رياض الجنة فهو عاقل قطعاً لأنه عبد ربه واكتسب جنته وكل من كان كذلك فهو عاقل اذ العقل ما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان. وزبدة المخلص: ان الموت الجاهلى انما هو بظهور الحياة الجاهلية، فاذا كان موت منكر الامام المعصوم (ع) ميتة جاهلية يلازمه ان تكون حياته ايضا كذلك ليس الا. والسبب فيه ان القرآن بوجوده العلمى او العيى حيوة طوى عقلية كما افاده

١- مسند الامام الرضا (ع) ٢/٢٥.

٢- مسند الامام الرضا (ع) ١/٩١، عن كمال الدين ٦٦٨ .

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٢٧

سبحانه بقوله:

... يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم ...

وبقوله:

لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين^٢.

... والفرآن العبنى لاينفك عن القرآن العلمى فى ائى وصف من
الاولصاف الكمالية الوجودية اصلا، لان دعوة القرآن العبنى هو دعوة القرآن
العلمى بالذات، لذلك افرد الضمير فى قوله تعالى: ... لله وللرسول اذا دعاكم ...
ولم يشن، اذا الرسول الذى هو من اظهر مصاديق القرآن العبنى لا يدعوا الآبا
دعا الله الناس اليه فاذا كان القرآن بوجوده العلمى او العبنى ممثلا للحياة
الظبية العقلية فن فقد آئى واحد منها - فقد فقدها وصار ميتا جاهليا يؤخذ بما
عمل فى الجاهلية والاسلام اى لا يغفر شىء من ذنبه، سواء ما تقدم منه وما تأخر.
كما هو المستفاد مما رواه مولينا الرضا (ع) عن آباءه (ع) عن امير المؤمنين (ع) انه
قال:

قال رسول الله (ص): من مات وليس له امام من ولدى مات ميتة
الجاهلية يؤخذ بما عمل فى الجاهلية والاسلام^٣.

حيث انه لم يعقل ولم يتب ولم يسلم حتى يجب الاسلام ما قبله ويعفو الله
عما سلف منه، بل اذا بعثت القبور علمت نفس هولاء الجهلاء ما قدمت من

١- الانفال / ٢٤.

٢- يس / ٧٠.

٣- مسند الإمام الرضا (ع) ٩١/١، عن كنز الفوائد ١٥١.

ذنب وما اخرت، ومن اعظم تلك الذنوب انكار الامام (ع) ومن تلك الاثار المشتركة بين القرآن العلمى والعينى هو: ان القرآن العلمى مظهر تام للاسم المهيمن، لأن المهيمن من الاسماء الحسنى لله سبحانه ومن الاوصاف الكمالية للقرآن الكريم. قال سبحانه:

... الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن^١

وقال تعالى:

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه^٢.

والهيمنة الوجودية انما هو بكون المهيمن واجدا لجميع الكمالات التى هى لما فى حوزة هيئته وسيطرته ونفوذه، كما ان الله سبحانه كذلك بالذات، مقيساً الى جميع ماسواه. والقرآن الكريم ايضا مسيطر بالقياس الى جميع الكتب السماوية، اذ له عدى التصديق والتأييد هيمنة على تلك الكتب وحيطه على المعارف السامية التى لم تحتوتلك الكتب عليها، بحيث ليس فى وسع الانسان المتكامل النيل الى مرتبة وجودية بالعلم الآ وقد اشتمل عليها القرآن، والا لما كان خاتم الكتب ولما كان خالدا بجيله ابدى، اذ فرض ان هناك مقاما وجوديا لا يهدى اليه القرآن لعدم احتوائه فيلزم اتيان كتاب آخر وهو محال بعد افتراض ختم الكتب بالقرآن، اذاً فالقرآن العلمى مظهر تام لله سبحانه من حيث كونه مهيمنا على غيره من الكتب، كما وان للاسم المهيمن ايضا هيمنة على غيره من الاسماء الجزئية المحاطة به لان بعض الاسماء الحسنى محيط ببعض

١- الحشر/٢٣.

٢- المائدة/٤٨.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٢٩

حتى ينتهي الى ام الاسماء المحيط بها وهو الاسم الله جل جلاله وان احتمل بعض اصحاب المعرفة ان الاسم الرحمن ايضا كذلك لقوله تعالى:
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى^١.

يعنى فلكل واحد من هذين الاسمين اللذين احدهما هو الله والاخر هو الرحمن سائر الاسماء الحسنى الجزئية مقيسا اليها وان كان بعضها بالنسبة الى بعضها الاخر كلياً محيطاً. ولعله لذلك قال الفاضل الهندي (ره) في تقدمته على كشف اللثام: «... فالمحققون على ان الرحمن ايضا اسم للذات كالله وان لفظه هنا (بسم الله الرحمن الرحيم) بدل من الله ولذا قدم على الرحيم لكونه صفة فاندفع السؤال عن جهة تقديمه مع انه ابلغ» (انتهى)^٢.

ولبعض اهل التحقيق مقال آخر، فأنه بعد نقل كون الرحمن جامعاً كالله، قال: هذا وان كان حقاً من وجه، لكن كون الرحمن تحت حیطة الاسم الله يقضى بتغاير المرتبتين ولولا وجه المغايرة بينهما ما كان تابعا للاسم الله في «بسم الله الرحمن الرحيم». ومهما كان الامر فان الاسم المهيمن له احاطة وجودية على غير واحد من الاسماء الكائنة تحت حيطته والقرآن العلمى ايضا لكونه مظهراً لذلك الاسم فله احاطة علمية بغيره من الكتب السماوية فضلا عن غيرها، وهكذا القرآن العيني المحاذى له، فأن له هيمنة على غيره من الكتب العينية، كالانبياء والاولياء الماضين (ع) كما وان له سيطرة وحیطة علمية بمعارف جميع تلك الكتب السماوية، حيث قال مولينا الرضا (ع):

يا نؤفل تحب ان تعلم متى يندم المامون؟ قلت: نعم، قال: اذا سمع

١- الاسراء/١١٠.

٢- كشف اللثام، ١/٥.

٣٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

احتجاجي على اهل التوراة بتوراتهم وعلى اهل الانجيل بانجيلهم وعلى اهل الزبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى الهراينة بفارسياتهم وعلى اهل الروم بروميتهم وعلى اصحاب المقالات بلغاتهم فاذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع الى قولي علم المامون ان الموضع الذي هو بسيله ليس هو بمستحق له فعند ذلك تكون الندامة منه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم^١.

ومما يؤيد ذلك اقتداء الانبياء (ع) بخاتمهم (ص) ليلة الاسراء في المسجد الاقصى وكذا اقتداء الاولياء بخاتمهم (ع) ببقية الله - ارواحنا فداء - عند ظهوره حيث ان ذلك يشعر بكون رتبة كل قرآن وكتاب عيني على وزان رتبة كل قرآن وكتاب علمي، فكما انهما في اصل الوجود متكافئان لا ينفك احدهما عن الاخر كذلك في رتبة الوجود ايضا لا يفترق احدهما عن الاخر فعند ثبوت وصف كمالى لاحدهما تطابقيا يحكم بثبوت ذلك الوصف للآخر التزاميا. مثلا عند ثبوت تعدد انحاء الدعوة للقرآن العلمي وانه يدعو الناس الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتى هي احسن يحرز بان انحاء دعوة القرآن العيني ايضا كذلك، وكما ان القرآن العلمي يهdy للتى هي اقوم هكذا القرآن العيني، - اى الامام المعصوم (ع) - فانه يهdy للطريقة المثلى التى هي اقوم الطرق والمعروفة الوثقى التى هي اوثق العرى وهذا هو الذى يعطيه كلمة مولينا الرضا (ع):

... ان الامامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزالمومنين ان الامامة اس الاسلام النامى وفرعه السامى... الامام يحل حلال الله ويحرم حرامه ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعوالى سبيل ربه بالحكمة

١ - مسند الامام الرضا (ع) ٧٥/١ (المقدمة) عن التوحيد ٤١٧ - ٤٤١ والعيون ١٥٤/١.

على بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم ٣١

والموعظة الحسنة والحجة البالغة^١.

وحيث ان حقيقة القرآن العيني - اى الانسان الكامل المعصوم (ع) - هى حقيقة القرآن العلمى بلا انفكاك احدهما عن الآخر فلذا تفسر الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال فايين ان يحملنها واشفقن منها... (تارة) بالولاية (واخرى) بالقرآن، وكما ورد فى شان القرآن العلمى بانه:
لوانزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا من خسية الله^٢.

كذلك قال مولينا على المرتضى (عليه افضل صلوات المصلين) عند بلوغ خبر ارتحال سهل بن حنيف الانصارى اليه:
لواحبنى جبل لتأفت^٣.

يعنى كما ان الجبل لا يطبق لحمل القرآن العلمى كذلك لا يقتدر على احتمال الولاية للقرآن العيني، وكما له من اشباه ونظائر فى النصوص الدالة على ان الانسان الكامل المعصوم (ع) - اى الامام - قرآن عيني كما وان القرآن امام علمى، فلذلك يهتف كل واحد منهما الناس الى صاحبه. يعنى ان القرآن يدعوهم الى امامة الامام واطاعته كما قال سبحانه:

اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم^٤.
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا^٥

١ - مسند الامام الرضا (ع) ٩٨/١، عن الكافي ١٩٨/١.

٢ - الحشر ٢١.

٣ - الفرر والدرر لآمدى ١١٤/٥، ذان سرحة الشريف الرضى قده وكذا المحقق الخونسارى ره بوجه آخر، نهج البلاغة، قصار الحكم ١١١.

٤ - النساء ٥٩.

٥ - الحشر ٧.

٣٢ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وانما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون^١.
والامام ايضا بالذات- يدعوهم الى القرآن كما اوعزاليه مولينا الرضا (ع)
بقوله:
... لا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا^٢.

وبما ان الامام (ع) قرآن ممثل يوجد في بين كلماته محكمات ومتشابهات
كما قال مولينا الرضا (ع):

من رآ متشابه القرآن الى محكمه هدى الى طريق مستقيم، ثم قال (ع): إن
في اخبارنا متشابهات كمتشابه القرآن ومحكمات كمتشابه القرآن فردوا متشابهها الى
محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا^٣.

وحيث ان المحكمات هي ام الكتاب وبها ترتفع المتشابهات وتنمو وتخرج
عن حد التشابه وتندرج في حوزة المحكمات فعلى المتدبر في القرآن والحديث عرفان
المحكم من كل منها وعرفان المتشابه حتى يعرف كيفية واسلوب رفع التشابه في
ضوء المحكم.

ومن تلك الآثار المشتركة بين القرآن العلمي والقرآن العيني هو: ان كل
واحد منها نور الهى متنزل من لدى الله الى عالم الطبيعة لم يتخلله الظلام اصلا
لا في حدوده ولا في بقائه ولم تظلم مرتبة من مراتب نزوله فلم
يتطرق الجهل او الابهام او التعميه او الغفلة او النسيان وما الى ذلك مما ينافي
نورانية القرآن العلمي والعيني في حريم شئ منها في آية درجة من درجاتها.

١- المائدة/٥٥.

٢- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠٧/١، عن التوحيد ٢٢٣ والامالى ٢٢٦.

٣- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠٨، عن عيون الاخبار ٢٩٠/١.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٣٣

(اما) في القرآن العلمي فلما مرمسبقا من قوله تعالى:

يا ايها الناس قد جائكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورامينا^١.

لأنه يدلّ على ان الذي نزل من عند الله هو برهان لا خفاء فيه ونور لا ظلام له اصلا، ولا مجال لتطرق شيء من ذلك اليه في مرتبة من مراتب تنزلاته لقوله تعالى:

... في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة^٢

لدلالته على كرامة القرآن العلمي في جميع مراتب تنزلاته عن اى نقص وطهارته عن اى رجس ونزاهته عن اى رجس و...

(واما) في القرآن العيني- اى الانسان الكامل المعصوم (ع)- فلقول مولينا الرضا (ع) وقد اجتمع الفقهاء واهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له:

يا بن رسول الله بأى شيء تصح الامامة لمديها؟- قال (ع):- بالنص والدليل. قال له: فدلالة الامام فيهماى؟ قال: في العلم واستجابة الدعوة، قال: فما وجه اخباركم بما يكون؟ قال (ع): ذلك بعهد معهود اليينا من رسول الله (ص)، قال فما وجه اخباركم بما في قلوب الناس؟ قال (ع) له: اما بلغك قول الرسول (ص) اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله. قال: بلى قال (ع): وما من مؤمن الا وله فراسة بنور الله على قدر ايمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله للائمة منا ما فرقه في جميع المؤمنين. وقال عز وجل في محكم كتابه: ان في ذلك لايات للمتوسمين، فاول المتوسمين رسول الله (ص) ثم امير المؤمنين (ع) من بعده ثم الحسن والحسين والائمة من ولد الحسين (ع) الى يوم القيمة. قال: فنظر اليه المامون فقال له: يا ابا الحسن زدنا بما جعل الله لكم

١- النساء / ١٧٤.

٢- عبس / ١٦- ١٣.

٢٨٤ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

اهل البيت. فقال الرضا (ع): ان الله عزوجل قد ايدنا بروح منه مقدسة مقلهرة ليست بملك لم تكن مع احد ممن مضى الا مع رسول الله (ص)، وهي مع الائمة منا تسددهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزوجل^١.

حيث يدلنا على أن الامامة مخفوفة بعمود من نور دائم فائض متصل من الله سبحانه إلى عالم الطبيعة الذي يعيش فيه الامام (ع) بوجوده العنصرى، فجميع ما يظهر او يصدر من الله ويتنزل إلى عالم الطبيعة في قوس النزول معلوم للامام (ع)، وهكذا جميع ما يصعد اليه من الكلم الطيب، وجميع ما يرفعه اليه من العمل الصالح من ائمة معتقدين وائى عامل في قوس الصعود مشهود له (ع) اذ العمود النورى عبارة عن وصف كمالى وجودى مقدس عن شوب المادة منزّه عن مزج الحجاب والغيبية وما الى ذلك، والامام (ع) متصف بذلك الوصف الوجودى من لدى الله سبحانه الى الطبيعة نزولاً ومنها اليه تعالى صعوداً فلا يختفى عليه شئى فى الارض ولا فى السماء كل ذلك فى اطار العالم الامكانى وبإذن الله الذى ليس كمثله شئى.

وحيث ان حلقات النظام الفاعلى نزولاً وكذا حلقات النظام الغائى صعوداً مترتبة وان بعضها فوق بعض فالتالى يستفيض من المتلو وهو مفيض عليه فلاغرو فى حاجة بعض مراتب وجود الامام (ع) الى بعضها الآخر، كما وان الأمر فى نفس العمود النورى ايضاً كذلك فلوم يعلم الامام (ع) بوجوده العنصرى امراً فان بإمكانه ان يستفيدة من باطن وجوده كما فى غيره (ع) من المجردات المستكفية بباطن ذاتها، وليس الامام (ع) منحصراً فى اطار وجوده العنصرى حتى يوجب جهله بوجوده العنصرى جهله باطلاقه، لان العمود

١- مسند الامام الرضا (ع) ١٣٣/٢، عن عيون الأخبار ٨٧/٢.

٣٥ على بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم

النورى ايضا كذلك لانه رغم كونه نورا بتمام مراتبه لكنه - في ذات الوقت - غير خلى عن شوب الجهل اذ مراتبه النازلة جاهلة بما في مراتبه العالية، وان كان ذلك العمود النورى في متنه معصوما عن الخطاء ومصونا عن الجهل والغيبة وما الى ذلك. وليس ذلك التسديد والتوفيق على صفة تزول حيناً وتعود حيناً آخر، بل على نحو الملكة الحاضرة دائماً، فلا حجاب بين الامام (ع) وبين الله سبحانه، اذ لا حجاب بين ذلك العمود النورى وبين منوره الذى هو الله سبحانه، فلا حجاب - ايضاً - بين الامام (ع) وبين العالم الخارج، لان ذلك العمود النورى قد ابان له كل شئ، وبه يضيئ له كل شئ باذن الله، وبهذا العمود النورى يكون الغيب مشهوداً له (ع).

ومما يشهد لذلك انه لما قال مولينا الرضا (ع) لابن هذّاب:

انا انا اخبرتك انك ستبتلى في هذه الايام بذي رحم لك لكنت مصدقاً لى؟ قال: لا، فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى. قال (ع): أوليس انه تعالى يقول: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول»، فرسول الله مرتضى ونحن ورثة ذلك الرسول الذى خلفه الله على ما يشاء من غيبه فعل ما كان وما يكون الى يوم القيمة^١.

لان انقسام الموجود الى الغيب والشهادة انقسام نسبى لانفسى لان الموجود المجرد الغائب عن عالم الطبيعة فهو مشهود لنفسه ولعالمه العالية. ومعنى كون الله تعالى عالماً بالغيب والشهادة هو الارشاد الى نفى الغيب مقيساً اليه تعالى اذ العلم عبارة عن الشهود وهو بيان الغيب فليس معناه ان هناك غيباً وهو مع انه غيب معلوم لله سبحانه، فاذا كان العمود النورى المرتبط بالله العالم بالغيب والشهادة، مع الامام المعصوم (ع) يسدده ويوقفه فهو ايضاً

١ - مسند الامام الرضا (ع) ٩٧/٢.

٣٦ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

يعلم الغيب لكن لا بالذات والاصالة بل بالعرض والتبع في خصوص ما ظهر من الله في العالم دون ما استأثره الله لنفسه من الغيب المحض الذي لم يظهر ولن يظهر، لخروجه عن العالم كخروجه عن موضوع البحث. والى هذا العمود النورى اشار مولينا الرضا(ع) في قوله:

الاثمة علماء حُلَاء صادقون مفهمون محدثون^١

وقوله(ع):

لنا عين لا تشبه عين الناس وفيها نور ليس للشيطان فيها نصيب^٢.

وليس المراد من الاعين هنا هي التي ترى الاجسام وتحس الالوان، بل هي الاعين التي في الصدور والتي ترى الايات الالهية وما فوقها. كما قال اميرالمؤمنين(ع):

لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بمقائق الايمان^٣.

وهذه الأعين مختصة للمؤمنين على ما لهم من الدرجات دون غيرهم، لانهم عمى لا يبصرون، كما قال سبحانه:

فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

والسر في قداسة تلك الأعين عن الشيطان هو اخلاصها، لان تلك الاعين هي القلوب الواهية المحببة اليه المخلصة له، وقد اعترف الشيطان بعجزه النهائي عن اغواء المخلصين واضلاهم واحتناكهم وما الى ذلك من شروره ووساوسه

١ - مسند الامام الرضا(ع) ١/١٠٢، عن امالي الطوسي ٢٥٠.

٢ - مسند الامام الرضا(ع) ١/١٠٣، عن امالي الطوسي ٢٥٠.

٣ - نهج البلاغه، الخطبة ١٧٩. ٤ - الحج/٤٦.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٣٧

ودسائسه وحبائله واشراكه، لان اقصى مقامه هو التجرد الخيالى والوهمى ولا مجال له فى التجرد العقلى التام، اذا فهو يعلم ما يريد المخلص حتى يسول له ويدس فيما يرومه كما وان جميع ذخائره وزخارفه معرض عنها للعبد الذى استخلصه الله لنفسه فلا نصب للشيطان فى علمه وعمله. وهذا العمود النورى المسدد والموفق يعلم الامام المعصوم (ع) ما فى الصدور من الايمان والنفاق لان الباطن قد اضاء له بذلك النور واصبح كالظاهرة لاحجاب له، فلذا كتب مولينا الرضا (ع) رسالة الى بعض اصحابه. جاء فيها:

انا نعرف الرجل اذا رأيناه بحقيقة الايمان وبحقيقة النفاق^١.

لان قلوب العباد كقوالبهم مكشوفة لمن له عمود نورى من تخوم عالم الطبيعة الى عنان عالم الغيب فلا استتار هناك ... ويشهد له مارواه حزة بن عبدالمطلب بن عبدالله الجعفى قال:

دخلت على الرضا (ع) ومعى صحيفة اوقراطس فيه عن جعفر (ع) ان الدنيا مثلت لصاحب هذا الامر فى مثل فلقة الجوزة فقال يا حزة ذا والله حق فانقلوه الى اديم^٢.

والذى يفيدنا هذا الحديث الشريف هو ان الدنيا وان كانت بالنسبة الى غير الامام كالجوز الذى لم يفلق فلا يعلم ما فى جوفه وباطنته، الا انها بالنسبة اليه (ع) كالجوز المفلوق الذى فلقه فالق الحب والنوى فيعلم ما فى جوفه كما يعلم قشره وما فى ظاهرته من الخطوط والنقوش وما الى ذلك. فلذا لا يمكن للدنيا ان تغر الامام (ع) رغم كونها غرورا للناس. كما وان الاستفادة من هذا

١- عبون اخبار الرضا (ع) ٢/٢٢٧.

٢- مسند الامام الرضا (ع) ١/١٠٩، عن بصائر الدرجات ٤٠٨.

٣٨ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

البيان النورى هو الاهتمام بالتعلم (اولا) و كتابة العلم (ثانيا) وضبط
خصوص مايتصل الى الامامة وعلم الامام وحيطة علمه (ع) بجميع الدنيا وعدم
احتجاب شىء منها عن علمه (ع) (ثالثا) وهذا من غرر الاحاديث الباعثة
على التعلم وتدوين الحديث ومعرفة شأن الامام (ع)، لظهوره فى اهتمام مولينا
الرضا (ع) بضبط الحديث فى اديم حتى يصاب عن الخرق والانداس، لان الاديم
احفظ من القرطاس الذى يسارع اليه البلى ويبادر اليه الدروس ويستبق اليه
العفا ويقترب منه الانحاء.

فاذاتين لنا ان بين الامام المعصوم (ع) وبين الله سبحانه عمودا من نور
يتضح بجلاء ماروى عن مولينا ابى جعفر الباقر (ع):

... ما احد اكذب على الله وعلى رسوله ممن كذبنا اهل البيت وكذب
علينا لانه اذا كذبنا او كذب علينا فقد كذب الله ورسوله لانا انما نحدث عن
الله تبارك وتعالى وعن رسوله...^١

فكما ان الامام (ع) لاجابة له فى نقل شىء عن رسول الله (ص) الى راوٍ
وناقل، بل يكون مرسله خيرا من مسند غيره للارتباط النورى بينهما، كذلك
لا حاجة للامام المعصوم (ع) فى نقل شىء عن الله سبحانه فيما لايتصل الى
التشريع وبيان الاحكام العملية الى رواية راو او نقل حاك .
ويشهد له مارواه المفيد (ره) عن سالم بن ابى حفصة، قال:

لما هلك ابو جعفر محمد بن على الباقر (ع) قلت لأصحابي: انتظروني حتى
ادخل على ابى عبد الله جعفر بن محمد (ع) فاعزبه فدخلت عليه فعزيتة ثم قلت
انا لله وانا اليه راجعون ذهب والله من كان يقول: قال رسول الله (ص) فلا يسأل
عمن بينه وبين رسول الله (ص) لا والله لا يرى مثله ابدا قال: فسكت

٣٩ علي بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

ابوعبدالله (ع) ساعة ثم قال: قال الله عز وجل: ان من عبادى من يتصدى بشق تمره فاربها له فيها كما يرى احدكم فلوثة حتى اجعلها له مثل احد^١.

والسبب في ذلك هو ان الامام المعصوم يسمع ما يسمعه رسول الله (ص) ويرى ما يراه الا انه ليس بنبي كما قاله رسول الله (ص) لعل (ع) حين قال (ع): ولقد سمعت رثة الشيطان حين نزل الوحي عليه (ص) فقلت يا رسول الله (ص) ماهذه الرثة فقال (ص) هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك لوزير وانك لعل خير...^٢

وحصيلة الكلام: ان القرآن العيني - اى الانسان الكامل المعصوم (ع) - كالقرآن العلمى متنور بعمود نورى بينه وبين الله سبحانه وتعالى فهو يرى ما لا يراه غيره، بعين لا تشبه عين غيره ليس للشيطان فيها نصيب ولا تغفل تلك العين ولا تجهل ولا تاخذها سنة ولا نوم، لا بالذات والاصالة بل بالعرض والتبع، لكون تلك العين النورية مظهراً لله الذى لا تاخذه سنة ولا نوم بالذات. ولذلك يكون منام الامام المعصوم (ع) ويَقْطُتْه واحدة. وهذا ما يعطيه كلمة مولينا الرضا (ع) لحسن بن على بن بنت الياس ابتداء:

ان ابى كان عندى البارحة قلت: ابوك؟ قال (ع): ابى، قلت: ابوك؟ قال (ع): ابى، قلت: ابوك؟ قال: فى المنام ان جعفرا (ع) كان يحى الى ابى فيقول يا بنى افعل كذا يا بنى افعل كذا، قال: فدخلت عليه بعد ذلك فقال (ع): يا حسن ان منا منا ويقتطنا واحدة^٣.

والسر فى ذلك هو كون ذلك العمود النورى قائماً بمن هونور السموات والارض وعلى صلة بمن لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء

١ - امالى المفيد، المجلس الثانى والاربعون.

٢ - نهج البلاغة، الخطبة العاصمة ١٩٢. ٣ - قرب الاسناد ٢٠٢ - ١٩٨.

٤٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

وعلى رباط بمن لا يكون نسياً، وعلى سنادٍ بمن لا تأخذه سنة ولا نوم. كما وأن القرآن العلمي ايضاً لا يخرج عن هذه الحال رغم كونه موجوداً ممكناً فائضاً من لدنه تعالى فاذا كان ذلك العمود النورى المطهر عن رجس الجهل ورجز الغفلة وما اليه موقفاً للامام ومسداً له (ع) فطبيعى ان لا يكون بين نوم ذلك الانسان الكامل المعصوم (ع) ويقظته فرق اذ تنام عينه الظاهرة ولا تنام عينه الباطنية التى لا تشبه عين الناس. وهذا هو الاصل الذى يترتب عليه غير واحد من الفروع التى مر بعضها مسبقاً، ومن ذلك قول مولينا الرضا (ع) لمن حضر عنده من علماء الكوفة ومتكلمها:

انى اريد ان اجعل لكم حظاً من نفسى كما جعلت لاهل البصرة وان
الله قد اعلمنى بكل كتاب انزله^١...

وللكلام تنمة سياتى بيانها.

تبصرة: فى بطلان الفرق بين القرآن العلمى والعينى كامتناع افتراق احدهما عن الآخر

واذ تبين ان الامام (ع) قرآن عبنى وانه لا يفترق عن القرآن العلمى كما لا يفترق القرآن العلمى عنه لكون كل واحد منهما داعياً الى صاحبه^٢ فلا يسوغ الفرق بان يتمسك باحدهما دون الآخر اذ ان اخذ كل واحد منهما بدون صاحبه ليس الا بمثابة ترك كليهما معاً، فلا يجوز الاكتفاء باحدهما وحده لا بالتفريط ولا بالافراط فلا مجال للغلو فى القرآن العلمى بالتفريط فى القرآن العبنى بان يقال حسبنا كتاب الله، كما ولا مجال ايضاً - بذات الدليل - للتغالى فى القرآن العبنى

١- الخرائج ٤٠٦.

٢- معانى الاخبار، باب معنى عصمة الامام.

٤١ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

بالتفريط في القرآن العلمي بان يقال حسبنا ما جاء عن العترة الطاهرة، اذ كل واحد من جانبي الافراط والتفريط جاهلية جهلاء، لما مرمسبقا: ان انكار القرآن العلمي جاهلية والاعراض عن الامام المعصوم (ع) ايضا جاهلية كذلك، فالحياة العقلية لا تقضى سوى الاتباع لما رواه الفريقان عن العقل الاول خاتم الرسل (ص):

انى تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى فانظرونى كيف تخلفونى فيها^١

ومنشأ الاكتفاء باحدهما رافضا للآخر هو توهم عدم صيانة ذلك الآخر، مثلا: ان القول بكفاية القرآن العلمي نابع عن توهم عدم عصمة العترة الطاهرة عن الخطاء في العلم وعن الخطيئة في العمل وان القول بكفاية القرآن العيني - اى العترة الطاهرة - ناش عن حسابان عدم عصمة القرآن العلمي عن لوث التحريف ورجس التصحيف و... وكما ان القول بعدم عصمة العترة الطاهرة يورث الثلمة المفجعة في الاسلام لايسدها شئ كذلك القول بعدم عصمة القرآن العلمي عن التحريف يلزم ثلمة فيه يالها من خسارة كبيرة غير متداركة. ومحققوا الامامية بُراء من ذلك، لان الله الذى قال في حق القرآن العلمي:

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون^٢

وقال في شأن القرآن العيني:

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا^٣

١ - العيون ٣٠/٢.

٢ - الحجر/٩.

٣ - الاحزاب /٣٣.

منه برئى وكذا رسوله الاعظم الذى قال فى القرآنين - العلمى والعينى - «انى تارك فيكم الثقلين».

فالإمامية - أى الفرقة الناجية - تعتقد وتدّعى بأن القرآن والعترّة من عند ربنا تؤمن بهما ولا تفرق بينهما لأنها لن يفترقا حتى يردا على رسول الله الذى خلفهما فى امته عند الحوض، والافراط فى حق العترّة بعينه تفريط فى حق القرآن وموجب حرمان المجتمعات بل الحوزات العلمية عن علومه، اذ القول بعدم حجية ظواهره لكونه - معاذ الله - محرفا يوجب ان لا يجعل القرآن مدارا للمدارسة والبحث والحوار فى المدارس والاطراف العلمية المتعبرة ويلزم خروجه عن قطب التحليل والتفسير، كما وان الافراط فى حقه - بالذات - تفريط فى حق العترّة الطاهرة وموجب حرمان الامة الاسلامية عن زعامتهم وهدايتهم وحكومتهم وقيادتهم لأن المصير بعدم عصمتهم - معاذ الله - يلزم ان لا تكون سيرتهم وسنتهم التى هى سيرة النبي (ص) وسنته (ص) اسوة للامة الاسلامية ويوجب الحكم بسواستهم مع سائر الناس، بينما الامام الرضا (ع) يصارح ويقول: «نحن سادة فى الدنيا وملوك فى الارض»^١.

كما وكتب مولينا امير المؤمنين (ع) الى معاوية:

... ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكرنا كرفضائل جمة...

فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا...^٢

فاين الثرى من الثريا، لانهم (ع) مجارى فيض الله ووسائط لطفه وان كان الكل مخلوقا لله الخالق كل شئى، الا ان قبول بعض الاشياء للفيض يتوقف على سبق فيض آخر. وهذا لا يعنى ان افاضته تعالى تكون كذلك

١- العيون ٢/ ٥٧.

٢- نهج البلاغة، الكتاب ٢٨.

٤٣ علي بن موسى الرضا عليه السلام والفرآن الحكيم

اذالقبول والاستفاضة هي المقيدة دون الفعل والإفاضة، فلذا تكون الأئمة (ع) صنائع الله بلا وساطة والناس صنائع الله تعالى مع الوساطة، وعليه: فلا يتمكن لهم ان يستفيضوا من الله سبحانه الا بوساطة الأئمة (ع)، لانه تعالى لا يقتدر على الافاضة الا بوساطتهم، وكم فرق بين الامرين، وحيث انهم (ع) وسائط الفيض للناس فيجب عليهم -لزما- طاعة الأئمة (ع)، كما اوعز اليه موليا الرضا (ع) - في جواب من سئله:

«طاعتكم مفترضة»:- نعم، فقال: مثل طاعة علي بن ابي طالب؟ قال (ع) نعم^١ وقال (ع) عند التطبير لقوله تعالى:... «والى الجبال كيف خلقت»^٢ انها الاوصياء^٣

يعنى (ع) انهم جبال دين الله ورواسيه المنيعه له عن المبدان والاضطراب.

كما قال اميرالمومنين (ع) في حقهم (ع):

هم (ع) موضع سره... وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحاء ظهره و اذهب ارتعاد فرائضه^٤.

ولولا عصمتهم عن الخطاء وصيانتهم عن الخطيئة لما كانوا جبلاً ورواسى ولما كانوا قديرين على اقامة انحاء ظهر الدين وإذهاب ارتعاد فرائضه وما الى ذلك من الشئون المتوقفة على العصمة. وعلى الجملة فلو ضل الامام في مجال علمى اوزل في شأن عمل اوسهى في حكم الهى اونسى وحيأ سماويا اوفسره بها جس نفسانى -والعباد بالله- لافترق في ذلك عن القرآن المصون عن ذلك

٣- مناقب ابن شهر آشوب ١/ ٢٢٠.

١- الاختصاص، ٢٧٨.

٤- نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٢- الغاشية/ ١٩.

٤٤ المؤتمر العالمي للامام الرضاعليه السلام

كله، مع ان الصادق المصدق الامين على وحى الله اعلن وصارح بانها لن يفترقا...

كما وان الزعم الزائف في تحريف القرآن- معاذالله- ليس الا حكما بافتراقه عن العترة المعصومة المصونة من حيث لا يحتسب، رزقنا الله التمسك التام بها ولا يفرق بيننا وبينها ابدا ووفقنا لان لانفرق بين احد من هولاء السادة لانهم من نور واحد.

كما قال مولينا الرضا(ع) لابن ابى سعيد المكارى لما قال له (ع):

أبلغ من قدرك ان تدعى ما دعى ابوك- قال له: مالك اطفاء الله نورك
وادخل الفقريبتك ما علمت ان الله اوحى الى عمران انى واهب لك ذكرا فوهب له
مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم وعيسى شئى واحد وانا من ابى
وابى منى وانا وابى شئى واحد^١.

والسرفى ذلك ان حقيقة الولاية والامامة والخلافة ومالى ذلك من الحقايق الانسانية امر نورى واحد لا تعدد فيه هناك رغم جلالة بصور متعددة فى موطن الكثرة، فلذا يكون الاولياء الكُمل بعضهم من بعضهم لا تفاوت بينهم فى ذلك الا فى مقام الظهور والبروز لا فى اصل التحقق والحصول. ومن اظهر مصاديقه ما اشتهر نقله عن رسول الله (ص) انه قال (ص): «حسين منى وانا من حسين»، وبما أن ملاك الاتحاد هو اخلاصهم لله الواحد القهار وقنائهم فى فئانه سبحانه، لذلك فان بعضهم من بعض، وكلام كل واحد منهم كلام الآخر- بالذات- وكلام الكل هو كلام خالقهم وبارئهم ومعلمهم وهو الله تعالى.

كما نقل هشام وحامد وغيرهما عن ابى عبدالله (ع) انه قال:

١- تفسير على بن ابراهيم ٥٥١.

علي بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٤٥

حديثي حديث أبي وحديث أبي وحديث جدى وحديث جدى حديث
الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث امير المؤمنين
وحديث امير المؤمنين (ع) حديث رسول الله (ص) وحديث رسول الله (ص)
قول الله عز وجل^١.

فوزان الاولياء هو وزان الانبياء (ع) فمن غلب عليه حكم الوحدة قال
لا نفرّق بين احد منهم، ومن تغلب عليه حكم الكثرة قال: «تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض» - هكذا قيل - وعليه تكون الوحدة باعتبار والكثرة باعتبار
آخر بلا تناف بينهما، والفارق انما هو في سلوك السائر الى الله وان كان هذا
الفرق امرا حقيقيا لان شهود السالك الذي يسير على الصراط السوى يطابق
الخارج من حيث، وان لا يخرج من حيطة نفسه ودرجات سيره من حيث آخر
وليس الفرق المذكور فارقا اعتباريا كما في العلوم الاعتبارية.

الفصل الثانى

الجنة الاولى: فى بيان ماهو طريق معرفة القرآن

قد تقدم فى الروضة ان القرآن نور وبيان الهى وحيث إن النور لاظلامه له وان البيان لا ايهام فيه، اذا فهو بريئ عن أية ظلمة وخليص عن شوب اتى ايهام فهو فى تبين جميع مايتصل اليه، نور وضياء، فلا يمكن ان يسكت فى تحديد طريق الوصول اليه، لان من اظهر خواص النور هو توضيح السبيل المنتهية اليه وتعرفة المانع عن التطرق اليه، فالقرآن نور فى بيان شرائط معرفته ونور فى بيان الموانع عنها. فلنأت بشرط من ذلك ولنهد قبله مقدمة وجيزة هى مايل:

ان المعرفة والمعروف من سنخ واحد فإن كان المعروف محسوسا يكفيه المعرفة الحسية وان كان متخيلا او موهوما كفته المعرفة الخيالية والوهمية، وان كان معقولا لا يكفيه سوى المعرفة العقلية مع الانتفاع المسمى من المعرفة الحسية والخيالية والوهمية، واما ان كان المعروف فوق ذلك فلا يكفيه شئ منه اصلا بل لابد من الشهود القلبي والخروج عن اطار الحس ومحس الخيال وقيد الوهم وحجاب العلم الحصى العقلى وما الى ذلك من الحجب الظلمانية والنورانية حتى اذا خرقت ابصار القلوب حجب النور تصل الى معدن العظمة وتصير الارواح العتيقة عن عبودية اتى مولى من المولى الباطلة الداخلة والخارجة معلقة بعز قدس الله سبحانه ملحقة بنور عزه الابهج من كل بهيج فتكون له سبحانه عارفة وعن سواء منحرفة ومنه تعالى خائفة مراقبة خوفا عن التلوث بالنظر الى

الغير وعن التلطف برجس من سواه.

(والمحصل) ان معرفة كل شىء فانما هى من سنخه ليس الا... وحيث ان القرآن حبل متصل من تخوم عالم الحس الى عنان عالم العقل ثم من عرش العقل الى قاب قوسين او ادنى فلا يمكن الاعتصام باى حد من حدوده الا بيد المعرفة المسانحة لذلك الحد من ادنى انحائها وهو الحسى حتى اعلاها وهو الشهود المحض الايمانى لمن كان له قلب لا يكذب مارأى وبصر لا يزيغ ولا يطفى و ذاك هو رسول الله (ص) وعترته الطاهرة الذين هم من نور واحد ولا ماز بينه (ص) وبينهم (ع) الا فى النبوة والرسالة دون الولاية التى هى الباطنة لآى مقام وهى المشتركة بينه (ص) وبينهم (ع) كما مر.

اضف الى كل ذلك : ان القرآن الكريم له الفاظ دالة على المعانى، فلامحالة يشتمل على حقول كثيرة وسبعة من العلوم الادبية كالنحو والصرف واللغة والمعانى والبيان والبديع وما اليها من العلوم الاعتبارية التى وضعها يد الاعتبار وان كانت لتلك العلوم ايضا صلات رقيقة الى الحالات النفسانية من البعث والزجر والبسط والقبض والتهيج والتسكين والفرح والهم والنزوع والانزال والشهرة والخمول ونحو ذلك من الامور الحقيقية - على الجملة - الا ان اس تلك العلوم الادبية انما هى الاعتبارات العقلائية الدائرة مدارها وجودا وعندما وهكذا سعة وضيقا ودرجات تلك القواعد الاعتبارية - ايضا - تختلف - فى نفس الوقت - باختلاف اعتبارها فى مرتبة الحس والخيال والوهم حتى ينتهى الى موقف منزه عن الاعتبار مجرد عن قيد الوضع. ومهما يكن من امر فإن المعروف الحقيقى لا يناله الا المعرفة الحقيقية وان المعروف الاعتبارى تكفه المعرفة الاعتبارية فكلّ بجهاله.

وبعد تمهيد هذه المقدمة نقول: إن القرآن قدين شرائط معرفة نفسه من

٤٨ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

ادناها الى اعلاها واهمها وحث الناس لتحصيلها و ابان عن موانع معرفته من ارقها الى اغلظها واكتفها وحذرهم عنها. فتمام المقال في مقامين: احدهما فيما يرجع الى شرائط المعرفة وثانيهما فيما يرجع الى موانعها:

المقام الاول: في شرائط معرفة القرآن

وحيث ان القرآن كلام بلسان خاص وكتاب بلغة مخصوصة فلا بد لسامعه وقارئه من الاطلاع على كلماته وحروفه ومفرداته وتراكيبه حتى يتيسر له قرائته واستماعه وانصاته له. فغير العارف بالعربي والذي لا يميزه عن غيره ولا يعرف هذا اللسان المخصوص لا يقتدر على تلاوته التي هي اقل درجات الصلة به، وقد امر الناس بذلك في غير مورد، كما قال سبحانه:

... فاقروا ما تيسر من القرآن^١.

وقد كان مولينا الرضا (ع) يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فاذا مرباية فيها ذكر جنة اونا ربكى وسئل الله الجنة وتعود به من النار...^٢.

كما وان الشرط البدئي للتدبر فيه هو معرفة قواعد هذا اللسان وعلومه الخاصة به، حيث قال سبحانه:

انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون؟
كتاب فصل آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون؟
قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون^٣.

ومعنى كونه غير ذى عوج هو ان القرآن بلفظه ومعناه صراط سوى

١- المزمل / ٢٠.

٢- عيون الاخبار، ١٨٠/٢.

٤- فصلت / ٢٨.

٣- يوسف / ٢.

٥- الزمر / ٢٨.

على بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم ٤٩

لا عوجاج له ولا يمكن تعويجه بالعلاج، لان التعبير بغير ذى عوج انما هو كالتعبير بغير ذى زرع في الدلالة على انه لا يمكن من تغييره بالعلاج الصناعى، لانه ليس بمزروع بالفعل وبما ان القرآن بلسان عربى غير ذى عوج فانه يلزم الاطلاع التام على قواعده لكى ينال لفظه بادئا ومعناه ثانيا. وقد وصف الله سبحانه هذا اللسان مرة بانه غير ذى عوج وتارة اخرى بانه عربى مبين اى يبين الالسنه و لا يبينه الالسنه. فلهذا اللسان خصيصة لا توجد في غيره كما اوعز اليه سبحانه بقوله:

لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين^١.

فكما ان معانى القرآن معارف عالية الرفوف لا تناوشها الا العقول الراقية الرفيعة عن صعيد الحس والخيال والوهم حيث ان تلك المعارف كتب مرفوعة شأنها وصحف مطهرة ذاتا، كذلك الفاظه فانها جعلت بلسان عربى مبين لا تنال قواعده الا الادباء والفصحاء والبلغاء فيما يتصل الى علومها الادبية التى هى فى بادى الامر فاذا تحصل الشرط البدئى- اى التطلع على قواعد العربى المبين- تصل النوبة الى معرفة معانى القرآن وشرائط تلك المعرفة، فكما ان الله سبحانه امر بتلاوته ورغب الناس اليها وبين لها آدابا من الاستعاذة عند القراءة حدوثا وبقاء حيث قال تعالى:

فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم^٢

اى استعذ بالله الذى لا ملجأ الا اليه. ولن تجد من دونه ملتحدا^٣ لكى

١- النحل/ ١٠٣.

٢- النحل/ ٩٨.

٣- الكهف/ ٢٧.

٥٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

لايسلّط عليك الشيطان:

انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون^١.

فادب التلاوة هوالاتجاء بالله حال القراءة لافى خصوص حدوثها بل فى تمام مدتها حدوثا وبقاء، ومن تلك الاداب الترتيل حيث قال سبحانه: ورتل القرآن ترتيلا^٢

ونحو ذلك من السنن التى تذكر للتلاوة، كذلك قد امر بالتدبر فيه وحث الناس اليه وبين له آدابا وسننا وجعل ذلك هوالتكليف الهام الالهى حيث قال تعالى:

كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوالالباب^٣
افلم يدبروا القول ام جائتهم مالم يات آبائهم الاولين^٤.
افلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً
كثيراً^٥.

وقال سبحانه:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفاها^٦.

الى غير ذلك من الآيات الحاثّة للتفكر والتعقل والتعلم لمعارف القرآن وبما انها ليست محسوسة ولا متخيلة ولا موهومة كما وانها ليست امورا اعتبارية امستها يد الاعتبار، بل امور وجودية حقيقية فلذا لا تدركها الحواس ولا تناوشها

١- النحل / ١٠٠.

٤- المؤمنون / ٦٨.

٢- المزمل / ٤.

٥- النساء / ٨٢.

٣- ص / ٢٩.

٦- محمد (ص) / ٢٤.

المخيلات والالوهام، لان الله سبحانه ووحده وعلمه المحيط بكل شئى وقدرته المسيطرة على كل شئى وحياته المطلقة التى لا يناله الموت... وما الى ذلك من الاوصاف الحقيقية التى يتنها القرآن فى حقل الالهيات... منزهة عن منال الوهم والخيال فضلا عن الحس وهكذا الوحي والنبوة والرسالة والامامة والخلافة والعصمة والملائكة واليوم الاخر بماله من المواقف.

فان كل هذه مما لا امكان لنيلها باطار الحس الظاهرى وان أمكن تخيل بعضها وتوهم بعضها الآخر، بيد ان معرفتها الصحيحة انما هى بالعقل المحض او الشهود التام ليس الا... ولذلك لا تكون علوم القرآن كالعلوم الطبيعية او التعليمية او الادبية مما يمكن ان ينال بالحس والتجربة او الاعتبار وان كان معيار جميع العلوم والادراكات هو العقل عند التحليل لاستناد جميعها اليه، الا ان لتلك العلوم مبادئ محسوسة ينالها الحس او مبادئ اعتبارية تنالها يد الاعتبار. اما العلوم الالهية المشار اليها فهى فوق الحس والاعتبار فلا تكون متحدة المساق مع العلوم التجريبية وغيرها مما له مساس بالمادة ذهنا وخارجا او خارجا فقط، وذلك لان تلك العلوم الالهية منزهة عنها مطلقا وبمعنى الكلمة بحيث يكون التعلق بها مانعا عن ادراك تلك العلوم حسبا ياتى بيانه عند التعرض لذكر الموانع عن معرفة القرآن.

واما الكلام -الآن- فى شرائطها: فمنها الطهارة عن اى رجس والنزاهة عن اى رجز. قال سبحانه:

انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمتسه الا المطهرون^١.

اى الذى ينال ما فى الكتاب المكنون عن الاجنبى المستور عن الغيرانما هو

٥٢ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

الانسان المطهر عما ينجسه وذلك الكتاب المكنون هو وعاء لهذا القرآن الكريم ومحيط به وبباطنته ومعناه ومقصده ولا تدركه الحواس .

(ثم) انه تعالى بعد عرض هذا الشرط الهام بين واجديه وما يتصل بهم وعرفهم للناس حيث قال :

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا^١.

ولما كان التطهير انما هو لازالة الآثار الباقية بعد زوال العين، فقد ذكره الله بعد الاذهاب فعناه انه لا مجال لعين الرجس ولا لآثره نهائيا في اهل البيت (ع) وهذا في مقام دفع الرجس رأساً لا في مقام رفعه بعد الوجود ومقتضى الحصر في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هو ان النيل بكنه القرآن الذي هو الكتاب المكنون مختص باهل البيت (ع) وهذا هو المعية المتحققة بين الثقلين التي افادها وتفوه بها الرسول الأعظم (ص).

فالقرآن ينادى بانه لا يدركه حق الادراك ولا يتناول مكتبته الا اهل بيت الوحي والعصمة (ع)، كما وانهم (ع) يدعون حق الدعوى بانه لا يناوش كنه القرآن ولا يعلم تاويله الا الراسخون في العلم وان العترة الطاهرة هم الراسخون فيه، وقد عقد له باب في الجوامع الروائية كما في بصائر الدرجات وغيرها^٢ وانهم عالمون بظاهرة القرآن وبباطنه وانه مآجع القرآن كله غير الاوصياء^٣ فمن كان طاهرا بانحاء الطهارة التي اصفها هي الطهارة عن رؤية الاخلاص كما قيل : «فمن رزق الطهارة حتى عن الاخلاص فقد منيح الخلاص»، فهو الحرى بالعلم بالكتاب المكنون ومن لم يطهر بجميع انحاءها بل تطهر ببعضها فقط فهو العالم

١- الاحزاب / ٣٣.

٢- البصائر، ٤ - ٢٢٠.

٣- البصائر، ٤ - ١٩٣.

٥٣ على بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم

بالقرآن على قدر طهارته، وحيث ان النيل بكنه القرآن مشروط بالطهارة التامة المعبر عنها بالعصمة وان العترة الطاهرة هم المعصومون بعصمة الهية، فلذا جعل الله سبحانه رسوله مبينا لكتابه ومفسرا له كما قال تعالى:

وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم^١

وقد مر مسبقا ان الائمة (ع) والرسول (ص) نور واحد لا اختلاف بينهم في الولاية وان امتاز الرسول (ص) عنهم (ع) بالنبوة والرسالة، فهم العالمون بتفسير القرآن وتأويله وظاهرته وباطنته كما هو قضية اطلاق المعية وعدم انفكاك احد الثقلين عن الآخر في مرتبة من المراتب الوجودية أصلا، ولا يمكن النيل الى جميع الحدود الالهية الا بالمراجعة الى العترة الطاهرة، كما لا يمكن للاعتماد على مانقل عنهم الا بعد عرضه على القرآن سواء في ذلك الاخبار المتعارضة وغيرها حسبما تواتر نقله عنهم (ع). وهذا - ايضا - مقتضى اطلاق المعية بينها والعارف بأسلوب الثقلين يعلم انه كيف يتوقف فهم كل منها على الآخر كي لا يلزم محذور الدور، بل انما يترتب عليه اثر التلازم وامتناع افتراق احدهما عن صاحبه.

والى ما ذكرنا من ان العلم ببطن القرآن وكذا تأويله عند العترة الطاهرة اشار مولينا الرضا (ع) لما قاله (ع) على بن محمد بن الجهم:

يا بن رسول الله (ص) أتقول بعصمة الانبياء؟ قال (ع): بلى، قال: فأتعمل في قول الله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى... حيث قال (ع): وبحكم يا على اتق الله ولا تسب الى انبياء الله الفواحش ولا تأول كتاب الله عز وجل برأيك فان الله عز وجل يقول وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم...^٢

١- النحل / ٤٤.

٢- امالي الصدوق، المجلس العشرون.

٥٤ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

فالمحصل: ان القرآن من الصحف المطهرة كما قال سبحانه:

... في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة^١

وقال ايضا:

رسول من الله يتلو صحفا مطهرة^٢.

وقد او عرنا مسبقا الى ان معرفة كل شىء فانها مسانحة مع ذلك الشىء، اذاً فعرفة الصحيفة المطهرة لابد وان تكون مطهرة عن رهن الوهم ورين الخيال وصداء الغفلة. ومن البين ان المتوهم والخيال وذلك المبتلى بصداء الغفلة لا ينال المعرفة المطهرة ولا تجعل هى نصيباله وقد عرف الله سبحانه المطهرين وهم العترة المعصومة (ع). ثم انه تعالى حث الناس فى تحصيل الطهارة فقال:

ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين^٣

والله يحب المتطهرين^٤

لان الحكم بمحبوبة الانسان المتطهر لله سبحانه ترغيب لهم فى تحصيل ملاك المحبة وقد بين سبحانه طرق التطهير. فمنها بالانفاق فى سبيل الله كما قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها^٥

ومن ذلك رعاية الحجاب والعفاف كما قال تعالى:

... واذا سألتموهن متاعا فسنلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر

لقلوبكم وقلوبهن^٦.

١- عيس/ ١٤.

٢- البينة/ ٢

٣- البقرة/ ٢٢٢.

٤- التوبة/ ١٠٨.

٥- التوبة/ ١٠٣.

٦- الاحزاب/ ٥٣.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٥٥

ومنها الطهارة المائية والترابية لما يشترط بها كالصلوة، قال تعالى:

... وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا... ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم... .

اذ المراد من الطهارة في هذه الآية ليس هو مجرد النظافة والا لما اعتبر فيها القربة (اولا) ولما كانت حاصلة بالتراب كما في التيمم (ثانيا) اذ ليس ترتيب الوجه واليدين تطهيرا لصاحبه، بل المراد منها الطهارة عن دنس الهوى والنزاهة عن رجس الغرور وما الى ذلك وان يصحبها النظافة الظاهرية في الجملة ايضا ومن طرقه: التردد الى المساجد المؤسسة على التقوى لاقامة الصلاة ونحوها كقوله تعالى:

... فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهّرين^٢

وما اليها من الشواهد التي يدلنا على ان اساس الطهارة هو العبادة لله سبحانه فيما امر به او نهى عنه فمن كان اعبدوا طوع له تعالى فهو اطهر وازكى ويحظى من الصحف المطهرة باكثر وافر واما المستكف والمستكبر عن عبادته فهو عنصر متدنس برجس الطغبان وبرجس العمّة في سكرة الطبيعة فلانصيب له من تلك الصحف المطهرة لفقدان شريطة المعرفة وهي الطهارة، كما قال تعالى: ... ومن يرد الله فتنة فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي وهم في الآخرة عذاب عظيم^٣.

والمراد من الارادة في هذه الآية هي التكوينية منها دون التشريعية

١- المائدة / ٦.

٢- التوبة / ١٠٨.

٣- المائدة / ٤١.

لاطلاقها وسعتها بالنسبة الى جميع المكلفين، حيث انه تعالى اراد بارادة
تشريعية عامة ان يطهر جميع العباد ويزكيهم، ولذلك جعلهم تجاه التكليف
المطهرة لهم المزكية اياهم سواسيه، ولكن قد اعرض طائفة منهم عنها وغرهم
الحياة الدنيا واشتروها بالحياة الآخرة فاولئك الذين لم يرد الله تكويننا ان يطهر
قلوبهم كما وان الارادة في آية التطهير هي التكوينية منها لانها هي المختصة
بالعرة الطاهرة. واما ارادة التطهير بارادة تشريعية فهي عامة لغيرهم ايضا.
ومن الشواهد على ان الطهارة في هذه الآيات هي الطهارة المعنوية
قوله تعالى: ... لم يرد الله ان يطهر قلوبهم... حيث انه جعل متعلق
التطهير قلوب هؤلاء وبواطنهم لا ابدانهم والظواهر منهم، وهذا
بالذات- كما ان الله سبحانه قد اراد بارادة تشريعية عامة ان يرتفع
جميع العباد من حضيض عالم الطبيعة لكي يرتقوا الى ماوراهها لذلك كلفهم
بامور عبادية يتقربون بها الى الله الذي هو الكمال المحض اى يرتفعون اليه ولم
يخص بعضهم دون بعض بما يوجب الرفع بل اذن لهم جميعا ان يتكاملوا وجعل
جميع الامكنة والازمنة في ذلك سواء بالاذن التشريعي العام. بيد انه تعالى جعل
المساجد والمشاهد المشرفة بيوتا خاصة واراد واذن تكويننا ان ترتفع تلك الاماكن
بحيث لا يمكن ان يمانعه شئ. حيث قال تعالى:

... في بيوت اذن الله ان ترفع^١

فالاتيان الى المساجد والتردد الى المشاهد المشرفة يوجب الترفع المدح
كما قال تعالى:

... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات^٢.

٥٧ عل بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن الحكيم

فاذا اصبح الانسان المتعبد بما امره الثقلان رفيعا باذن الله تنال يد عقله
صحفا مرفوعة عن نشأة الحس والخيال والوهم وعن موطن الطبيعة.
وما ذكره بان يظهر لنا: ان هنا شرطا آخر لمعرفة القرآن هو الرفعة عن
حضيض الطبيعة وان العترة الطاهرة (ع) واوليائهم وتابعيهم هم المرفوعون من
عند الله. وان طريق تحصيل تلك الرفعة اتيان المساجد والمشاهد الرفيعة والتعبد
بما امره الكتاب والعترة وان المعرضين عن تلك البيوت الرفيعة والذين لم يتعبدوا
بما في الكتاب والسنة، اولئك لم يرد الله ان يرفعهم عن حضيض الطبيعة
تكوينيا وان اراد رفعهم عنها تشريعا، كما قال تعالى:

... ولوشنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه^١

حيث إنه تعالى اراد رفعه تشريعا وآتاه من آياته، الا انه بالذات انسلخ
منها ومال الى الارض ولم يحصل شريطة ارادته التكوينية لرفعته، فلذا لم يرد الله
ان يرفعه تكوينيا، وقد انصرح ان استنباط هذا الشرط انما هو من توصيف الله
سبحانه تلك الصحف الالهية بالرفعة وممرسقا ان معرفة كل شئ فانما هي
من سنخه وعليه فلا بد في معرفة الصحيفة الرفيعة من رفعه عارفها، حسبما تقرر
في شرطية الطهارة للمعرفة اذ توصيف الصحيفة بالرفعة بمثابة ان يقال... لا يمسه
الا الذين رفعهم الله مكانا عليا.

ومن هنا يظهر- ايضا- ان من شرائط معرفة القرآن الكرامة عن كل دنية
لان من اوصاف الصحف الالهية التي يكون القرآن من اشرفها هو التكرم
الالهي، كما قال تعالى:

في صحف مكرمة... بايدي سفرة كرام بررة^٢

١- الاعراف / ٧

٢- الواقعة / ٧٧.

كما وانه تعالى وصف القرآن - ذاتيا - بالكرامة، حيث قال: «إنه لقرآن كريم»^١ فالمستفاد منه ان القرآن مظهر للاسم الكريم حيث انه من الاسماء الحسنى الالهية لقوله تعالى:

... قال هذا من فضل ربي ليبلوني الاشكرام اكفرومن شكر فاعلموا ينكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم^٢.

وغير خفي للقارئ الكريم ان توصيف كتاب بوصف خاص يرشدنا بطبيعته الى لزوم تحصيل مايرتبط منه الى من يباشره ويزاوله في معرفة ذلك الكتاب. خذ مثالا ان توصيف القرآن بانه عرى مبين يدلنا على ان العارف بالقواعد العربية هو الذي يقتدر على عرفانه، فكذلك توصيفه بالكرامة يدلنا على ان الانسان الكريم هو الذي يتيسر له معرفته، لان الرسول الكريم وكذلك القرآن الكريم لا ينطقان الا بالكرامة فنلاحظ له منها كيف يقتدر على عرفانها. وقد بين الله سبحانه مدار الكرامة وانها هي التقوى ليس الا. اذ يجدوثة تحدث الكرامة وببقائه تبقى وبشدته وقوته تشتد الكرامة وتقوى حيث قال تعالى:

... ان اكرمكم عندالله اتقاكم^٣.

وبزواله تنزول وتنفي رأسا اذ لوزال التقوى بالطغوى لزال الكرامة بالإهانة كما قال تعالى:

١- الواقعة/٧٧.

٢- النمل / ٤٠.

٣- الحجرات / ١٣.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٥٩

... ومن ين الله فانه من مكرم^١

لان الله تعالى لا يكرم الا المتقين فمن انسلخ عن التقوى بالطغيان فقد تبدل كرامته بالهوان بسوء اختياره فلا نصيب له من كتاب يحوم حول الكرامة وتحوم حوله الكرامة، فعليه تكون الكرامة عن الدنائة الدنياوية شرطا هاما لمعرفة القرآن الكريم لان توصيفه بالكرامة في قوة القول يانه لا يمسه الا من اكرمه الله عن عَرَض هذا الادنى فالنتيجة المنطقية والطبيعية هي ان من غرته الدنيا وباع حظه بالارذل الادنى وشرى آخرته بالثمن الاوكس وتغطرس وتردى في هواه لا يرث من الكتاب الكريم شيئا وان تلاه وقبله وجعله على راسه احيانا والسر هو ما اوعزنا اليه مسبقاً.

ومن تلك الشرائط: معرفة الغيب والايمان به في الجملة، اذ القرآن كما تقدم يخبر عن الغيب وباطن العالم فالذى يرى ان الوجود يساوق ويساوى للمادة وان كل موجود فهو مادي ليس الا. وان مالا مادة له فهو غير موجود حقيقى بل خرافى ابدعه الوهم ونسجته يد الخيال فلا حظ له عن كتاب يقسم الموجود الى الغيب والشهادة وان بعض الموجودات ليس بمادى وان معيار المعرفة ليس هو الحس وحده بل له وللتجربة عون لما هو المعيار الاصيل في المعرفة الذى هو العقل والشهود وان منشاء اعتبار الحس والشهادة هو العقل المجرد الذى هو بنفسه غيب عن عالم الطبيعة. ولقد بين الله سبحانه سر عدم انتفاع من حصر الوجود في المادة بقوله تعالى:

... ولكن اكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن

الآخرة هم غافلون^٢.

١- الحجج / ١٨.

٢- الروم / ٧.

٦٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

يعنى انهم لا يعلمون باطنة الحياة الدنيا وهى الآخرة وهى مع انها موجودة لا تكون مورداً لالتفاتهم بل هم عنها غافلون ولذا امر رسوله (ص) بالاعراض عنهم لعدم بلوغ علمهم النصاب اللازم لمعرفة القرآن، كما قال تعالى:
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل سبيله وهو اعلم بمن اهتدى^١.

والذى يصحح هذا الإعراض ويوجب الهجر الجميل هو ان القرآن وان انزل هدى للناس فى اى مصرو عصر الا ان معارفه المبتنية على الغيب لا تثمر لمن ينادى بانه لا يؤمن بشئ حتى يحسه ويراه جهرة، فلذا قال تعالى:
... هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب^٢

وهذا الشرط ايضا كغيره من الشرايط القادمة والغابرة يحمل درجات فن كان واجدا لها جميعا فانتفاعه بالقرآن اكثروا اكثر... ومن كان واجدا لبعض درجاته فانتفاعه منه بذلك المقدار ايضا، كما وان القرآن العيى -وهو الرسول (ص)- قد ارسل للناس اجمع، كما قال تعالى:
وما ارسلناك الا كافة للناس بسيرا ونذيرا^٣.

لكن الذى ينتفع منه هو خصوص المؤمن بالغيب، فلذا قال تعالى:
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا^٤

والمطالع الخبير الفطن يقف على اهمية هذه الشريطة مقيسا الى غيرها من الشرائط، ولوقيل بانه اهمها لم يجزف فى القول، وذلك لان الشرائط التى تتصل

٣- سبأ/ ٢٨.

٤- آل عمران/ ١٦٤.

١- النجم ٣٠-٢٩.

٢- البقرة ٣/ ٢.

٦١ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

الى العقل العملى ليست فى رتبة الشرائط الراجعة الى العقل النظرى، كما وان العقل العملى -ايضا- ليس فى مرتبة العقل النظرى، مثلا ان الطهارة عن دنس التعلق بالعرض الادنى وكذا الكرامة عن هذه الدنيا الدنيئة والرفعة عن حضيض التعلق بالمادة وزخرفها وزبرجها وزهرتها وما اليها من الاوصاف النفسانية الراجعة الى العقل الذى يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان من شئون العقل العلمى، واما اساس المعرفة ومعارها العقلى المذعن بان الموجود على قسمين احدهما غيب والاخر شهادة وان الله ووجدانيته وسائر اوصافه الذاتية غيب عن موطن الطبيعة ومنزه عن رجسها ومطهر عن رجزها، وكذا الملائكة والوحى والنبوة والرسالة والخلافة الالهية والعصمة والعلم بالمغيبات والاخبار عنها وما الى ذلك من المعارف القرآنية، ترجع - كل ذلك - الى عالم الغيب الذى لا تدركه الحواس ولا تناوش فى اطار التجربة، ولا تناله يد الاعتبار الاجتماعى، ولا يمس كرامته نسيج الخيال والوهم الشعرى فاساس العلوم القرآنية على المجردات الغائبة عن الاوهام فضلا عن الحواس فاهم الشرايط اللازمة لمعرفة القرآن انما هو جعل معيار المعرفة العقل المنزه عن الطبيعة وتسلم ان الوجود باطلاق كلمته ليس منحصر فيها بل هو ينقسم اليها والى ماورائها وعندئذ: يتمكن من التدبر فى القرآن والاستنباط منه والاعتماد عليه والسناد اليه والاستدلال به والانتفاع بهداه وذلك بعد احراز سائر الشرائط ايضا.

ولئلا -الآن- بنماذج من المعارف الغيبية التى افادها القرآن الكريم وانه كيف انكرها الملاحدة متعجبين ومشمئزين منها وكيف عبروا عنها بالاساطير... وذلك لانهم لما تغلب على اوهامهم ان الموجود هو المحسوس ليس الا، وان ما لا يناله الحس بجوهره فان فرض وجوده محال، وان مالا يتخصص بمكان ولا يتحيز ولا يوضع بذاته كالجسم او بسبب ما هو فيه كاحوال الجسم...

٦٢ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

فلا حظ له من الوجود نهائياً^١. فكانوا يقولون:

... وما يهلكنا إلا الدهر^٢

وكذا يقولون:

لن نؤمن لك... أوتاني بالله والملائكة قبلاً^٣

أى: تأتي بالله حتى نراه مقابلاً وكفاحاً مادياً وكذا تأتي بالملائكة حتى نراهم مقابلين لنا ومن البين أن من يحمل من العلم هذا القدر الزهيد التافه كيف يتيسر له أن يدرك الله الذى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن أين يتمكن من عرفان النشأة الغائبة التى لا ترى الملائكة إلا فى تلك النشأة أوفى تلك الحالة لمن لم ينتقل بعد إلى تلك النشأة، كما قال تعالى:

يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ ويقولون حجراً محجوراً^٤

وكذا كانوا يقولون:

لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم^٥.

لأنهم قد اخلدوا إلى الأرض وظنوا أن الاصلة للمادة وأن الواجد لزخارفها وزبارجها هو العظيم وأن النبوة شأن مادي له عظمة فلا بد وأن يختص لمن يكون عظيماً. ومن الواضح أن من حظى بهذا العلم الأتفه لا يسر كيف يتيسر له إدراك أن النبوة شأن إلهي هام يحمل قداسة معنوية عظيمة لا يناهاها إلا

١- الاشارات، النقط الرابع، الفصل الاول.

٢- الفرقان/ ٢٢.

٣- الجاثية/ ٢٤.

٤- الزخرف/ ٣١.

٥- الاسراء/ ٩٢.

٦٣ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

صاحب الخلق العظيم والملكات النفسانية المعظمة كالعصمة وماليتها، ولذلك نراه يتهوس ويبدى بانه. «لن يؤمن حتى يوقى مثل ما أوتى رسل الله». على حذما حكاها عنهم

قوله تعالى:

بل يريد كل امرئ منهم ان يؤنى صحفاً منشرة^١.

وكذلك كانوا يقولون:

ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين^٢

ويقولون:

أذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد^٣

اي بعيد عن الامكان ومستبعد عن الدليل العقلي المزعوم. فكان من الطبيعي لهم ان يستوحشوا من المعاد ويتعجبوا منه بقولهم:

هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد^٤

ومن اللائح ان الذى نطاق علمه بهذا الضيق كيف يتمكن ان يدرك ان الانسان لا يفوت بالموت بل يتوفى وانه لا يضل في الارض بل ينتقل من دار الى اخرى.

فهذه نماذج مما يرجع الى المبدء والمعاد والوحى والنبوة المبتنية - بأكملها - على ان الحس ليس هو المعيار الوحيد في المعرفة وان الموجود ليس منحصراً في

٣- ق / ٣.

٤- سبأ / ٧.

١- المدر / ٥٢.

٢- المؤمنون / ٣٧.

٦٤ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

المحسوس. لذلك نرى الملحدّين المتغلب على اوهامهم ان مالائنا له الحس فهو ممتنع الوجود يتفوهون حول المعارف الغيبية بانها ليست:
الا اساطير الاولين^١.

وحيث ان تلك المعارف الغيبية من مشتركات النبوة بلا اختصاص لها بنبي دون نبي كذلك هذه الاقاويل ايضا من مشتركات الجاهلية المادية من دون خصيصية لها بملحد دون آخر، فلذا نرى هذا القول الباطل في غير مورد من القرآن الكريم ناقلا له عن ملاحظة كل قوم وعصر قبال كل نبي ورسول. ولا يبلغ اقصى شبهات الماديين اليوم رغما لرقى الصنائع والحرف ولا يتعدى اعضل مشاكلهم الاعتقادية عما ابداه اسلافهم الملاحدة، لأن قلوبهم متشابهة متسانخة وان اختلفت سنتهم والوانهم وسائر خصائصاتهم. فكما ان السلف الصادق عن سبيل الله كان يقول بمثل:

يا شعيب مانفقه كثيرا مما تقول^٢

كذلك الخلف الطالح يعبر عن ما وراء الطبيعة بالتحجر والارتجاع وما الى ذلك من الافك كالقول بان الدين مخدر وافيون للشعوب و

الى هنا انتهى الكلام في المقام الاول الباحث عن شرائط معرفة القرآن، ويمكن ان نتعرض لما لم يبحث عنه هنا في المقام الثاني المعقود حول موانع معرفته كما وانه قد تعرضنا لبعض تلك الموانع في ثنايا البحث عن الشرائط لان كل مايكون شرطها ينتزع من مقابله المنع عنها، لذلك فقد يذكر وصف كمالى شرطها وقد يذكر مقابله مانعا عنها حسبما يظهر من الآى المبحوث عنها في

١- الانعام / ٢٥.

٢- هود / ٩١.

المقامين، وعليه: فلنعطف المقال الى المقام الثاني.

المقام الثاني: في موانع معرفة القرآن

كما ان للعين شرائط خاصة يقتضيها ويصححها وموانع يمنعها ويبطلها كذلك للعلم شرائط يوجبها وموانع يمنعه، وذلك لان النظام العلي لا اختصاص له بالعين بل يعم كل موجود لا يكون وجوده عين ذاته حسب افاده مولينا الرضا (ع):

كل قائم في سواه معلول^١.

وقد مر سبقا بيان الشرائط الهامة لمعرفة القرآن واستفد في ضوءها الموانع عنها بنحو الاجمال، بيد ان القرآن الكريم لم يكتف في عرض تلك الموانع بالبيان الاجمالي والضمني بل تعرض لها بالتفصيل وحذر عنها بصراح، وكما ان الشرائط كانت على قسمين: احدهما ما يتصل الى العقل النظري والاخر الى العقل العملي، كذلك الموانع على صنفين: احدهما يتصل الى الجهل المقابل للعلم والاخر الى الجهل المقابل للعقل المستعمل في لسان الثقلين بمعنى ما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان اى العقل العملي الموجب لعقال الغرائز الجموحه والاهواء الطاعية. فلنأت بتلك الموانع بلا استيعاب الفرق بين الصنفين منها وان امكن الاشارة الى ذلك اجمالا على وزان ماتقدم في الشرائط.

فمن تلك الموانع بل اهمها هو الجهل بان الموجود على قسمين احدهما غيب والاخر شهادة بزعم انحصاره في الطبيعة المشهودة بالحواس كان هذا هو السبب في انهم لما سمعوا المعارف الغيبية ساء المعاد زعموا انها امور طبيعية تدرك

١ - التوحيد، ص ٣٥، عيون الاخبار الرضا (ع) ١/١٥١.

٦٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

بالحواس، فلما لم يجدوها في نشأة الدنيا المحسوسة انكروها، كما اوعزاليه سبحانه بقوله:

واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حججهم الا ان قالوا اتنوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يخيبيكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون^١

اذ الجهل بان القيامة غيب لا تنال بالحواس الدنياوى وانها انما تظهر بعد تبدل النشأة الدنياوية هو الذى حداهم لذلك الاحتجاج الداحض عند ربه وهذا هو الجهل المقابل للعلم حسبما ذيلت الآية به وهو قوله تعالى: ...ولكن اكثر الناس لا يعلمون.

وهذا المانع هو الداء العضال الموجب للإلحاد سيما عند رقى الصنائع ومشاهدة آثارها الطبيعية في الفضاء والبرارى وفي البحار و... حيث ان وليد التفكير المادى وناتجه الحاصر للوجود في المحسوس هو ان الشئ اذا وسم بالوجود فلا بد وان يتطلع عليه بالحاسة سواء في الارض ام في السماء، فاذا لم يحس به في الموضوعين يحكم جزميا بانه معدوم ليس الا... وان الاعتقاد به اسطورة، كما قال فرعون:

يا هامان ابن لى صرحا لعل ابلغ الاسباب، اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا...^٢

غافلا عن كون وجود الله سبحانه غيبا لا تدركه الاوهام فضلا عن الحواس وجاهلا عن كونه تعالى:

١- الجائبة / ٦ - ٢٥.

٢- الغافر/ ٣٦.

٦٧ عل بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

هو الذي في السماء اله وفي الارض اله^١

فكما انه سبحانه اله في الارض لا يرى بالحس كذلك هو اله في السماء لا يرى بالحاسة فلا يجدى ولا يعالجه الصرح الرفيع، كما لا تنفع المراصد وما اليها من الادوات وجهازات العلوم المادية لان الذي فيضه تعالى داخل في كل شيء حتى الصرح لا بالمجازة وخارج عنه لا بالمزايلة كيف يمكن ان يحيط به الحس المسلح او غيره....!

وحصيلة الكلام: ان الجهل بأن الله سبحانه غيب عن الحواس هو الموجب لتفوه فرعون بمقاتته التافهة وهو المانع عن معرفة القرآن المنادى بانه تعالى لا تدركه الابصار فشريطة المعرفة عند المنكر المادى الملحد هو- بالذات- رادع عن عرفان الله واسمائه الحسنى الغيبية، كما افاد مولينا الرضا (ع) في جواب من سئله...

«كيف هو واين هو؟» فقال (ع): ويلك ان الذي ذهبت اليه غلط هو آتينا الاين بلاين وكيف وكيف بلا كيف فلا يعرف بالكيفية ولا بآينونية ولا يدرك بجاسة ولا يقاس بشيء. فقال الرجل: فاذا انه لاشيء اذالم يدرك بجاسة من الحواس، فقال ابو الحسن (ع): ويلك لما عجزت حواسك عن ادراكه انكرت ربوبيته ونحن اذا عجزت حواسنا عن ادراكه ابقنا انه ربنا بخلاف شيء من الاشياء^٢....

نرى الامام (ع) يصارح بان عجز الحواس عن ادراك الله الذي هو غيب منزّه عن اطار الطبيعة هو الذي اوجب انكار القائل باصالته وان معيار المعرفة هو الحس، ولكن العقل المحض لما تبين له ضرورة وجود الحق سبحانه وضرورة

١- زخرف / ٨٤.

٢- الكافي، باب حدوث العالم.

تنزهه عن المادة ولواحقها ولوازمها وضرورة تجرده عن الطبيعة واحكامها ايقن انه تعالى لا يماثله شيء، واكثر معارف القرآن يحوم حول وجود الرب تعالى واسمائه الحسنى وجميع ذلك مما تعجز الحاسة عن ادراكها، اذا فن اين يتيسر لذلك المتفكر المادى الذى اقتطع معرفته على الحس القاصر عن عرفانها ان يعرفها ويعترف بها، ومن اين يتمكن ادراك ما قال فى شأنه مولينا الرضا (ع):

...عجزت دونه العبارة وكلت دونه الابصار وضل فيه تصاريف الصفات. احتجب بغير حجاب محبوب واستر بغير ستر مستور عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم لاله الا الله الكبير المتعال^١.

فتبين بذلك ان الفكرة المادية والجهل بان مقتطع المعرفة ليس هو الحس وحده وان الموجود لا ينحصر فى المحسوس وان الغيب ليس اسطورة نسيجة يد الخيال، هو المانع له عن استماع هتاف النبوة وشهود جمال الوحي واستنشاق رائحة الرسالة وذوق طعم الدين.

ومنها - اى من تلك الموانع - الذنب الملازم لا تباع الهوى وطول الامل، المعبر عنه بالرجس تارة وبالرجز اخرى، الموجب لضيق القلب وختمه ولرين الصدر وطبعه ولزيف الروح وقفله، وذلك لان الذنب حجاب بين الانسان المبتلى به وبين الحق الذى من اظهر مصاديقه القرآن، الذى بالحق انزله الله وبالحق نزل، ولانه مقابل للطهارة ومناف للكرامة ومباين للتقوى ومضاد للرفعة ومخالف لاي وصف كمالى قد مر مسبقا فى المقام الاول كونه شريطة معرفة القرآن، فيكون الذنب رادعا عنها، اذ الرجس لامساس له بالطاهر، وكذا اللثامة لا تحوم حول الكرامة، والطفوى لا يصاحب التقوى والضعة لا تلائم

١ - الكافى، باب النهى عن الجسم والصور.

٦٩ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

الرفعة... وبالجمله: الناقص لايمس كرامة الكامل مادام ناقصاً، فلذا قال
سبحانه:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب افقافها^١

والذى تفيدنا وتتحفنا هذه الاية الكريمة، عدا حجية ظواهر القرآن
وامكان استنباط المعارف منه وعدا التحريض والترغيب الى التدبر والتأمل
فيه.. هوان المتدبر فيه انما هو القلب الخلبص المجرد دون القلب وهو الحس
المادى وان له بابا يتفتح تارة ويقفل ويغلق اخرى، وان للقلب قفلا خاصا به
يففل، وان الكفر والنفاف وما الى ذلك من الحجب الظلمانية اقفال للقلب
مانعة له عن التدبر فى القرآن، وان الايمان والخلوص وما يناظره من الاوصاف
الوجودية الكمالية مفاتيح للقلب شارحة له ومصححة لان يتدبر فى القرآن
وماله من الامور المستنبطة منها لولا الذنب الحاجب المعداد قفلا للقلب،
ولكن المذنب اذالم يتبل بالجهل المتقدم المقابل للعلم ولم يعتقد بان المعيار
الفريد للمعرفة هو الحس وان الوجود ينحصر فى المحسوس وان الغيب اسطورة و
خرافة لا وجود وحقيقة له وتدبر- هذا المذنب- فى القرآن... يعرف المقدار اللازم
من المعارف القرآنية، وتم عليه الحجة وان لا يوفق لنبل المعارف العالية منه ولا
يتفتح له باب الغيب لكى يشاهده كفاحا بالقلب، وذلك لان الذنب بما هو
ذنب لو كان مانعا عن ادراك النصاب اللازم لما قامت الحجة على الكفار
والمنافقين اذ المفروض انهم لذنبهم لم يعرفوا مودى ما يحتج به القرآن على التوحيد
ونفى الشرك وما اليهما. ولو فرض توقف العلم بالحق على الايمان به وترك الذنب
لدار الامر.

٧٠ المؤتمر العالمي للامام الزصاعليه السلام

وعليه فالمراد من مانعية الذنب هوان المذنب لما ولى وجهه شطر الباطل واشتاق اليه واغتربه لايميل طبعاً الى التدبر في القرآن الهادى له الى الحق والابتهاج به والاتقاء عن الباطل والغروره، ولعل ذلك هوالموجب لبعض المذنبين ان يجعل اصبعه فى اذنه ويستغشى ثوبه حتى لايسمع دعوة نبيه، كما حكاه الله عن قوم نوح فى قوله تعالى:

...وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا استكباراً^١.

ومن هذا القبيل قوله تعالى:

الا انهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون انه علم بذات الصدور^٢.

لان منشأ هذا الاختفاء (تارة) الجهل بان الموجود ليس منحصراً فى المحسوس وان الغيب ليس باسطورة (وتارة) اخرى الاشتمزازو الانزجار عن استماع الحق كانهقباض المزكوم من رائحة المسك . والى بعض ماذكريوعزكلمة الامام الرضا (ع) فى الذين رغبوا عن اختيار الله واختبار رسول الله (ص) واهل بيته الى اختيارهم: والقرآن يناديهـم:

وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمايشركون^٣.

وقال تعالى:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفاها^٤

١- نوح/٧.

٢- قصص/٦٨.

٣- هود/٥.

٤- الكافي، باب نادر جامع فى فضل الامام وصفاته ٢٠١/١.

حيث انه (ع) استدل بان اقفال القلوب وذنوبها هى التى منعهم عن التدبر فى الايات الدالة على ان تعيين الامام ونصبه ليس بايديهم واختيارهم ولو انهم تدبروا فيها لعلموا ان تعيينه (ع) انما هو بخيرة الله سبحانه. وكما ان الذنب والرجس والرجز والدنس وما الى ذلك من العناوين الدارجة فى لسان الثقلين تمنع عن التأمل فى نظام الكيان والتفكر فى الايات التكوينية، كذلك تحجب عن التدبر فى فحوى الايات التدوينية والاستنباط منها، كما قال مولينا الرضا (ع) فى جواب من قال:

... فلم احتجب ؟ - اى الله سبحانه -: ان الاحتجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم فاما هو فلا يخفى عليه خافية فى آناء الليل والنهار^١.

يعنى (ع) ان الذنب حجاب عن المشاهدة الفكرية لقوم والمشاهدة القلبية لقوم آخرين اذ الفطرة التى فطر الله الناس عليها شاهدة للحق حاكمة اياه، والذنب غبار على هذه المرآة الصافية فهو - اى الذنب - حجاب مانع عن المعرفة الفطرية من جهة وعن المعرفة الفكرية من جهة اخرى وعن المعرفة الشهودية الكاملة من جهة ثالثة، فلذا يصح استناد الحجب اليه فى مباحث شتى. ويمكن الفرق بين الجهل والذنب بان الجهل مانع عن المعرفة والذنب مانع عن الاعتراف. والجهل حاجب عن التعليم والذنب حاجب عن التزكية. والجهل مغلاق القلب عن الحكمة والذنب قفل له عن العظة وداع الى الغفلة... وما الى ذلك، مما يرجع احدهما الى العقل النظرى والاخر الى العقل العملى مع مالهما من المساس التام والتلازم فى غير مورد، وبما ان القرآن: يدعوا الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل الناس بالتي هى احسن مع الصلة الانبثق بين هذه الطرق، فلكل منها شريطة تصحح تحققه ومانع

٧٢ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

يصد عنه ويمنعه فالجهل اشد منعا عن العلم والحكمة النظرية والذنب اغلظ حجبا عن العظة والحكمة العملية، كما وان الحمية الجاهلية هي الحالقة للدين المانعة عن الجدال الاحسن اشد منعا، وكما أن الصمم مانع عن استماع الهاتف والاصوات وان العمى حاجب عن النظر في المصحف وان الخرس مانع عن القراءة، كذلك صمم الصدر وعمى القلب وخرس النفس مانع عن الادراك حاجب عن الاذعان وصاد عن الاتعاظ والتزكية ومالى ذلك من الاهداف العالية للرسالة.

والى ذلك يشير كلمة مولينا الرضا (ع):

...ولكن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلك قوله عزوجل «ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا» يعنى اعمى عن الحقائق الموجودة الى ان قال (ع) وانما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتغيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة في وصفهم الله بصفة انفسهم فازدادوا من الحق بعدا ولو وصفوا الله عزوجل بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا فما طلبوا من ذلك ماغيروا فيه ارتبكوا والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم^١.

لأن الذى يفيدنا ويتحفنا بيانه الاثيق هو: ان التيه والعمى والصمم كما يعترض السمع والبصر وغيرهما من الحواس الظاهرة كذلك يعترض للقلب والبصيرة ونحوهما من المشاعر الباطنية وأن الجهل بما هو معيار المعرفة موجب للتجحر والتباعد من الحق فى معرفة ان الله تعالى موجود مطلق محيط بالدنيا والاخرة، وانه ليس كمثله شئ وانه واحد لا شريك له ولا ثانى

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٧٣

له حتى يقيمه او يعضده ويمسكه اذ الخلق يحتاج الى من يقيمه ويمسكه دون الخالق الغنى المحض. والغرض هوان لمعرفة القرآن الباحث عن الغيب شرطا يصححه ومانعا يصدعنه وهو لاء الجهال لما اخلوا بالشرط تاهوا وعموا وصموا ولوانهم لم يخلوا به لوصولوا الى الفهم واليقين. وليبانه (ع) فوائد جمة نشير اليها في المباحث المقبلة انشاء الله تعالى.

وكل ما افاده (ع) يستفاد من القرآن الدال على ان نزول البركات العينية والعلمية مشروط بالتقوى واخلاص العمل لله، وممنوع بالذنب والاعراض عن ذكر الله ونحو ذلك، فكما أن التقوى شريطة انفتاح ابواب الرزق العيني، حيث قال سبحانه:

ولوان اهل القرى آمنوا وانفقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون^١

كذلك شريطة لانفتاح ابواب الرزق العلمى كما قال تعالى:

ان تتقوا الله يجعل لكم فرقا^٢نا....

وكما ان التكذيب والطغيان يمانع عن انفتاح ابواب الرزق الغينى، حيث قال تعالى:

.... ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون .

كذلك يمانع عن تفتح ابواب الرزق العلمى التى من اهمها وانفعها هو معرفة القرآن، كما قال تعالى:

سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل

٢ - الانفال/ ٢٩.

١ - الاعراف/ ٩٦.

٧٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين^١.

وقال أيضاً:

.... صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون^٢

وهذا هو قفل القلب الرادع عن التدبر في القرآن على حد استدلال مولينا
الرضا(ع): لبيان كون الإمامة بالنصب والتعيين لا الاختيار والتوكيل بقوله تعالى:

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها^٣.

لظهوره في أن للقلب قفلاً يمنع عن إدراك الحق وعرفان القرآن، ومن
الممكن أن يستفاد من هذه الكريمة أن الحرمان عن الرزق العلمي مساند إلى
قفل القلب وانغلاقه لا إلى غلق باب الرحمة الإلهية لأنه مفتوح على الدوام ومنه
نزول الفيض العلمي كالعيني دائماً ابداً، وإنما التفاوت من ناحية القابل دون
الفاعل، فهو سبحانه دائم الفيض على البرية وإن كان المذنب مقفول القلب
محروماً منه، فهو وإن فرح بما عنده من العلم وحسب أنه يحسن صنعاً، بيد أنه في
حجاب وكنان لا يشعر هو به وهذا الكنان من القابل بسوء اختياره ونوافي بيانه
فيما يلي:

تبصرة: في بيان كيفية استناد ختم القلوب إلى الله سبحانه

أن لكل موجود لا يكون وجوده عين ذاته سبباً به يتحقق ويمتنع دونه وإن
كل سبب فهو مفتاح مسببه، به يفتح وبدونه لا انفتاح له بل لا يزال على غلقه

١- الاعراف / ١٤٦.

٢- التوبة / ١٢٧.

٣- محمد(ص) / ٢٤.

٧٥ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ..

وان سلسلة الاسباب تنتهى الى مسببها الذى هو الله سبحانه وان بيده تعالى مفاتيح السموات والارض ومقاليدها فاذا اراد امرا اجراه بسببه الذى هو مفتاحه الخاص واذا لم يرد شيئا لا يفتح باب سببه المخصوص ولا مرّد لارادته بالفتح ولا راد لعدم ارادته به، كما قال سبحانه:

وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو^١.

يعنى تعالى ان الخازن وكذا مفاتيحها الغيبية مشهودة عنده ومقدورة له
لانه:

هو الفتح العليم^٢.

فيهدف تعالى انه عالم بالمخزون وبمفتاحه وبمورد لزوم فتحه وموارد عدم اللّزام لفتحته، كما قال تعالى:

له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم^٣.

وقال تعالى:

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم^٤.

لظهوره في ان ارادته تعالى نافذة باطلاقها بلا مرّد لها اصلا وان الفتح امر وجودى يوجب ارسال الرحمة الخاصة وان الذى يقابله امر سلبي يعبر عنه بالامساك، اى عدم الارسال لا ارسال العدم وماليه وهذه الامور مستفادة من

١- الانعام / ٥٩.

٢- التورى / ١٢.

٣- فاطر / ٢.

٤- ساء / ٢٦.

٧٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

نطاق القرآن الكريم في غير محل، كما ويمكن ان نتعرض لها في المواضيع المقبلة.
والغرض ههنا هوان القلب بما له من الاوصاف الخاصة امر ممكن مسبب
فله سبب خاص به ينفتح ويستفيض من الخبرات وبدونه لا ينفتح وينحرم منها،
وذلك السبب الذي هو مفتاح القلب ومفتاح اوصافه الكمالية انما هو بيده
سبحانه، فلواراد ان يفتحه فتحه وشرحه وقذف فيه العلم والايمان وما الى ذلك
وان لم يردان يفتحه اغلقه وختم عليه واقفله وصرفه عن معرفه الآيات...
ونحوها، كل ذلك بمشيئته التي هي عين الحكمة والصواب بلا جزاف وظلم
اصلا.

فالمذنب رغم حجبه والكنان في قلبه... باعتراف منهم - كما نقره
في الآية:

وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقرا^١.

لكن ذلك الكنان يجعل الهى، كما قال تعالى:

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا^٢

وكذا قلبه، فانه رغم ختمه، انما هو محتوم بختم الهى، كما قال تعالى:

افرايت من اتخذ اهله هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه^٣

لانه ينختم بذاته او يكون العامل في الختم هو المذنب بنفسه او غيره من سائر
الموجودات الامكانية اذ الفرض الاول - اى كون الاختتام قد حصل بنفسه من
دون سبب اصلا - يصادمه النظام العلى الحاكم بان كل شىء لا يكون وجوده
ولا عدمه عين ذاته - بمعنى انه لا يكون واجب الوجود بالضرورة الازلية ولا ممتنع

١ - فصلت / ٥.

٢ - الانعام / ٢٥.

٣ - الجاثية / ٢٥.

٧٧ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

الوجود كذلك - فهو مساند في كلا طرفي وجوده وعدمه الى السبب ليس الا،
وعليه: فكما انه لا يكون انفتاح القلب وانسراح الصدر بلا سبب، كذلك
لا يكون انختامه وتضييقه بدون سبب.

(واما) الافتراض الثاني - اى استناد الحتم الى المذنب ذاتيا او الى غيره من
الموجودات الامكانية بلا انتهاء الى الله سبحانه - فهذا ايضا يطارده الاصل
المبرهن عليه في النظام العلى، من لزوم انتهاء سلسلة العلل الوجودية الى مسبب
الاسباب بالذات ولزوم انقطاع سلسلة العلل الفاعلية العدمية اليه تعالى
بالعرض اذ لا يمكن ان يكون وجود شئى مساندا الى علله الطولية المنتهية اليه
تعالى ولا يكون عدمه مستندا الى فقد علله المنتهى فقداها الى امساك الفيض
وعدم صدوره منه تعالى، لان لكل شئى سببا خاصا هو مفتاحه وجميع الاسباب
والمقاليده بيده سبحانه، فيكون الفتح بافاضته تعالى والختم بامساكه عنها و كل
ذلك بمشيئته الحكيمه المقتضبة لان لا يضل احدا ولا يختم على قلبه اصلا ولا يجعل
قلبه في كنان تباتا الا مجازاة ومعاقبة لا بدئيا، وهذا على خلاف من هدايته
وشرحه للصدر وما الى ذلك من المنز الإلهية لأنها كمال تكون بعنوان الجزاء
الحسن كذلك تكون بعنوان المنة البدائية واللفظ الغير المستبق بالعمل وان
كانت جميع نعمه ومننه بدائيا.

وهذا البيان يعلم بوضوح معنى قوله تعالى:

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
صيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون^١.

٧٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

لأن ظاهرتَه ان تضيق الصدر كشرحه - بالذات - بيده سبحانه، كما وان ظهوره في ان شرح الصدر نعمة الهية مطلقة غير مقيدة بالاستحقاق لامكانه تارة بعد الارتياض والهمل الصالح وتارة اخرى قبله. واما تضيق الصدر فهو عقوبة الهية مقيدة بالعمل السيئ فالمعرض عن ذكر الله بعد قيام الحجة البالغة عليه وامهاله سبحانه اياه ليتوب ويراجع الى مبدأه الفاطر البديع والمصر على ذلك الاعراض بسوء اختياره، فانه الذي يجعل صدره ضيقا حرجا ويجعل عليه هذا الرجس لانه هو ذلك الغير المؤمن بالآيات. كما قال سبحانه:

... كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون^١

يعنى تعالى ان ضيق الصدر وكذا الضلال المترتب عليه رجس جعله بيده تعالى، بيد ان الله لا يجعله الا على الذين لا يؤمنون، فهو تعقيب لعلمهم السيئ وعقوبة لهم ومعنى جعل الرجس على احد وكذا معنى جعل صدره ضيقا ومعنى الاضلال ليس الا عدم ارسال الرحمة وعدم فتح باب النعمة... كما بينه قوله تعالى:

...وما يمسك فلا مرسل^٢

لانه امر وجودى يفيضه الله، ومجرد اسناد الفعل الى هذه العناوين لادلالة له على انها حقائق وجودية لان كون شئ خاص امرا وجوديا او عدميا - اى انه موجود في العالم او ليس بموجود بل ينتزع من فقد امر وجودى - انما هو واقعية عقلية لا بدله من برهان عقلى يدل على كل واحد من الطرفين.

فتلا: الجهل الذى يقابل العلم امر عدمى هو عدم العلم بشئ فلو قيل في

١- الانعام/١٢٥

٢- فاطر/٢.

٧٩ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

العرف الدارج «(زيد جاهل)» او اصابه جهل او ابتلى بالجهل وما الى ذلك فانه لا يمكن ان يستظهر منه ان الجهل امر وجودى لان المطلوب عقل لالفظى، مضافا الى ان العرف ايضا بعد عتوره على عدمية غير واحدة من الصفات يعامل معها معاملة السلبيات ويجعل السلب مضمنا فيها فعندئذ تكون قضية زيد جاهل -عند العرف- قضية موجبة معدولة المحمول لانها موجبة محصلة وان كان على مصاغها (تدبر) فاذا تبين لك ايها القارئ العزيز ان لفقه القرآن شرطاي صحه ومانعا يحجب عنه واستبان لك ان الجهل والذنوب وما يؤول ويتصل اليها يمانع عن التدبر فى القرآن ويحجب عن فقهه فقد ظهر لك اذا معنى قوله تعالى:

فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا!

وقوله سبحانه :

لهم قلوب لا يفقهون بها!

وقوله تعالى :

ولكن المنافقين لا يفقهون^١.

وكذا معنى قوله عز من قائل :

وطيع على قلوبهم فهم لا يفقهون^٢.

حيث استدل ببعض هذه الايات وما يضاهاها مولينا الرضا (ع): فى احتجاجة حسبما مر نقله مسبقا^٣.

١- النساء/ ٧٨.

٢- الاعراف / ١٧٩.

٤ - التوبة / ٨٧.

٣- المنافقون / ٧.

٥ - الكافى.

٨٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

وكذا يظهر ان كل ما يمنع الانسان عن اصل التدبر في القرآن ويجعله فاراً منه منزجراً عنه، او يمانعه عن الفقه وان تدبره، واستمع القرآن وانصت اليه فهو رجس، وان كل من بلى بمقدار منه فهو بذلك القدر بالذات محجوب عن التدبر والتفقه... وكل من برء منه رأساً وتنزه من جميع انحائه واقسامه التي تتصل الى العلم او العمل فهو الحرى بان يتدبر في القرآن ويتفقهه، وأن العنرة الظاهرة -سلام الله عليهم اجمعين- هم الذين اذهب الله عنهم الرجس على اطلاق الكلمة، وطهرهم تطهيراً تاماً لا يشوبه شيء من الرجس ابداً.

حيث انه تعالى عبر عن هذا الفيض المتواصل بصيغة المضارع الدالة على انه تعالى دائماً وابداً يشرح صدور هولاء السادة ويفتح قلوب هولاء القادة ويرسل فضله الواصب على هولاء الساسة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيراً وان المعصومين (ع) هم الذين تحلوا بحلّة جميع شرائط معرفة القرآن وتخلوا نهائياً عن جميع موانعها، فهم العارفون للقرآن حق معرفته والمتدبرون فيه حق تدبره والذين يمسونه حق مساسه والراسخون في العلم وابواب الحكم وانوار الظلم، وهم عبس العلم وموت الجهل وهم اساس الدين وعماد اليقين وكرائم الايمان وكنوز الرحمن وامناء الله على عبادته ومقيموا الحق في بلاده والشهداء على الخلق وقوام الله وعرفاؤه على عبادته وهم اقاموا عمود الحق وهزموا جيوش الباطل^١.

كما نقل مولينا الرضا (ع) عن جده ابي عبدالله (ع) انه (ع) قال:

انا من الذين قال الله في كتابه: اولئك الذين هديهم الله فبهم

اقتد^٢.

١ - الغرر والدرر للآمدى، ٧/٣-٢١.

٢ - مسند الامام الرضا (ع)، ١/٣٣١.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٨١

وقال الامام الرضا (ع):

اذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله وهو قول الله والله الاسماء
الحسنى فادعوه بها^١...

وقال (ع) في قوله تعالى:

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين، الصادقون هم الائمة والصديقون يطاعهم^٢.

وقال (ع) في قوله تعالى:

وعلامات وبالنجم هم يهتدون، نحن العلامات والنجم رسول
الله (ص)^٣.

الجنة الثانية: في بيان المائز بين التدبر في القرآن وبين استنطاقه.

قد استبان للمطالع الكريم في الجنة الاولى ما هو شريطة معرفة القرآن
وما هو المانع عنها وقد لاح مسبقا ان القرآن جبل الله الذي احد طرفيه بيده
سبحانه والطرف الاخر بيد الناس فلاحه محتواه ولا انقطاع لنطاقه، ومن المعلوم
ان معرفة كتاب مثل هذه لها درجات تجاه مراتبه نفسه. فالقدير عليه هو من
اجتمع فيه الشرايط العامة وزال عنه الموانع وهو التدبر فيه واستنباط العقائد
الحقة الموافقة للبراهين العقلية منه، وكذا استظهار الاحكام العملية ونحوها منه.
واما الملاحم والاخبار الغيبية والتاويل وما الى ذلك من العلوم القرآنية

١- مسند الامام الرضا (ع)، ١/٣٣٥.

٢- مسند الامام الرضا (ع)، ١/٣٣٩.

٣- مسند الامام الرضا (ع)، ١/١٤١.

٨٢ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

التي لا تستنبط من الالفاظ ولا تستظهر من الاقوال ولا تحكبه العبارة ولا ترشد اليه الاشارة فلا يتمكن من استفادتها بمجرد التدبر فيه، اذ المتدبر لا يستغل منه الا على قدر ما يدل عليه ظاهره وان ضم بعضه ببعض وجعله مفسرا لذلك البعض الآخر، واما ما هو خارج عن نطاق الظاهرة اللفظية فلا يتمكن من استنباطه منه اذ المتدبر انما يغور فيما نطق به القرآن، واما فيما اضمره ولم ينطق به فلبس في وسعه ان يتأمل فيه، ومثله في عمله هذا كمثل انسان لبيب يحمل اسراراً شتيّة لا يفشيها الا للخواص من اصحاب سره ولا يتكلم للناس الا ببعض الامور المثمرة لهم ولا يستفيدون منه الا على قدر ما يتكلم وهم غافلون عن سره ولبه، جاهلون عما في خزانه صدره.

واما اصحاب سره فهم العريفون بانه حامل لأسرار لذلك فانهم يستنطقونه بكثير وعلى التواصل لكي يبرز ما في ضميره ويخرجه من الغيب الى الشهادة او يهدي اصحابه الى باطنه ويسايرهم من الظاهرة الى الباطن ويعرجهم من اطار الشهادة الى صعيد الغيب حتى يقفوا على مكنون ضميره، ثم يستمدون مما اطلعوا عليه لبسائله مرة اخرى ويجعلوا ما وقفوا عليه مدرجا لما لم يعثروا عليه وهكذا... الى ان يتطلعوا على باطنه كتطلعهم على ظاهره وعلى سيرته كصورته وعلى قلبه كقالبه وعلى تاويله كالتفسير وعلى متشابهه كالحكم وعلى غيبه كالشهادة... وهذا هو المايه الرئيسى بين فقه القرآن بالتدبر فيه وبين فقهه باستنطاقه. لان المتدبر الذى لا يستطيع استنطاقه كالعطشان الغير المقتدر الا على التروى من خصوص الماء النابع الجارى من العين على وجه الارض دون سائر المياه المختزنة فى المنبع، وهذا على خلاف من المستنطق لانه ذلك المتعطش العلم المتطلع بما فى خزانه الارض القدير على انطاقها بالحفر واظهار ما فى باطنها على ظهرها واجراء ما كان راكدا وسقى العجاوات به... وما الى ذلك.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٨٣

وبما إن بين الظاهرة الجارية والباطنة المحتزنة صلة تامة فلا يتمكن المتدبر الفاقد لطوق الاستنطاق ان يكتفى بنفسه ويحيد عن الفادر على الاستنطاق في استنباط البطين كما يظهر بعد. والاصل في هذا الفارق هو ان القرآن ندب الناس الى التدبر فيه وحثهم اليه ووبخهم على تركه وعيّرهم على هجره، حث قال سبحانه:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفاها^١

فيفيدنا ذلك ان القلب النزيه عن الجهل والذنب وما اليه من الاقفال قدير على التدبر فيه كما مر معنا... لكن القرآن العيني -اي الامام المعصوم (ع) الذي لا يفترق عنه كما لا يفترق القرآن العلمى عنه وهو امير المؤمنين (ع)- نطق: بان القرآن لا ينطق مع الناس وليسوا قديرين على استنطاقه والذي يقدر على ذلك والقرآن ايضا ينطق معه انحصاريا هو الامام المعصوم (ع)، حيث قال (ع):
ارسله (ص) على حين فترة من الرسل وطول هجمة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخركم عنه الا ان فيه علم ما يابى والحديث عن الماضى ودواء دائكم ونظم ما بينكم^٢.

لأن ظاهرة كلامه يعطى ان القرآن رغم كونه نورا وقدوة يقتدى به بلا ظلام، لكنه في ذات الوقت في غاية من الشدة والاشراق بحيث لا يقتدر احد على النظرة الكاملة اليه، سوى الانسان الكامل المعصوم (ع) الذي بينه وبين الله سبحانه عمود نورى كما مر مسبقا. واما سائر الناس فليس في وسعهم الا النظر اليه من وراء حجاب الالفاظ والمفاهيم والصور الذهنية ونحوها... لذلك

٢- نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

١- محمد (ص) / ٢٤.

٨٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

فلايصلون الى ما في سره من الملاحم وما في بطنه من الانباء الغيبية اذ العثورها يتوقف على العبور والنزوع من التدبر الى الاستنطاق وآتى لهم ذلك .

وكذا يتوقف على تنزل القرآن من مقام السر الى منصة العلن بان ينطق عما في مكنونه وهيئات له ذلك بالنسبة الى من يؤهل له ومرجع الحجاب هنا الى شدة نورانية القرآن وضلالة عقول الناس الذين اقصى حظهم هو التدبر فيه دون استنطاقه المتوقف على كمال الطهارة، وذلك لان القرآن له ظاهرة انيق يفهم بالتدبر وباطنة عميق لا ينال به بل لابد من نطقه به ولا يمانع عمق بطونه عن التدبر في ظاهره الانيق والاستدلال به كما اوعز اليه امير المؤمنين (ع) بكلمته:

فانظروا السائل فاذلك القرآن عليه من صفته تعالى قائم به واستضيئ بنور هدايته^١

اذ الائتمام بمدلول القرآن اماره حجية ظاهره وامكان التدبر فيه واستنباط ظواهره منه... لذلك فقد ندب الناس الى التفقه فيه حيث قال (ع):

...وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص^٢.

وهكذا رغبهم في الانتفاع بنصحه والاهتداء بهداه واستماع حديثه الصدق، حيث قال (ع):

واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان زيادة في هدى او نقصان من عمى...^٣.

١- نهج البلاغة، الخطبة، ٩١/.

٢- نهج البلاغة، الخطبة ١١٠. . ٣- نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٨٥

وبما أن التدبر في القرآن مرغوب فيه واستنباط الاحكام منه ميسور للناس مطلوب منهم اوصى (ع) الحسن والحسين وجميع ولده واهله ومن بلغه كتابه بتقوى الله ونظم امرهم وصلاح ذات بينهم... وبالعامل بالقرآن المتوقف على التدبر والاستنباط منه كما قال (ع):
... الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم^١.

والغرض ان فقه التدبر في القرآن هو ما دون فقه الاستنباط منه اذ التدبر انما يستفيد منه مانبع وبرز من الغيب الى الشهادة دون الزائد عليه. واما المستنطق فهو يقتدر على الاستنباط واستغلال ما في مخزن غيبه واخراجه الى الشهادة بحيث يراه هو ولا يراه غيره، لان القرآن انما ينطق سرا ويناجي خفية مع من استطاع ان ينطقه ويستمع منطقه لامع غيره فهو وان كان مقيسا الى ظاهره الانيقة ناطقا للواجد لشرائط التدبر والمحتفظ عن موانعه، لكنه صامت بالنسبة الى باطنه العميق، لا ينطق بمقال ولا يحدث بحديث الا عند استنطاقه فمن اقتدر على ذلك واصلح له فهو ينطق - حينئذ - معه من بطينه المكنون ويحدث من ضميره المستور، لذلك فقد وصفه امير المؤمنين (ع) بقوله:
... فالقرآن امرزاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه^٢...

ومن المعلوم ان مستنطق القرآن العلمي لا بد وان يكون بنفسه قرآنا عينيا كما مر معنا غير مرة، لكي يتيسر له الانطاق ويتمكن من سماع نجواته واستماع حديث نفسه وهم العثرة الطاهرة الذين عطفوا الهوى على الهدى لما عطف الناس الهدى على الهوى، والعاطفون للرأى على القرآن لما عطف الناس القرآن

١- نهج البلاغة، الخطبة ٤٧.

٢- نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣.

على الراى.

وحيت ان القرآن فى عين كونه ناطقا بظواهره لمتدبريه وتكون تلك
الظواهر حجة عليهم، هو فى ذات الوقت صامت ببواطنه بالنسبة اليهم فلا بد له
من ترجمان يستنطقه ويخرج باطنته من المغيب الى الشهادة، لذلك فقد قال
على (ع):

هذا القرآن اما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من
ترجمان واما ينطق عنه الرجال^١...

اذ ليس مراده (ع) سلب حجية ظاهرة القرآن والالسقط الاحتجاج به على
الخصم ولكن نفس هذا القول مخالفا للقرآن الذى يهتف بامكان التدبر فيه
والاستنباط منه ومن المعلوم ان الخبر المخالف للقرآن مردود، كما ياتى عن مولينا
الرضا (ع)، بل مراده (ع) ان بعض مطالب ومواضع القرآن ظاهريتمكن من
نبله بالتدبر فيه، وجانب منه ليس مما ينال ويظهر منه بل مبطن فيه لا يتمكن
من نبله الا بانطاقه، وليس ذلك الانطاق الا فى وسع الترجمان الالهى وهو
الانسان الكامل المعصوم حسبما تقدم نقله حيث قال (ع):
... ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن احبركم عنه^٢.

وبما ان العترة الطاهرة هم القديرون على انطاق القرآن واستماع نجواه
والعثور لما فى مستكن ضميره وهم الترجمان له، فلزام على الناس ان يراجعوا اليهم
كما يلزم لهم - بالذات - الرجوع والاتصال الى القرآن، لانها لن يفترقا، لذلك
نراه (ع) يقول:

١ - نهج البلاغة، الخطبة ١٢٥.

٢ - نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٨٧

فاين تذهبون، واني توفكون والاعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة، فاين يتاه بكم وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم، وهم ازمة الحق واعلام الدين والسنة الصدق، فانزلوهم باحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش^١.

والسبب في كونهم (ع) هم الترجان للقرآن المستنطقون له دون ماعداهم هو ان منزلتهم هي احسن منازل القرآن، لان جميع مدارجه ومنازله من لدن حكيم عليم إلى ان يتنزل إلى عالم اللفظ والعبارة العربية وان كانت حسنة جميلة الا ان في بينها امتيازا لا محالة بما يكون اعلاها احسنها لانه أقرب إلى العليم الحكيم، ولما كان منازل العترة الطاهرة احسن منازل القرآن، لذلك فهم يعلمون اسراره وضمائره قديرون على انطاقه واخراج ما في غيبه الى الشهادة.

وبما مرمعنا من الميزبين فقه القرآن تدبرا وفقهه استنطاقا يلوح للمطالع الكريم معنى قوله مولينا الرضا (ع) حينما سأله المامون يقوله:

اخبروني عن معنى هذه الاية: «ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»... - الاية - فقالت العلماء اراد الله الامة كلها فقال المامون ماتقول يا ابا الحسن فقال الرضا (ع):

لا اقول كما قالوا ولكن اقول اراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة وقال المامون: وكيف عني العترة دون الامة فقال الرضا (ع): لو اراد الامة لكانت باجمعها في الجنة لقول الله: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبيرم جعلهم في الجنة فقال عزوجل جنات عدن يدخلونها. فصارت الورثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم ثم قال الرضا (ع): هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال: انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا. وهم الذين قال رسول الله (ص): اناي مخلف فيكم الثقلين

٨٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض انظروا كيف
تخلفوني فيها يا ايها الناس لا تعلمونهم فافهم اعلم منكم...

الى ان قال الرضا (ع): ان الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس
في محكم كتابه قال المامون: اين ذلك من كتاب الله؟ فقال الرضا (ع): في قوله تعالى
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها
من بعض.

وقد استدلل (ع) بغير واحدة من الايات على ان العترة الطاهرة هم ورثة
الكتاب وصفوة الله وهم الذين قرنهم الله سبحانه بنفسه وبرسوله في سهم
الغنيمة

انما غنمتم من شئى فان لله خمسة ورسوله ولدى القرى.

وفي الطاعة

... اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم .

وفي الولاية

انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة
وهم راكعون...

فتبارك الله ما اعظم نعمته على اهل هذا البيت فلما جاءت قصّة الصدقة
نزه نفسه - عزّ ذكره - ونزه رسول الله (ص) ونزه اهل بيته منها، فقال:
انما الصدقات للفقراء^١

فليكن ما قدمنا من البحث شرحا لهذه الكلمات النورية الرضوية - على

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٨٩

الناطق بها صلوات الله وملائكته..

وحيث امتاز تدبر القرآن عن استنطاقه وتبين جلياً ان المتدبر فيه بمنزلة المستمع فقط فلا يقتدر على التكلم مع القرآن وانطقه وان المستنطق ليس مستمعاً فحسب بل هو في حوار معه يحاوره ويشاوره وينطقه ويسأله ويستجيبه ويعارض المشاكل عليه ويستدعيه حلها ويسأله من فضله ويعتصم به فيرق معه درجة بعد درجة حتى يرجع الى ماصدرا منه ويصعدا اليه سبحانه ويختفيا فيما ظهرا منه كما هو قضية المعية المطلقة الآبية عن الانفكاك في مرتبة من المراتب نزولاً وصعوداً وأن سائر الناس وإن امكن لهم التدبر في القرآن لكنه في ذات الوقت لا يتيسر لهم استنطاقه وان المستنطق هو الانسان الكامل المعصوم (ع).

فبعد ذلك بـ... يتبين بالضرورة حاجة الناس اليه وان العترة الطاهرة الذين هم كُمل الانسانية وورثة الكتاب العزيز واهل الذكر الذين يجب على الناس سؤالهم وهم السابقون بالخيرات وما الى ذلك من المسامات الكاملة التي قررها الله في كتابه للاوحدى من الناس. وقد بين مولينا الرضا (ع) مصاديق ذلك في قوله (ع):

نحن اهل الذكر ونحن المسئولون. قال الوشاء: قلت له (ع): فانتم المسئولون ونحن السائلون؟ قال (ع): نعم قلت: حقاً علينا ان نسألكم؟ قال (ع): نعم قلت: حقاً عليكم ان تجيبونا قال (ع): لا ذلك الينا ان شئنا فعلنا وان لم نشأ لم نفعل، اما تسمع قول الله تبارك وتعالى: هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك بغير حساب^١.

ومعنى قوله (ع): «ان شئنا فعلنا وان لم نشاء لم نفعل»

١ - الكافي، باب آء اهل الذكر الذين امر الله الخلق بسؤالهم هم الائمة (ع).

٩٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

هوالتخير في غير مورد بيان الحكم وتبيين التكليف والا فلا مجال هناك للتخير مع افتراض لزوم التعليم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما الى ذلك ، كمايلوح ذلك من الاستشهاد بقوله تعالى هذا عطاؤنا... الناظر الى العطايا المندوبة، اذ هناك يكون النبي في خبرة بين المن والاعطاء وبين عدم المن بالامساك لافي اصل الحكم وبيان الرسالة، وهكذا بين مولينا الرضا (ع) مصاديق ماتقدم من الاوصاف الكمالبة في قوله (ع):

لماساله احمد بن عمر عن قول الله عزوجل: ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادہ - الآية.

فأنه قال (ع):

ولدفاطمة (ع) والسابق بالخيرات الامام والمقتصد العارف بالامام والظالم لنفسه الذي لايعرف الامام^١.

وحيث استبان المايز الجوهرى بين التدبر في القرآن وبين استنطاقه يظهر التمايز بين تفسير المتدبرفيه وتفسير الامام المعصوم (ع) المستنطق له، لان المتدبر انمايعرفه باسمه ورسمه ووساماته الدالة على محتواه بالظن الغالبي والمستنطق انما يعرفه بحده ومقومات فاعليته وعلله المفيضة اياه جزميا وبالقطع، كما قال الحسن بن على (ع):

نحن حزب الله الغالبون وعتره رسول الله الاقربون واهل بيته الطيبون الطاهرون وأخذ الثقلين الذين خلفها رسول الله (ص) في امته ثانی كتاب الله الذى فيه تفصيل كل شئ لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فالمعول علينا في تفسيره لانتظن تاويله بل نتيقن حقائقه فاطيعونا فان طاعتنا مفروضة

١ - الكافي، باب ان من اصطماه الله من عبادہ و اورثهم كتابه هم الأئمة (ع).

٩١ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

اذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة^١...

واما سرصيانة القرآن عن تطرق الباطل من الامام والخلف هوان الله تعالى سلك من بين يديه ومن خلفه رسدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات رهم كما تقدم في الروضة وسريقين العترة الطاهرة بما في القرآن من تفصيل كل شئى هو المعية المطلقة المقتضية لان لا ينفك القرآن عنهم في درجة من مدارجه ولا ينفكواعنه في منزل من منازلهم... لذلك فهم يعلمون جميع ما فيه علم عيان ويخبرون عن ذلك خبرا لا يراب فيه، فلا بد اذاً من الاعتماد عليهم في فقهه والركون اليهم في تفسيره والثقة بهم في تاويله وسؤالهم عن باطنه وقضية هذه المعية هو التعامل مع سنة العترة الطاهرة معاملة القرآن الكريم في جميع الشئون بأن يراجع في فقه ما تروهم الى القرآن وتعرض عليه حتى لا تكون مخالفة له مباينة اياه ولا تتعدى طور التبیین والتاويل والتفسير الى المخالفة والبيّنونة اذ المبائن للقرآن باطل محض لا يتفوه به ذلك الذى يدور مع الحق حيث دار لبداهة كون الباطل مضادا للحق^٢.

والى بعض لوازم معية القرآن والعترة الطاهرة اشار مولينا الرضا (ع) حيث قال (ع):

من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدى الى صراط مستقيم. ثم قال: ان في اخبارنا متشابهها كمتشابه القرآن ومحكمها كحكم القرآن فردوا متشابهها الى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا^٣.

وحيت إن اشتمال القرآن على المتشابه في ضوء المحكمات التى هى ام

١ - صلح الحسن ٥٩، عن البحار ١٠/ ٩٩.

٢ - الغرر والدرر للآمدى، ٣٥/ ٧.

٣ - عبود الاخبار، ٢٩٠/ ١.

٩٢ المؤتمر العالمي للإمام الزعاعلي عليه السلام

الكتاب انما هو لحكمة خفيت على غير واحد، ومفترضنا ان العترة الطاهرة وسنتهم مع القرآن فلا بد وان تكون اخبارهم واجدة لتلك الحكمة ايضا، وكما ان لفقه القرآن شرايط تصححه وموانع تردع عنه، كذلك لمعرفة السنة اسباب تقتضيه وقواطع تصد عنه، ويعبر عن تلك القواطع باقفال القلب، وكما ان القرآن يفسر بعضه بعضا وينطق بعضه ببعض، كذلك السنة يصدق بعضها بعضا، وكما ان السنة تفسر القرآن وتبينه كذلك القرآن يؤيدها ويسددها ويمضيها وذلك بعد عرضها عليه لانه الميزان القسط الذي سلك الله من بين يديه ومن خلفه رسدا، فلذا لا يتطرق اليه الجهل والافتراء والتحريف لانه لم يكن حديثا يفترى من دون الله بخلاف السنة التي يتطرق اليها ذلك.

كما اوعز اليه الرسول الاعظم (ص) في خطبته بنى حيث قال:

ايها الناس ما جائكم عنى يوافق كتاب الله فانا قلته وما جائكم يخالف كتاب الله فلم اقله^١.

لان ظاهرته امكان الجعل والتحريف في السنة دون القرآن، والدليل على ان المخالف للقرآن المبين له ليس مقولا له (ص) ولا لاحد من العترة الطاهرة هو أنه يوجب ويلزم افتراقهم عن القرآن وافتراقه عنهم مع انها - اى العترة والقرآن - لن يفترقا ابدا اذ المبين للحق باطل لاحالة، كما قال سبحانه:

ماذا بعد الحق الا الضلال^٢.

ومن البين ان القرآن حق من مبدء نزوله الى منتهاه كما اكذبته تعالى:

بالحق انزلناه وبالحق نزل^٣.

١- الكافي، ج ١، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

٢- يونس/ ٣٢.

٣- الكافي، ج ١، باب الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

٩٣ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ...

والباطل مفترق عن الحق بالضرورة فالخصيلة: انه لو صدر من العترة ما يباين القرآن فانه يعنى لزوم افتراقهم عنه وبطلان اللازم واضح كضرورة اصل التلازم وبطلانه مستلزم لبطلان المقدم فلذا قال مولينا الرضا (ع): اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبها.

حين قال له (ع) ابوقرة في حوار معه حول امتناع رؤية الله، فتكذب بالروايات بلا علم له ولا من هو مثله ان عدل القرآن وزميله هو الانسان الكامل المعصوم (ع) اى العترة الطاهرة (ع) لا الرواية حيث انها ليست معصومة كالقرآن حتى تصلح لان تكون عديلة له لأن غير المعصوم لا يكون مع المعصوم اذ المعية لا بد وان تكون بهلاك يصححها وجامع يجمع المعين فيه فاذا لم تكن الرواية مصونة عن الدس والتحريف فكيف يمكن مصابرة مع القرآن المصون عن ذلك كله.

واما العترة الطاهرة فلعصمتهم عن الجهل والزيف والطغيان والسهو والنسيان وما الى ذلك من انحاء الرجز واقسام الرجز وطهارتهم عنها بعناية من الله سبحانه فهم الاخرى بان يكونوا كفوا للقرآن، كما أن القرآن عدل لهم ولا يصدر عنهم ما يباينه اصلا، لان المعصوم (ع) لا ينطق في بيان الاحكام الالهية بالهوى ولا يميل اليه، فلذا صرح مولينا الرضا (ع) بتكذيب الروايات المخالفة للقرآن بكونها مفسوسة وموضوعة.

وكما ان الدس والوضع لا ينطرقان الى القرآن العلمى، كذلك لا ينفذان الى القرآن العيني - وهو الامام المعصوم (ع) - اذ المبين للقرآن مبين للعترة الطاهرة جزميا لان ضدا احد المعين مضاد للمع الاخر، وذلك لوحدة الملاك في

١ - مسند الامام الرضا (ع) ١/١٧، عن الكافي ١/٩٥ والتوحيد ١١٠.

٩٤ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

المعية والتضاد ولا مجال لان يكون شيئاً مضاداً لأحد الأمرين المندرجين تحت جامع واحد حقيقى ولا يكون ضدًا للمندرج الاخر مع الحفاظ وحدة الملاك .

الجنة الثالثة: فى تخصيص القرآن الى التحقيق وطرد الامنية

بعدما تبين للقارئ الكريم شرائط معرفة القرآن وان الموانع عنها ماهى؟ وان المائزين التدبر فى القرآن وبين استنطاقه ماذا؟ قلنا لان يتدبره مستمداً من مستنطقه - وهو الانسان الكامل المعصوم (ع) - معترفاً بأن الكل من الله - سبحانه وتعالى - فنقول:

إن مضامين القرآن رغم ابتناء بعضها على التعبد المحض فان معارفه الاولية قد اسست على اليقين الجامع لمراتبه ومدارجه من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وإن كان هو اقل ما قسم بين الناس ولم يرزقوا بشيئ احسن منه كما صرح به مولينا الرضا (ع):

إن الايمان افضل من الاسلام بدرجة، والتقوى افضل من الايمان بدرجة، ولم يعط بنو آدم افضل من اليقين^١.

والمستفاد من القرآن الكريم ان من اظهر مصاديق الطريقة التى هى اقوم التى يهذى القرآن لها هو تاسيس مسيرة الحياة على التحقيق والاتقاء عن اية امنية كاذبة خاطئة لا تساند الى العقل او النقل القطعى، ماذ الانسان فى أى موقف كان فان له عقلاً يهديه الى سواء السبيل ووحياً يرشده الى الصراط

١ - مسند الامام الرضا (ع) ٢٥٧/١، عن قرب الاسناد ٢٠٨ والكافي ٥٢/٢.

٩٥ على بن موسى الرضا عليهما السلام والفرآن الحكيم

السوى، فهو أذا لا بد وأن يكون محققا في دوره سواء أكان تابعا مطيعا او متبوعا مطاعا، كما قال سبحانه:

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد^١.

لظهوره في ان الجاهل المقلد في جهله يجادل في الله عن جهل تقليدى ويتبع ويقلد ويطيع كل شيطان قاده واستعلى عليه وتملك زمامه فلاحيص للتابع من التحقيق ليصون عن طاعة كل قائد شيطاني متمرد عن الله وليس للجاهل ان يقلد في تقليده مقلدا آخر مثله، بل لا بد في ان يحقق في تقليده ليساند اطاعته الى علم تحقيقى دون الظن التقليدى فانه لا يغنى من الحق شيئا، فعلى التابع المطيع ان يحقق لكيلا يقع في تيه طاعة الشيطان المارد الذى كتب عليه انه من تولاه فأنه يضلله ويهديه الى عذاب السعير. هذا فيما يتصل الى لزوم التحقيق فى الاطاعة. واما التزامه فى المتبوع المطاع فلقوله تعالى:

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير تانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق^٢.

حيث انه ظاهر في ان الجاهل القائد لغيره يجادل في الله بغير علم عقلى ولا وحي سماوى يثنى راسه وعطفه كأن ليس هناك حق يعتد به ووحى يخضع لديه ليصير متبوعا يطيعه الجاهل ويضلهم عن الصراط السوى. وليس للقائد والمطاع ان يصير راسا يتبعه الاذئاب الا بعد علم وهدى، وذلك لا يتحصل الا بالتحقيق الذى يهدى القرآن المجتمع الانسانى اليه: أفن

١- الحج / ٣.

٢- الحج / ٨ و ٩.

٩٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

اسس بنيانه فى ائى موقف كان على التحقيق خيرا من اسس بنيانه على التقليد الذى هو شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم كما اوعده الله فى كلتا الآيتين فلا الجاهل المطيع باقتداره ان ينجومن النار والهلكة ولا الجاهل المطاع ان يتخلص منها بل كل فيها يختصمون ويتبرء بعضهم من بعض كما اوعز اليه سبحانه بكلمته:

يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيل ربنا آثم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا^١.

لكن لا يجديهم هذا التنى بعد ان قامت الحجة عليهم فى الدنيا على لزوم التحقيق مع امكانه وانتاجه وانهم وان يتمنوا ان يضاعف الله عذاب سادتهم وكبرائهم، لكنه لا ينفعهم هذا التنى ايضا حيث أن لهم كهولاء السادة ضعفين من العذاب، كما قال سبحانه:

قال ادخلوا فى امم قد دخلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اذاركو فيها جميعا قالت اخرهم لاوليهم ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اوليهم لا اخرهم فاما كان لكم علينا من فضل فدوقوا العذاب بما كنتم تكسبون^٢.

والسرى فى استحقاق كل من التابعين الجهال المقلدين فى الاتباع والطاعة ومن المتبوعين الجهال فى الزعامة والقيادة ذلك، مع ان الاصل القطعى المستفاد من القرآن هو ان جزاء سيئة سيئة مثلها لا يزيد منها وان كان جزاء حسنة خيرا

١ - الاحزاب / ٦٨ - ٦٦.

٢ - الاعراف / ٣٩ - ٣٨.

٩٧ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

منها هو ان التابع المقلد في طاعته واتباعه قد ارتكب سيئتين: (احديهما) المعصية الخارجية المشتركة بينه وبين قائده وهو السجود للصنم او غيره من المعاصي، (والاخرى) هو تقبل قيادة ورئاسة الامام الجائر، مع ان العقل والوحى قد تطابقا على لزوم مقاتلة أئمة الكفر والطغيان ودفع شرورهم ورفع ظلمهم، كما وان المتبوع الذى قاد الناس الى اتباعه جهلا منه قد ارتكب سيئتين احديهما المعصية الخارجية والاخرى تصدى الحكومة والقراس على الناس ظلما وجورا فلذا يعاقب كل من السائس والمسوس الذين فى النار ضعفا من العذاب ولا اثر للتمنى هناك ، رغم انه يؤدّ الاتباع ان يردوا الى الدنيا ويتبرؤن من سادتهم الطغاة كما تبرؤا منهم يوم القيمة حين رأوا العذاب كما قال سبحانه:

اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعتم بهم الاسباب
وقال الذين اتبعوا لوان لناكرة فنتبرء منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار^١.

والمحصل: ان الحياة التى يهدى القرآن الناس اليها هى الحياة المؤسسة على التحقيق دون التمنى اذ لا جدوى للامنية فى الدنيا ولا فى الاخرة لأن النظام الحاكم على النشاطين مع ما بينهما من الامتياز الملكى والملكوتى هو التدبير والتحقيق لا الاسترسال والتمنى، ولذا قال امير المؤمنين (ع):

... اياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى^٢.

والاصل فى ذلك هو القرآن الحكيم النادب الى التحقيق والناهى عن الركون الى شئ بدونه والناطق بان الاسماء والعناوين والالقاب وما الى ذلك

١- البقرة / ١٦٧- ١٦٦.

٢- نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

من الجهات الخارجة عن نطاق الذات وحوزة الجوهر الانساني لا تغنى من شئ
 فيلزم التدبر في محتواه ثم استماع ما عن مستنطقه وهو مولينا الرضا (ع) اما القرآن
 فهو مع اصراره على ان مدار التفكير والتصديق والتكذيب هو العقل وان الحياة
 الطوى انما تتحصل لمن كان له قلب او الى السمع وهو شهيد... صريح بقوله
 تعالى:

ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم
 الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون^١.

اذ الذى تفيدنا وتتحفنا هذه الاية الكريمة وما يضاهاها^٢ هو ان الامة التى
 لا تلحد فى الله بالانكار المحض ولا تنكر الرجوع اليه بالنفى الصرف ولا تعبد
 اللات والعزى ولا تقول: ان هى الاحياتنا الدنيا ولا تعلن بقولها وما يهلكنا الا
 الدهر وتعتز - على الجملة - بان لها ربا ترجع اليه وان تقطعت احزابا و فرح
 كل حزب بما لديه وحسب انه ناج دون غيره واكتفى بعنوانه الخاص به من
 العناوين المطروحة فى الكريمة الا ان الله الذى بيده قدر كل شئ وتعيين ملاك
 الهلاك والنجاة قائل بان شئاً من هذه الاسماء لا يجدى ولا يدور الاجر الالهى
 مداره اصلا لدورانه مدار اصول ثلاثة يستوى فيها الناس من الصدر الى الساقه
 وهى المعارف الاولى التى اسس عليها الاسلام الذى هو الدين الوحيد عند الله^٣
 والذى جاء به الانبياء بلافارق بينهم من هذه الجهة وتلك الاصول عبارة
 عن الاعتقاد بالله الجامع لجميع الكمالات التى هى من الاطلاق الذاتى الطارد

١ - البقرة / ٦٢.

٢ - المائدة / ٦٩.

٣ - آل عمران / ١٩ «ان الدين عند الله الإسلام...».

٩٩ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

لاحتمال ائى شريك وند و ضد و معاضد و ما الى ذلك والاعتقاد باليوم الآخر الذى اليه يرجع الناس كلهم وله مواقف معروفة والاعتقاد بالوحى والرسالة والشرعة مع العمل على موازيتها.

وهذا الاصل الثالث هو الذى عبّر عنه القرآن بالعمل الصالح ومن البين لمن تدبر فيه وانس به و عرف نطاقه ومنهجه انه انما يعد العمل صالحا فيما اذا انطبق على شريعة كل عصر فلو لم ينطبق عمل على شريعة اصلا ورأسا، او كان مطابقا لمنهاج منسوخ و، شريعة قضت نحبها ومضى اجلها فليس هو بعمل صالح لديه، واما الامور الكلية التى ينالها العقل ويمضيها الوحى المشترك كالعدل والاحسان والصدق والايتار والامانة والتواضع ونحو ذلك فهى اوصاف واعمال صالحة عند كل نبى ووصى.

والغرض هو ان العمل الصالح فى مصطلح القرآن هو العمل المطابق لما جاء به الوحى الحاكم على عصره ومن اللائح ان تطبيق العمل على وفق ذلك الميزان يتوقف على العلم به والانعطاف اليه وعقد القلب عليه، وهذا هو الاعتقاد بالوحى والنبوة المشار اليه فى الاصل الثالث وهذه الاصول الثلاثة فى ائى عصر تحققت تلازم وتوجب الأجر الالهى وتزيل ائى خوف وحزن سواء فى ذلك الخلف والسلف.

وهذه الاصول لابد فى معرفتها من البرهان العقلى الذى لا مجال بدون التحقيق فيها للتقليد ولا للقيادة، لان الناس فيها شرع سواء رغم اختلاف درجات تحقيقهم ومراتب فحصهم بالاجمال والتفصيل وبالشدة والضعف، وعليه فلا وجه لحصر السعادة فى عنوان ونفيها عن عنوان آخر. وعلى هذا الحجر الاسلامى يقضى القرآن على الدعاوى العاطلة والامانى الكاذبة التى لكل حزب خاص حيث يدعى كل واحد من تلك الاحزاب انه هو المؤهل للسعادة

١٠٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

والجنة - انحصاريا - دون غيره ولا يرضى عن غيره حتى يتبع ملته ويدعى انه - بالذات - هو المتقرب من الله سبحانه وان غيره هو المبتعد عنه تعالى وأنه لا سبيل لغيره عليه بل له ان يفعل في حق غيره ما يشاء، حيث قال سبحانه:

وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين^١.

يعنى ان اليهود اطار تفكرهم و منطقهم هو انحصار الجنة لهم - ذاتيا -، لا يدخل فيها احد سواهم، وكذا النصارى دعوتهم انحصارها لهم ولا مطمح لاحد فيها عداهم، كما قال تعالى:

وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون^٢.

ومعناه ان كلا من فريق اليهود والنصارى يطارد الاخر، مع ان الكتاب الالهى الذى يتلونه لا يحكم بان النجاة تدور مدار العنوان والوسام والصفات وما الى ذلك وهؤلاء رغم تلاوتهم لذلك الكتاب الالهى الحاكم على خلاف ذلك يتهمون بنفى الفريق الاخر. كما وان هذه الدعوى الخلية عن البرهان هى قولة غيرهم من الجهال الفاقدين للكتاب السماوى ولا يختص هذا الحصر المتوهم بالقياس الى فريق دون آخر بل كل من هؤلاء ينفى ويدعم كل من سواء باطلاقه كما قال سبحانه:

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله

١ - البقرة / ١١١.

٢ - البقرة / ١١٣.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٠١

هو الهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذى جائك من العلم مالك من الله من ولى
ولانصير^١.

يعنى ان اليهود لا ترضى عن الرسول وامته إلا ان يرددوا عن الاسلام
ويهودوا وان النصارى لا ترضى عنهم الا ان يتنصروا وكل واحد من الفريقين
كما يحكم ببطلان الفريق الاخر وانه لبس على حق وشيى كذلك يقضى على
الاسلام والمسلمين بانه ليس على شيى اصلا وقد بلغت امنبتهم الكاذبة الى
حيث ادعوا انهم دون غيرهم اخصاء بمعرفة الله ودينه وانهم ابناء الله واحبائه
ولكن رد الله عليهم بقوله:

وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحبائه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بل انتم بتر من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات
والارض وما بينها واليه المصير^٢.

اذلو كانوا احبائه لما عذبهم الله بذنوبهم ولما اذنبوا حتى يعذبوا بل هم
كغيرهم من احاد الناس وسوادهم يحكم عليهم ما يحكم به على غيرهم
من العدل العام الالهى الذى قذر نظامه بدوران الاجر والنجاة من النار مدار
هاتيك الاصول الثلاثة بلا مايز بين حزب وآخر.

وحيث إن الامة الخاطئة التى ترى نجاتها - بالذات - وتزعم هلكة غيرها
قد ترتطم فى غواية وضلال الى حد لو اخرج يده لم يكديرها تتخيل ان المؤسس
للدين التوحيدى الذى اليه منتهى الانبياء والاولياء وهو ابراهيم (ع) كان على
دينهم وانهم على منهاجه دون غيرهم، كما قال سبحانه:

١- البقرة / ١٢٠.

٢- المائدة / ١٨.

١٠٢ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
اونصارى قل أنتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله
بغافل عما تعملون^١.

ولما خجل لهم انهم على الحق دون غيرهم وهم على شريعة الانبياء دون
من سواهم حسبوا ان لاسبيل الى الله الا باليهود والتنصر وانها -انحصاريا- سبيل
ابراهيم (ع) ولكن رد الله تعالى عليهم مزعمهم بان سبيلهم انما هو في قبال ملة
ابراهيم (ع) وان الصراط السوي الهادي الى الجنة المنجى من النار هو ملته (ع)
فحسب، حيث قال عز من قائل:

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم (ع) حنيفا وما كان
من المشركين^٢.

وقد بين سبحانه في مطوى هذه الايات ان بنيان هولاء مؤسس على الجهل
والامنية فلو علموا وحققوا لما تفوهوا بذلك، كما قال تعالى: «قل
هاتوا برهانكم» يعنى ان الدعوى اذا لم تكن مشفوعة بالبرهان لم تكن مسموعة،
بل تصبح امنية خاطئة ليس الا كما قال تعالى: «تلك امانيتهم» وقال ايضا:
«كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» يعنى قول هولاء الذين هم اهل
الكتاب مثل قول الجهال لان من لا يعتنى بكتابه السماوى وينبذه وراء ظهره
فهو مثل من لا كتاب له من الجاهلين... هذا نبذ من امانيتهم.

واما القرآن الحكيم، فحيث انه يهدى للتي هي اقوم فلا يأتى بمقال
الامشفوعا بالبرهان سواء في ذلك اثبات كمال لشيئ او سلبه عنه ولا يبنى شئاً

١- البقرة/١٤٠.

٢- البقرة/١٣٥.

على س موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٠٣

من ذلك على العنوان والاسم والانتها بكتاب فلذلك لا يرى فيه موضع يعد احدا بالجنة او يؤمنه من النار إلا بعد احراز وصفين احدهما الحسن الفاعلى وهو كون ذلك الشخص مؤمنا والاخر الحسن الفعلى وهو ان يبعث منه عملا صالحا كما وان لا يخوف احدا بالنار ولا يهدده بها الا بفقده احدهما، بان لا يكون قد آمن او آمن ولم يكتسب فى ايمانه خيرا. لذلك تراه قد حكم فى هذه المسئلة التى قد ادعى كل فريق بكونه ناجيا - باطلاق الكلمة - وادعى ايضا بأن ماسواه ليس على شىء بل هالك بالاطلاق... - حكم تعالى - بحكم عدل وقضاء قسط يوافق ما اسس بنيانه عليه من دوران الامر فى السعادة والنجاة من النار وجودا وعدمه مدار تلك الاصول الثلاثة كذلك - اى وجودا وعدمه - وهو قوله تعالى:

قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين^١.

يعنى ان اهل الكتاب ان اقام كتابه السماوى وما انزل اليه من ربه - فهو على خير وكمال يتفتح له ابواب الرحمة والجمال لان اقامته هذه عبارة اجماليا عما بيته فى آيتى البقرة والمائدة تفصيليا وهو توقف الأجر الالهى ونفى الخوف والحزن على الايمان بالمبدء والمعاد والوحى والرسالة وعلى العمل بمقتضاها، وذلك لان الذى لم يؤمن بكتابه السماوى او آمن ببعضه دون بعض او آمن بجميع ما فيه لكنه لم يعمل بمقتضاه فهو ممن لم يقمه، وعليه فاقامته ورحابه به انما تتحصل بتلك الاصول المارة.

فكم فرق بين القائل بأن اليهود ليس على شئ - على إطلاق الكلمة - وبين القائل بأن اليهود ليس على شئ حتى يقيموا كتابهم السماوى إذا لاول مجازف لا اعتداد بدعواه، والثانى حكيم يخضع لما ادعاه، وحيث إن اهل الكتاب لو اقاموا كتابهم الاصيل، ذلك السفر الغير المحرف، لنالوا حقايق كبيرة همة...، التى منها التبشير بالقرآن ومن يأتى به يحصل لهم نصاب شرائط الأجر الالهى، لذلك فقد استقروا نهائيا على شئ وهو الكمال الذى تهدف اليه النبوة وتهدى اليه الرسالة، بيد انهم نبدوه وراء ظهورهم ولم يقيموه واقتصروا على الانتفاء الصرغ اليه... كان ذلك هو السبب لأن يعمهم الجهل المقابل للعلم كما فى الاتباع الذين اتبعوا كل شيطان مريد، لفقدهم التحقيق فى التبعية والطاعة او الجهل المقابل للعقل كما فى الاحبار والرهبان والقسيسين، لا يثارهم الدنيا على الآخرة واستثنائهم الجاه وخب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة.

وهيئنا يتبين ان الرسول الاعظم (ص) وتابعيه لهم حظ عظيم اوفر من العلم وهؤلاء لا خلاق لهم منه فان هذا هو المستفاد - بوضوح - من قوله تعالى:

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ما جئتك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون^١

حيث انه تعالى عد ما عند الرسول (ص) علما وعد عمل هؤلاء هوى يتهوسون به ويبن ان هؤلاء قد تبين لهم الحق وعرفوه اشد معرفة كما عرفوا ابنائهم، لكنهم كتموا الحق عالمين به فاقدين عقلا عمليا يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان بقبول الحق والنكول عن الباطل.

على بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم ١٠٥

فاذا لاح أن مقطب السعادة هو التحقيق وطرد اية امنية لا تساند اليه وان
معارف القرآن العلمى قد اسست على ذلك حسبا يستنبط المتدبر فيه، فعليه
يلزم الاصغاء الى ما هو المأثور عن مستنطقه وهو مولينا الرضا (ع) حيث قال:

من احب عاصيا فهو عاص ومن احب مطيعا فهو مطيع ومن اعان
ظالما فهو ظالم ومن خذل عادلا فهو ظالم انه ليس بين الله وبين احد قرابة
ولا ينال احد ولاية الله الا بالطاعة، ولقد قال رسول الله (ص) لبنى عبد-
المطلب: ايتوني باعمالكم لبا حسانكم وانسابكم، قال الله تعالى فادفع
في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون فمن تقلت موازينه فاولئك
هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا في جهنم خالدون^١.

فقد صرح (ع) بان العمل السيئ من اى عامل صدر يوجب الخسران
وانه ليس بينه تعالى وبين احدهم خلقه قرابة لكى يدعى بانه من ابناء الله
واحباؤه كما ادعاه اليهود رغم قتلهم الانبياء بغير حق. وانه لا ينال ولاية الله الا
بالطاعة المؤلفة من الحسن الفاعلى والحسن الفعلى... على ما مر مسبقا. ولقد روى
ابو الصلت الهروى قال سمعت الرضا (ع):

يحدث عن ابيه ان اسماعيل قال للمصادق (ع) يا ابا عبد الله ما تقول في المذنب
منا ومن غيرنا فقال (ع): ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوء
يجزه^٢.

يعنى منه عدم الجدوى للانتماء ولا للتمنى نهائيا، فالمنتسب الى رسول الله
(ص) لا بد وان يهتدى بهداه ويساير بسيرته وليس بامانيه ولا يدور الامر
في النجاة مدار امنية اى متمن.

ولقد روى الحسن بن الجهم قال كنت عند الرضا (ع) وعنده (ع) زيد بن

١ - عيون اخبار الرضا، ٢/ ٢٢٥.

٢ - عيون الاخبار، ٢/ ٢٣٤.

موسى اخوه وهو(ع) يقول:

يازيداتى الله فانه بلغنا ما بلغنا بالتقوى فمن لم يتق الله ولم يراقبه فليس منا
ولسامنه يا زيد اياك ان يهن من به تصول من سيعتنا فيذهب نورك يا زيد ان
تسيعتنا انما ابغضهم الناس وعادوهم واستحلوا دماءهم واموالهم لحبتهم لنا
واعتقادهم لولائتنا فان انت اسأت اليهم ظلمت نفسك وابطلت حقتك. قال
الحسن بن الجهم: ثم التفت (ع) الى فقال يابن الجهم: من خالف دين الله فأبرأ
معه كائنا من كان من اى قبيلة كان ومن عادى الله فلا تواله كائنا من كان،
من اى قبيلة كان فقلت له: يابن رسول الله ومن الذئع يعادى الله تعالى قال:
من يعصيه^١

وحصيلة ما افاده الامام (ع) هو ما اعزبه القرآن من دوران كرامة
الانسان مدار التقوى وانها لا تتحصل بالانتساب والامنية وما الى ذلك، بل
بالمراقبة والطاعة انحصاريا وان من يعصى الله فهو عدو له، فكيف يكون ولياله.
ولذلك نراه (ع) يخاطب اخاه بانه اخوه مازال فى طاعة الله عزوجل. ان
نوحا(ع):

قال رب ان ابني من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين،
فقال الله عزوجل يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فاخرجه الله
عزوجل من ان يكون من اهله بمعصيته.^٢

لان الله الذى لا يجور فى الحكم -لأنه احكم واتقن واعدل حاكم
وقاض-، قدحكم بان الطالح منقطع الرباط والصلة عن الصالح وان النسب
الاعتبارية لا تحمل اية حقيقة وان العصيان يوجب ويلازم الابتعاد عن الله وان
الطاعة توجب وتلازم القرب اليه وان البعيد والقريب ليسا بسواسيه لانه برى

١- عيون الاخبار، ٢ / ٢٣٥.

٢- عيون الاخبار، ٢ / ٢٤٤.

على بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم ١٠٧

من البعيد عن الله اذ: اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي (ص) والذين آمنوا والله ولى المؤمنين وهو- اى ابراهيم (ع)- قال لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون. والسرفى ذلك هو ان الحق برئ من الباطل ويضاده ولا مجال له مع ظهور الحق، كما قال تعالى:

قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعبد^١.

يعنى سبحانه انه لا موقع للباطل مع مجئ الحق سواء فى ذلك الباطل الحادث البادى الغير المستبق بوجود او الباطل الذى كان موجودا مسبقا ثم زال فلا امكان لعوده كما لا امكان لحدوث غيره من الاباطيل لان الحق -بطبيعته- يدمغ الباطل فاذا هو زاهق، ومن هنا يستبان معنى قوله مولينا الرضا (ع):

النظر الى ذريتنا عبادة فقيل له: يابن رسول الله (ص) النظر الى الائمة منكم عبادة والنظر الى جميع ذرية النبي (ص) قال (ع): بل النظر الى جميع ذرارى النبي (ع) عبادة مالم يفارقوا منهاجه ولم يتلوتوا بالمعاصى^٢.

وذلك لان رؤية الذرية الطاهرة عن الذنوب والادناس تكون تذكرة للذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهذه التذكرة عبادة دون النظر الى المتلوثة بالمعاصى لانه حجاب عن ذكرى هؤلاء المطهرين فكيف يكون عبادة فيدلنا ذلك على دوران العبادة مدار الحق دون الانتهاء ولا الامنية والحسبان، وحيث انه (ع) كان متحققا بالحق وكان صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين وكان منزلها عما يتشوب الباطل والتمنى وعما يشوبه الانتهاء والحسبان لا يفاعل ولا يؤثر فيه المدح والقدح، فلذا نراه لما قال له (ع) رجل: «والله ما على وجه الارض اشرف منك اباً» يجيبه (ع) بكل تأكيد بأن

١- سبأ / ٤٩.

٢- عيون الاخبار، ٥١/٢.

١٠٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

«التقوى شرفهم وطاعة الله احظتهم»، وهكذا لما يقول له الآخر: «انت والله خير الناس»، يقول له:

لا تخلف يا هذا خير مني من كان اتق الله تعالى واطوع له والله ما نسخت هذه الآية: وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقكم^١.

والسبب هو ان الانسان الكامل المعصوم (ع) لا يأتيه الباطل من بين يدي المدح ولا من خلف القدح، لان القرآن العلمى المصون عن ذلك كله قد خالط دمه ولحمه من قرنه الى قدمه ومن قلبه الى قالبه ومن ملكوته الى ملكه ومن عقله الى طبيعته ومن فيضه الاقدس عن شوب الكثرة والميز الى فيضه المقدس مستوعبا جميع مراتبه، فكما ان القرآن العلمى قول فصل وليس بهزل وبرهان ليس بحسبان وحق ليس بامنية، كذلك القرآن العيني الذى هو مستنطقه حق لا ينخسف بالمدح الباطل ونور لا ينكسف بالقدح الزور، وعلى الجملة: تكون حياته الطلوى حياة عقلية مبرأة عن التباهى بالانتفاء وان كان هو (ع) فوق مدحة المادحين ماضيا او مقتبلا، كما عرّف هو (ع) الامام بما لاياله عقول الناس، الا ان الاستدلال بالقرآن انما هو لتحكيم التحقيق وطرد اية امنية لائى متمن. والسر فى اصراره (ع) فى طرد التمنى ونبذ الامنية وراء الظهر هو انها بضاعة الشيطان وحبالته كما قال سبحانه حاكيا عنه:

...ولا مئنيهم^٢

ولا يغتر بها الا اهل الدنيا الذين هم تحت ولايته. ومن اظهر مصاديق هؤلاء الاميون الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ولذلك يعدمهم الشيطان ويمنيهم وما يعدمهم الا غرورا، كما قال امير المؤمنين (ع):
...وحذرکم عدوا نفذ فی الصدور خفيا ونفث فی الاذان نجيا فاضل

١٠٩ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

واردى ووعد فى وزين سيات الجرائم^١.

والانسان المحقق الذى تربى فى مدرسة كلامه تعالى:

ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب^٢.

هو الذى يكذب مناه ويكابر هواه ويستغنى باسرف انحاء الغنى وبجاهد
هواه كما يجاهد عدوه كيلا يأسر عقله هواه ولا يصبح هواه اميراً عليه، كما قاله
امير المؤمنين (ع):

... واشرف الغنى ترك المني وكم عقل اسير تحت هوى امير^٣.

ولامناص فى التحفظ من التمنى وحباله العدو المبين الا بالعبادة والتباهى
بها اذ التفاخر بالتذلل لله ممدوح، كما اوعز اليه الامام على (ع):
الهى كفى بى عزا ان اكون لك عبدا وكفى بى فخرا ان تكون لى ربا انت
كما احب فاجعلنى كما تحب^٤

ونماذكرنا بكلمه يلوح معنى كلام مولينا الرضا (ع) لما قال له المامون:

يا بن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك و
عبادتك اراك احق بالخلافة منى. قال (ع): بالعبودية لله عزوجل افتخر و
بالزهد فى الدنيا ارجو النجاة من شر الدنيا وبالورع عن المحارم ارجو الفوز
بالمغامم وبالتواضع فى الدنيا ارجو الرفعة عند الله عزوجل^٥

١ - نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

٢ - النساء / ١٢٣.

٣ - نهج البلاغة، قصار الكلم، ٢١١.

٤ - مفاتيح الجنان، ص ١٣١.

٥ - علل الشرايع، ١/ ٢٢٦.

١١٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

والمحصل: ان تعاليم القرآن مؤسسة على التحقيق والاتقاء عن الامانى وأن مولينا الرضا (ع) كغيره من العترة الطاهرة قدبنى سيرته العلمية والعملية على التحقيق البرهانى وتحكيم مبانيه وتضعيف الامانى وتحطيم اركانها وتنبيه المغترين بها واحياء ارتكازهم بعدم الاغترار بالانتفاء والحسب والنسب وما الى ذلك من الاسماء التى ما انزل الله بهامن سلطان وذلك كله ببركة العمود النورى الذى كان ببنه (ع) وبين الله سبحانه كما اسلفنا بيانه مبسوطا. (بلغ والحمد لله رب العالمين ليلة القدر ٢٣ من رمضان المبارك عام ١٤٠٦ هـق)

الجنة الرابعة: فى ترغيب القرآن الى البرهان العقلى والشهود القلبى وترهيبه عن القياس الوهمى والتمثل الشيطانى

قد تقدم ان القرآن يهتف الى التحقيق ويأمر به ويزجر عن الركون الى الامنية وينهى عنها، وبما أن القرآن نور لاظلامه فيه اصلا فلا يكتفى بمجرد الامر بشئى بدون الارشاد الى كيفية تحصيله ولا يقتصر على مجرد النهى عن شئى بلا ذكر لنموذجه وبيان لمن ابتلى به وتبيين لكيفية علاجه لانه ليس كتاب تعليم فقط كيلا يتعرض لذكر الامثال وتشريح حال المبتلين به كما هو المألوف فى سوق التصنيف ومتجر التأليف بل هو كتاب انزل «هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان».

فهو رغم تأسيس بنيانه على التحقيق ودعائه الناس الى تأسيس حياتهم عليه ومدح المحققين وذم المعارضين عنه حسباً مرمسباً فى الجنة الثالثة، لكنه - فى نفس الوقت - لا يقتنع بصرافة هذا البيان الكلى من دون تعليمه لمنهج التحقيق و هدايته شرائط النيل بالحق وتذكر موانع الوصول اليه ونقل احاديث وقصص اولئك الذين لم يتحصلوا لتلك الشرائط ولم يتقوا عن هذه الموانع ووقعوا فى تيه

١١١ غل بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن الحكيم

الجهالة وحيرة الضلالة، كما وانه نقل سيرة المتزيتين بوجودان هاتيك الشرائط والمتخلين عن هذه الموانع والقواطع والحاضين لما حظوا من القرب والوصول، وعليه فن اللازم التدبر في القرآن الحكيم لكي يتبين منطقته في تعليم اسلوب التحقيق وان منهجه ماهو؟ وكم هو؟ ثم الانصات الى ما عن مستنطقه وهو الانسان الكامل المعصوم (ع) حتى يظهر ان بانه في نحو الهداية الى الحق والنبل به ماهو وكم هو ايضا لبستبان ان الثقيلين الذين خلفها رسول الله (ص) في امته بمنزلة العينين والاذنين كلاهما يبصران معا ويسمعان معا بلاميز ولا تعدد ولا تحالف ولا اختلاف بين مبصرانها ولا بين مسموعاتها.

فنقول: ان الذي يفيدنا ويتحفنا القرآن الكريم هوان هنا طريقين الى الوصول للحق: احدهما التفكير العقلي وثانيها الشهود القلبي وكل واحد منها وان كان ملائما للاخر ومناسبا له لكن لكل واحد منها فصل يمايزه عن صاحبه. نعم من الممكن جمعها في انسان متكامل كالحكيم المتأله والعارف المحقق، واما طريق الحس فهو ليس صراطا مستقيما بحاله مادام لم ينته الى البرهان العقلي وذلك، لأن الجزئي المحسوس بما انه جزئي لا ينتج وان ضم الى جزئي او جزئيات آخروا انتج فلا يخرج عن الظن الغير المغنى من الحق شيئا فيما يعتبرفه اليقين.

وحيث ان اسلوب وطريقة الشهود القلبي اقرب الى الحق والى سيرة الانبياء والاولياء الذين به نالوا مانالوا وهوفي نفس الوقت ادعى الى العمل الصالح، كما وانه ايضا مبتن عليه، كان اهتمام القرآن به اشد من اعتناؤه الى طريق التفكير العقلي ولكنه مع ذلك اصعب واعسر واوعر من التفكير العقلي رغم كونه صعبا وعسرا ووعرا ايضا لان شرائط سلوكه اهم من شرائط التفكير العقلي وموانعه اكثر من موانعه لان شرائط التفكير الصحيح وكذا الموانع منه

معلومة مدونة ورعايتها وان كانت غير خلية من الصعوبة لكن شرائط الشهود القلبي كعقبات كثودة وعرة يصعب اقتحامها جدا والموانع عنها اودية مهلكة حفت بالشهوات وزينت بها على حد يعسر الاتقاء عنها ويشكل التجارة منها والاستيلاء عليها الا للاوحدى الذى استخلصه الله لنفسه وبلغ شأواً قاصيا لا تناله سهام الا بالسه ولا تصل اليه ايدى الأمانى والدسائس، واولئك هم القلة عددا... والممايز الاخرين طريق التفكير والشهود هوان حصيلة التفكير البرهاني تتقبل الانتقال الى الغير بالتعليم دون ثمرة الشهود القلبي فانها لا تقبله بوحده الآبالاستعانة من التفكير العقلي، وتفصيل المقال فى كل واحد منها فى طى مقامين احدهما ما يبحث عن موقف التفكير العقلي تجاه القرآن الحكيم و الاخر حول موقف الشهود القلبي تجاهه، فنقول:

المقام الاول: فى موقف التفكير العقلي تجاه القرآن الحكيم

ان التفكير العقلي تحرك روحى نحو المجهول من قنطرة المعلوم المنتهية اليه بالضرورة ويتألفه السكون والتحرك من مجهول الى مجهول او من معلوم لا ينتهى الى ذلك المجهول باليقين، وان امكن انتهائه اليه بالظن الغير المغنى عن الحق شيئاً لذلك فقد منع القرآن الهادى للتي هى اقوم عن كل من السكون المعبر عنه بالتقليد فى الاصول ومن التحرك لاعلى النهج الصواب المعبر عنه بالمغالطة الفكرية التى منشأها ايجاء الشيطان الى اوليائه ليجادلوا فى الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير، ولم يقنع كتاب الله بمجرد هذا المنع كما مرمسقا بل قدم بنفسه امام السالكين وبرهن على دعواه واستدل على مدعاه وعلم فن البرهان لمن وعاه ونقل ماساند اليه ذلك المعرض عن الحق والتأى بجانبه ويين وهن دليله بضعف مادته او صورته وحذر عن الاستدلال بما لا يفيد اليقين لوهنه

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١١٣

كما رَهَبَ عن الجمود والتقليد لان سلوك سبيل الغي والتحرك المغالطى لولم يكن اسوء حالا من التوقف والتقليد فلاقل منه .

والسرفى ذلك كله هو ان الدين الالهى المبنتى على الحق لا امكان لنيله الا بوعى من العقل او بوحى من النقل، وكلما اتسع نطاق العقل فى المجتمع وشاع الوحى فيه امكن الوصول الى محتواه وسهل النيل الى مغزاه، وكلما انعكس الامر باتساع الجهل فى المجتمع اما للجمود وعدم التفكير او للتفكر الباطل العقيم صعب الوصول الى مدعاه واصبح مهجورا مطموسا، كما وان الامر فى الدين الشيطانى القائم على الباطل على معاكس منه حيث انه كلما اتسع نطاق التقليد وشاع التفكير المغالطى سهل رواج ذلك الجراف وكثر تابعوه اولئك الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجوا الى ركن وثيق... ولكل من هذه الامور المارة نماذج نشير اليها كمايلي:

(فنها) مايتصل الى النهى عن اتباع غير العلم البقيني نحو قوله تعالى:

ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا^١.

(ومنها) ما يتصل الى تفصيل هذا النهى بان كل واحد من التصديق والاتباع وكذا التكذيب والنفي اذا لم يكن بالبرهان القطعى فهو اقتفاء لما لا علم به، وقد نهى عنه كما قال فيه مولينا الصادق (ع)^٢

ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا وقال عز وجل:

«الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق^٣»

١ - الاسراء / ٣٦ .

٢ - الكافى، باب النهى عن القول بغير علم ١/ ٤٣٧، ٣ - الاعراف / ١٦٩ .

وقال:

بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يابهم تاويله^١.

(ومنها) ما يتعلق الى النهى عن التقليد عمن لا يهتدى ولا يتعقل لانه عطلة لاحراك لها، كما قال سبحانه ذمًا لهؤلاء:

واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولوكان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون^٢.

وذلك لان العمل لا بد وان ينتهى الى العقل والهداية الحققة، اما بلا واسطة كما اذا كان العامل نفسه عاقلا مهتديا كالمعصوم (ع) بعناية الهية، واما مع الواسطة، كما في غيره اذا استند اليه وحيث ان آباء هؤلاء المقلدين لم يكونوا عاقلين ولا مهتدين والا لما تحركوا نحو الباطل ولم يبغوا سبيل الحق عوجا فلم يكن عمل الاتباع منتها الى العقل والهداية، ولذا قال سبحانه في شأنهم:

... ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون، ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون، بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون^٣.

يعنى ان القول اذا لم يستند الى العلم البرهاني ولا الى الوحي السماوى فهو خرص لا اعتداده وتقليد صرف لا جدوى له.

(ومنها) ما يتصل الى بيان استقرار الدين الالهى على العلم فلذا يرغب اليه واستواء الدين الشيطاني على الجهل فلذلك يرهب عنه.

(اما الاول) فهو فوق الاحصاء كقوله تعالى:

١- يونس / ٣٩.

٢- البقرة / ١٧٠.

٣- الزخرف / ٢٢ - ٢٠.

١١٥ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

وتلك الامثال نضرها للناس وما يعقلها الا العالمون^١.
... انما يحتسى الله من عباده العلماء^٢.
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون^٣...

(واما الثانى) فنحوقوله تعالى:

فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوماً فاسقين^٤.

يعنى تعالى حمل فرعون قومه على الخفة او وجدهم خفيف العزم بالجهل
فصاروا مطيعين له، وذلك لأن الحق ثقل. كما قال الله:
انا سنلق عليك قولاً ثقیلاً^٥.

والعمل الصالح ثقيل فلذا تنقل موازين الصالحين، كما قال تعالى:
فاما من ثقلت موازينه فهو فى عتبة راضية وامان خفت موازينه فانه
هاوية^٦.

والمحصل ان الدين الشيطاني الذي كان فرعون يهدى اليه ويحامي عنه
ويبتغيه وسيلة لدنياه حيث كان يقول:
انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد^٧.

انما هو القائم على الجهل وخفة العزم فلذا كان فرعون يدب عن السفاهة
والتمويه بترو مجها والدعاية اليها وبتهديد من يدعوا الى الله بالحكمة والموعظة

١ - النكوبت / ٤٣.

٢ - فاطر / ٢٨.

٣ - النقره / ٢٠٣.

٤ - الزخرف / ٥٤.

٥ - المزمل / ٥.

٦ - القارعة / ٦-٨.

٧ - غافر / ٢٦.

١١٦ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

الحسنة ولما كان الدين الجاهلي يدور مدار الاستخفاف حدّر الله رسوله
والمسلمين منه في قوله تعالى:

فاصبراً وعد الله حق ولا يستخفّك الذين لا يؤمنون^١.

فبالترغيب الى العلم الذى عليه عماد الدين الالهى والترهيب عن الجهل
والسفه الذى عليه ابتناء الدين الشيطاني يتحول المجتمع نحو التفكير والتحرك
الروحي ولصيانته عن الاعوجاج، انزل كتاباً غبرذى عوج وسلك فيه طريق
التفكير الصحيح وحدّر عن تطرّق الطريق المغالطى .

(اما الاول) فهو المتجلى في القرآن الحكيم من بدئه إلى ختمه نحو قوله:

لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا^٢!

وقوله تعالى:

لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً^٣.

أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم البينا لا ترجعون^٤!

وما الى ذلك من الآيات المصوغة بصياغة القياس الاستثنائي مع تبين
التلازم بين المقدم والتالى فيه وبيان بطلان التالى المستلزم لبطلان المقدم
اوالمصبوغة بصيغة القياس الاقتراني مع تبين الربط الضرورى بين الاوسط
وبين طرفيه من الحد الاصغر والحد الاكبر، لسنا الاكن بصدد تفصيله .

(واما الثانى) فهو ما نقل في القرآن حكاية عن الوثنيين المتفكرين بزعمهم،
لانهم كغيرهم من ارباب النحل صنفان احدهما السادة الذين يتحمّلون اعباء

١- الروم / ٦٠.

٢- الانبياء / ٢٢.

٣- النساء / ٨٢.

٤- المؤمنون / ١١٥.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١١٧

التفكر و ثانيها الاتباع الذين يتحملون اوزار التقلب و احصر التبعية وان كانت الاغلال على اعناق القائد والمقود والسلاسل على ارجلهم جميعاً لانهم بعد ما عرضوا عن ذكر الله وصاروا في ضنك المعيشة وزيف القلوب وضيقها ورين الافئدة وطبعها، قاموا يترددون في ربهم وقد تقدم ماتمسك به الضعاف من المشركين وهو حفظ الستة الجاهلية الموروثة من آباءهم ومضى مسبقا انه الجمود على الجهل والسكون الى السفه والقرار على التوهم واما منطلق متفكرهم فهو ما حكاه الله عنهم في قوله تعالى:

سيقول الذين اشرکوا لوساء الله ما اشرکنا ولا آبائنا ولا حرمنا من شئ كذلك کذب الذين من قبلهم حتى دافوا بأسنا قبل هل عندکم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الاطل وان اتم الا تخرصون، قل فقللہ الحجة البالغة فلو شاء هداکم اجمعين^١.

وحصيلة حجتهن الداحضة عند ربهن هو انهم بعد ما اعترفوا بأن الله سبحانه موجود وانه خالق السموات والارض وانه رب الارباب، اشرکوا بعد ذلك في ربوبيته الجزئية. فانهم ادعوا بان للانسان رباً خاصاً يربه ويدبره ويرزقه ويسعده وهكذا للبحر رب خاص وللبر رب مخصوص فلذا اعتقدوا بالارباب المتفرقين وهؤلاء الوثنيون مع انكارهم لاصل النبوة كانكارهم لاصل المعاد كانوا يحتاجون في قبال دعوة الانبياء الى التوحيد وان الشرك باطل ليس بمرضی لله وان الله شاء ان يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً...، بان الله -والعياذ بالله- شاء ان يشرك هؤلاء و اراد ان يجعلوا له شريكاً في الربوبية والعبادة وشاء ان يحرموا اشياء ويحللوا اشياء آخر، وذلك لان الله قادر مطلق

لا يعجزه شئ ولا راد لقضائه ولا مبدل لحكمه .

وانما امره اذا اراد شئاً ان يقول له كن فيكون !

فلامرّد لمشيته ومن البين انه تعالى لو كان رائداً لأن لا يشركوا ولا يتخذوا من دونه ارباباً وان يعبدوه ولا يجعلوا له شريكاً ولا يحرموا اشياء ولا يحللوا اشياء آخر، لماقدروا على شئ من ذلك ، وبما انهم قادرون عليه بشهادة ما اعتقدوا من الشرك وما فعلوا من التحريم والتحليل ، فيعلم من ذلك انه تعالى شاء ان يشرك هؤلاء ويتخذوا من دونه اولياء ولم يشأ خلاف ذلك ولم يرده .

وهذا التفكير المغالطى هو الذى حكاه القرآن الكريم عن هؤلاء المشركين الذين ارادوا تصحيح ما فعلوه وتوجيه افاعيل آبائهم فى موارد (منها) ما يحكيه قوله تعالى:

وقال الذين اشركوا لواء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين^٢.

يعنى لواء الله ان لا نعبد الوثن ولا نحرم من عند انفسنا اشياء لماقدروا على عبادة غيره ولا على تحريم شئ والتالى باطل لانا نفعل ذلك كما وان آبائنا فعلوه من سابق فالمقدم مثله، اذاً: فالله قد اراد الشرك وشاء عبادة الالهة، فما يقوله مدعى الرسالة بان الله لم يشأ الشرك ولم يرد ان يعبد الاصنام افتراء عليه... فهذا هو الجدل الذى جادلوا به الحق ليدعموه ولكن القرآن الكريم الذى هو نور لا ظلامه فيه اصلاً قد بحث فى اطروحة التوحيد والشرك من نواح شتى وبرهن على ضرورة التوحيد وكونه حقاً لا يراد فيه وبين امتناع الشرك

١١٩.....عل بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن حكيم الحكيم

وكونه باطلا لا مرية فيه .

وكلامنا الآن هو في فساد الشرك ودحضه... ولقد استوفى القرآن البحث عنه في ثنايا امور .

(الاول) في الاستدلال العقلي على بطلان الشرك .

(والثاني) في نفى الدليل الثقلي على صحته .

(والثالث) في تحليل ما استدلل به هؤلاء وبيان مغالطتهم في القياس .

(اما الامر الاول) فهوان المعبود لابد وان يكون موترا في الاحياء والاماته وفي الضر والنفع... وما الى ذلك ، فلا بد وان يكون ربا اذ لا يعبد من لا تأثير له في قضاء حوائج العبد، وحيث ان الرب لابد وان يكون خالقا اذ التدبير وكذا الربوبية لبس الا ايجاد الروابط بين الاشياء وهدايتها التكوينية الى كمالاتها الوجودية ولا يشذ هذا عن الخلقة ولا اقل من ان يكون ملازما لها، اذ الرب لابد وان يكون عارفا بالشيى وعلله الوجودية ونعوته الكمالية ولا يكون غير الخالق عريفا بذلك... فعلى ائى تقدير يكون الربوبية من شئون الخالق لا غير فيجب ان يكون الخالق هو الرب، ويمتنع ان يكون الرب هو غير الخالق كما يجب ويلزم ان يكون الخالق هو المعبود ويستحيل ان يكون المعبود هو غيره، والقرآن يهتف بهذا الاصل بقوله:

أشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون^١.

يعنى أن الذى ليس بخالق يمتنع ان يكون شريكا للخالق وشيها له في الربوبية، بل الذى هو مخلوق كغبره من المخلوقين يمتنع ان يكون ندًا لخالقه

١٢٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام .

ومثيلاً له . فهذا هو البرهان العقلي على استحالة تحقق الشرك في العالم .
ويمكن ان يسمى هذا القياس بالجدل لان بعض مقدماته قد اخذ فيه انه
المسلم عند الخصم لقوله تعالى :

ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله^١ .

يعنى ان هؤلاء المشركين قد تسلموا بأن الخالق الوحيد هو الله وان الوثن
او الصنم ليس بخالق اصلاً ، وعلى الجملة ان الحكم بالشرك لابتد وان يكون
مستنداً الى دليل وهو اما العقل او النقل .

(اما العقل) فانه قائم على امتناعه حسبما تقرّر ، فلا يهدى اليه بل يمانع عنه
ويهدى الى التوحيد بالضرورة .

(واما النقل) فهو منتف - ايضاً - كما نقرّ توضيحه فيمايلي .

(واما الامر الثانى) اى عدم قيام الدليل النقلى عليه فهو ان الله سبحانه لم
يرسل رسولا ولم ينزل كتاباً ناطقاً بالشرك كما قال سبحانه :

ام آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون^٢ ؟

يعنى لا دليل نقلى لهم على تجويز عبادة الآلهة كما لا دليل عقلى لهم عليه
وقال تعالى :

ام انزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون^٣ .

يعنى لم ينزل الله عليهم بالوحى السماوى برهاناً مسلطاً على السنن
الجاهلية وعلى الاوهام والخيالات يتكلم ذلك الوحى الالهى بتجويز الشرك

١ - لقمان / ٢٥ .

٢ - الزخرف / ٢١ .

٣ - الروم / ٣٥ .

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٢١

وعليه فلا العقل ناطق به ولا النقل متكلم بذلك ، بل النقل القطعى كالعقل
اليقيني قائم على نفيه وناه عنه كما قال سبحانه:

قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون^١.

يعنى ان الله الذى هو رب العالمين ويبيده الامر والنهى والتحليل والتحريم
قد حرم الفواحش و... الشرك بالله بما لا دليل عليه ولم يرسل رسولا يدعوا اليه
ولم ينزل كتابا يهدى اليه فلا سلطان ولا برهان عليه بل البرهان على خلافه
حسباً تقدم.

وحيث انه لا دليل لهؤلاء على ارتضاء الله بالشرك وان عبادة الالهة
مرضية عنده تعالى، فاسناد الستة الوثنية اليه تعالى افتراء محض وإفك صرف،
كما قال سبحانه:

ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً^٢.

يعنى لا يمكن التفوه بان الشرك مرضى له تعالى اذا الظلم العظيم كيف
يكون مقبولا لدى العدل المحض الذى لا يظلم احداً وكيف يرضيه العدل الذى
لا يظلم مثقال ذرة فاسناده اليه فرية لا تغفر، اما كونه فرية فلما اوعزنا اليه من ان
اسناد شئى الى الله بلا اذن منه افتراء، كما قال سبحانه:

قل الله اذن لكم ام على الله تفترون^٣.

واما كونه غير مغتفر فلانه شرك وهو ظلم عظيم، كما صرح سبحانه:

ان الله لا يغفر ان يشرك به^٤.

٣- يونس / ٥٩.

١- الأعراف / ٣٣.

٤- النساء / ٤٨.

٢- النساء / ٤٨.

وقال تعالى:

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا...

وعليه: فلا ظلم اشد واعظم من الشرك ولا ظالم اظلم من المشرك المفترى على الله كذبا فلا صلح هناك للغفران رغم سعة رحمة الله الغفار. (واما الامر الثالث) اى تحليل ما استدل به هؤلاء لتصحيح الشرك وبيان مغالطتهم فى القياس فهو: ان الله سبحانه ارادتين وامرين احدهما تكوينى لا مرد له والاخر تشريعى يطاع تارة ويعصى اخرى والمميز بينهما هو أن الارادة التكوينية انما تتعلق بفعل نفسه اى بان يريد الله تعالى - بالذات - ان يفعل فعلا خاصا كالا حياء والامانة والقبض والبسط وانزال المطر وانبات النبات وما الى ذلك، وأن الارادة التشريعية انما تتعلق بفعل غيره او تركه اى بأن يريد الله سبحانه ان يفعل الانسان باختياره فعلا خاصا كالعدل والاحسان او يترك فعلا، بخصوصه كالظلم والاسائة ومآل هذه الإرادة الى ارادة التشريع والتقنين فقط بحيث يحتفظ به اختيار المأمور فى الاخذ والترك .

ويترتب على القسم الاول من الارادة: لزوم تحقق المراد وامتناع تخلفه وكون المخاطب تابعا للخطاب فى الوجود ونحو ذلك كما قال سبحانه:

انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون^١.

اذ الخطاب هنا هو الابداء لا التكلم اللفظى لأن الاشياء بارادته دون امره مؤتمرة ولا نها بكراهية دون نهيه منزجرة فلا لفظ ولا صوت ولا نداء وما الى ذلك بل انما هو افاضة الوجود على ما هو المعلوم فى الحضرة العلمية مما يتقاضى الظهور

١- الانعام/٩٣.

٢- يس/٨٢:

على بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن الحكيم ١٢٣

دون غيره مما لا يستدعيه ولا يصلح له، وهذا القسم من الامر والارادة والمشية هو الذى لامرّد له ويمتنع العصيان بالنسبة اليه لان جميع الموجودات قد اسلمت لله رب العالمين كما قال تعالى:

فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين^١.

ويترتب على القسم الثانى من الارادة الحفاظ اختيار الانسان المامور بالخير المّتهى عن الشرك «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة» وكونه بين نجدى الطوع والمعصية وطريقى الشكر والكفر، لقوله تعالى:

...وهديناه النجدين^٢.

انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا^٣.

فالامر هيمننا وان كان امرا الهيا، لكنه فى نفس الوقت متعلق بمتن القانون والحكم لابتفس الفعل الخارجى، كما قال سبحانه:

ان الله يأمر بالعدل والإحسان^٤.

وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء^٥.

وهذا القسم من الأمر و الارادة والمشية هو الذى قديطاع كما فى قوله تعالى:

قل انى أمرت أن اعبد الله مخلصا له الدين^٦.

وقد يعصى، كما فى قوله سبحانه:

وكآين من قرية عنت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا^٧.

١ - فصل ١١/.

٢ - البلد ١٠/.

٣ - الانسان ٣/.

٤ - النحل ٩٠/.

٥ - البينة ٥/.

٦ - الزمر ١١/.

٧ - الطلاق ٨/.

١٢٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

فاذا تبين أنَّ الله سبحانه ارادتين وان لكل واحدة منها حكما يختص بها و
ان الايمان مأموره ومراد بالامر والارادة التشريعية و أن الشرك منهي عنه و
مكروه بالكراهة التشريعية وان الارادة التشريعية تقبل للعصيان وان التي
لا تقبل المعصية هي الارادة التكوينية ليس الا...

فبانجلاء هذا بكله تظهر كيفية مغالطة المتفكرين من الوثنيين في قياسهم
الداحض عند ربهم، حيث انهم خلطوا بين الارادتين لمساواة اللفظ مثلا ورتبوا
حكم الارادة التكوينية على التشريعية وغالطوا في قولتهم: لو شاء الله ما أشركنا
ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء وذلك لان الله سبحانه شاء ان لا يشركوا تشريعا
لا تكوينا ومجرد اختيارهم الشرك لا يدل على انه مراد الله سبحانه فلا تلازم
بين المقدم والتالي، اذ التلازم انما هو بين المشية التكوينية وبين تحقق المراد
عدم التخلف عنها لابين التشريعية وبينه ... وعليه فلا انتاج لهذا القباس
الذي لا لزوم بين مقدمه وتاليه رغم توهم التلازم للمغالطة الناشئة من اشتراك
المشبته بين القسمين احدهما ملازم للتالي دون الاخر.

ولقد استوفى القرآن البحث في تحليل قياسهم المدعوم بان المشيئة
التكوينية لم تتعلق بالايمان ونفى الشرك بل المتعلقة بذلك هي التشريعية التي
ينحفظ معها اختيار الانسان، حيث قال تعالى:

ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا...^١

مع انه تعالى اراد ان يؤمنوا جميعا فلذا أرسل اليهم رسوله كما قال:

وما ارسلناك الا كافة للناس^٢

١- يونس / ٩٩.

٢- سبأ / ٢٨.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٢٥

وقال:

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا^١.

فالله سبحانه وإن أراد تشريعا ان يؤمن من فى الارض كلهم جميعا، بيد انه لم يشأ ذلك تكويننا تحفظاً لبقاء الاختيار الذى به تكامل الانسان فالتلازم بين المقدم والتالى فى القياس الاستثنائى متحقق، والتعبير فى قوة قوله لو شاء ربك تكويننا ان يؤمنوا لآمنوا جميعا، لامتناع تخلف المراد عن الارادة التكوينية فعدم ايمانهم يكشف -بالإن- عن عدم ارادة من الله سبحانه بايمانهم تكويننا. وقال ايضا:

...ولو شاء الله لجمعهم على الهدى^٢.

اى لو شاء تكويننا لاضطرهم على الهدى ولآمنوا جميعا بالضرورة، لكنه لم يشاء ذلك صونا لاختيارهم الذى هو بين الجبر والتفويض. ولذا قال تعالى:

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين^٣.

اى اللازم على الله سبحانه هو بيان سواء السبيل والصراط المستقيم والطريق الوسطى التى هى القصد بين طرفى الافراط والتفريط وليس على الله الذى كتب على نفسه الرحمة ازيد من ذلك، ولكن بعض الناس يجوز عن هذه السبيل وينحرف عنها ويفسق عن امره ولو شاء الله هدايتهم. يمشيته التكوينية التى لا يتخلف المراد عنها لهداهم اجمعين بلا جور لأحدهم ولا اعناف فهو تعالى شاء هدايتهم تشريعا، ولم يشأها تكويننا. فلذا قال سبحانه:

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر^٤.

٣- النحل / ٩.

٤- الكهف / ٢٩.

١- الفرقان / ١.

٢- الانعام / ٣٥.

١٢٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وعند استبانة الميزبين الارادتين بالقول المطلق واتضح الاصول العامة في الهدايتين والارادتين تصل النوبة الى تبين مغالطتهم في تفكيرهم الإلحادى حيث قال سبحانه:

ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل^١.

يعنى لو شاء الله تكويننا ان يؤمنوا ولم يشركوا ما اشركوا جزميا وبالضرورة، وقال ايضا:

....ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون^٢.

معناه: لو شاء الله تكويننا ان لا يقتلوا اولادهم تقربا الى الالهة و لا يجعلوهم قرايين لها ما فعلوه البتة.

وحيث انهم قد اشركوا وقتلوا اولادهم للالهة فانه يعلم منه ان الله سبحانه لم يشاء ذلك تكوينا فاستبان أن المشيئة التي لا يتخلف المراد عنها انما هى التكوينية منها دون التشريعية وانها لم تتعلق بالايمان والطاعة حتى لا يتخلفا عنها وانما المتعلقة بذلك هو خصوص المشيئة التشريعية التي يكون الانسان المكلف مختارا فى الامتثال بها وبعدمه، فهذا التفكير الصحيح السليم هو البرهان العقلى المصون عن شوب ائى غلط فكرى و ذاك الذى ابتلى به المتفكر الوثنى انما هو قياس مغالطى منشأة مما مر مسبقا من اشتراك المشيئين واشتباه الامر بينهما عليهم، فلذا قال سبحانه:

قل فله الحجة البالغة فلو شاء هداكم اجمعين^٣.

١ - الأنعام / ١٠٧.

٢ - الأنعام / ١٣٧.

٣ - الانعام / ١٤٩.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٢٧

لان الحجة التي تَلِدُ النتيجة ولا تعقم عنها هي التي اقامها الله تعالى لا ما تمسكوا به وهي التي لا تبليغ اليها بل تعقم عنها لاقترانها بالمغالطة.(تدبر)

تبصرة:

بما أن القرآن هدى للناس وذكرى للبشر ونذير للعالمين لذلك فقد تعرض لمفال كل صنف منهم فما كان منها حقا صوابا ايده وما كان باطلا فصله الى ما كان العامل له شبهة علمية وما كان لشهوة عملية... ثم انه حلل الشبهة العلمية احسن تحليل وازاحها احسن ازاحة على حد لم يبق معه مجال للريب، وكذا حلل الشبهة العملية اجمل تحليل وعالجها احسن علاج الى حد لم يبق معه مجال للابتلاء والاتصال بها، وذلك بكله لمن كان له قلب او التقى السمع وهو شهيد والا فقد يزيد شبهة على شبهاتهم كما نطق به تعالى في كلمته:
 في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا^١.

والغرض ان القياس المغالطى الذى ابتلى به متفكروا الوثنيين قد تعرض له القرآن وبين موضع الغلط وعالجه اجمل علاج وهناك قياس استثنائي آخر لمن يحمل شهوة عملية ولا يبالى بما قال بل يتفوه بكل ماجرى على لسانه ويساير تمايلا ته... والقرآن يحكيه ويحلل مافيه ويبين منشأه الجاهلى، كما قال تعالى:

وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم^٢.

١- البقرة/١٠.

٢- الأحقاف /١١.

حصيلته: ان هؤلاء الكفرة حسبوا انفسهم سابقين بالخيرات وانه لا يفوتهم شئ منها وانه لو كان هناك خير لا دركوه ولماسبقهم اليه غيره واذالم يقتبلوا شيئا ولم يقصدوه فانما هو لاجل نقصه وعدم وجود النفع والخير فيه، ومن هذا القبيل الايمان بالله الواحد وبما جاء به الرسول الاعظم (ص). ثم انهم آلفوا على هذا الزعم الزائف قياسا استثنائيا لدليل على التلازم بين مقدمه وتاليه عدا حسابان انهم على شئ، بيد ان القرآن بين عدم التلازم بينها وأن منشأ هذا الحساب الجاهلي عدم الاهتداء بما يهدي اليه الله من الطريقة التي هي اقوم ومن الخير الذي يدعوا اليه، حيث قال تعالى:

أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرا من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين .^١

لذلك يبين سبحانه مزعمهم ويحلله بأن منشأ قولهم بأن الايمان ليس خيرا بل هو دس وزور وفرية ضبطها التاريخ وكذب له مقدمة تاريخية واسباب مادية انما هو عدم الميزين الخير والافك وعدم التشخيص بين الخير والشر وما الى ذلك وسيوافيك مافيه بيان مبادئ القياس الجاهلي مما له دخل في تلفيق الدليل.

ثم انه كما ان البحث المسبق كان حول التقليد المحض والتفكر المغالطي وبيان مبادئها وتحليل مناشى الغلط فيما يرجع الى التوحيد، كذلك فيما يرجع الى النبوة بحث ينبغى الايعاز الى نموذج منه لان للتي (ص) دعوة ودعوى، حيث انه يدعى رسالته ونزول الوحي عليه وصيرورته نبيا، كما ويدعوا الى الله الواحد الذي لا شريك له والى اليوم الاخر الذي يحشر الناس فيه جميعا الى

على بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن الحكيم..... ١٢٩

المبدء العدل الحكيم، وهؤلاء الوثنيون قد قاموا تجاه كل واحد من الدعوى والدعوة ولكن الجهلة منهم قابلوا ذلك بالجمود الفكرى والوقوف على السنة الجاهلية وحفظها والمتفكرين منهم قابلوه بتلفيق القياس المغالطى الدال على زعمهم التافه بأن من المستحيل ان يصير الانسان رسولا او يستبعد ان يكون نبيا بل لو كان للنسبة اصل وللرسالة مبدئ فلا بد وان تكون من اوصاف الملائكة وان الصالح لحمل رسالة الله هو الملك السماوى فقط. ولا بعد فى ان يكون زمام كلا الفريقين من الجهلة والمتفكرين بيد المستكبرين منهم، حيث ان هؤلاء الملاء استأجروا ضعفاء العقول، كما وانهم استخدموا الذين جعلوا علمهم جهلا ليوحون الى اوليائهم ليجادلوا الحق ويستكبروا عن قبوله ويصيروا صفًا واحدا قبل مدعى النبوة بحيث يعسر ميز كل واحد من هذه الطوائف بعضها عن بعض غير ان المباحث القرآنية تفيدنا ان الجدال فى الحق والتعرض له والرد عليه عدا كونه من المكر السياسى والدسائس والحيل العملية، انما كان لمرتين (احدهما) حفظ السنة الجاهلية التى آلفوا آباءهم عليها (وثانيها) القاء الشبهة على شكل الاستدلال... والاول هو التقليد والتوقف عن الحركة والثانى هو التفكير المغالطى حسبما تقدم بيانها... ولغات بنموذج من ذلك فيما يتصل الى دعوى النبوة فنقول: إن نطاق الجهلة من المشركين فى ذلك كله منهج واحد هو حفظ السنة الموروثة وأنهم وجدوا آباءهم على ذلك ولم يسمعوا ما يخالف ذلك فى ادوارهم الغابرة، كما قال تعالى:

فلما جائهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الاسحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين. وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون^١.

١٢٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وكما قال تعالى:

وعجبوا ان جائهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب...
ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق أنزل عليه الذكر من
بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يدوقوا عذاب^١.

الى غير ذلك من الايات التي تدلنا على ان عمدة سناد غشاء المشركين هو
حفظ الجاهلية الموروثة وابقاء سنتها الدائرة، واما سناد متفكرهم هو ان
الرسالة من شئون الملائكة وان الانسان يمتنع او يبعد ان يصير نبيا، كما قال
تعالى:

وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا
رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء
ملكارسولا^٢.

فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم ولوساء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل
به جنة فتربصوا به حتى حين^٣.

فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك
اتبك الا الذين هم اراذلنا بآدئ الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل
نظنكم كاذبين^٤.

ولئن اطعمتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون^٥.
فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون^٦.
فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لقي ضلال وسعر^٧.

١ - ص / ٨، ٧، ٥.

٢ - الاسراء / ٥ - ٩٤.

٣ - المؤمنون / ٥ - ٢٤.

٤ - هود / ٢٧.

٥ - المؤمنون / ٤٧.

٦ - القمر / ٢٤.

٧ - المؤمنون / ٣٤.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٣١

وما الى ذلك من الآيات الدالة بالظهور او الایعاز على ان البشر بزعم هؤلاء لا يصير رسولا وعلى ان من شرائط الرسالة كون الرسول ملكا وعلى ان البشرية تمنع عنه والقدر المتفق عليه بين جهلة الوثنيين وغيثائهم وبين متفكرهم وكذابين الملاء المستكبرين منهم هونفى دعوى النبوة وتكذيب ادعاء الرسالة رغم اختلافهم فى مبادئ التكذيب. وبما انهم اتفقوا على انكار داعية الرسالة نسبوا مدعيها الى الجنون والكهانة والسحر والشعوذة ونسبوا اليه الافتراء والغرض السوء وهو اعادة اخراج الناس من ارضهم التى يعيشون عليها، كما قال تعالى:

قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر علم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون!

وحيث انهم لم يهتدوا بالوحى فتعوسوا فيه بأراء شتى ومن ذلك قول قريش فى شأن القرآن تارة بانه اسطورة واخرى بانه كهانة وثالثة بانه شعر وهكذا و لعله المراد من قول الله سبحانه:

الذين جعلوا القرآن عضين!

اى جعلوا له اعضاء وابعضا فعضوه وبعضوه بنسب متعددة ولم يستقروا على شىء اذ لا معيار للسب والشم ولا ميزان للزور والايذاء ولكن الله سبحانه قد نزه ساحة الرسالة عن الواث هذه النسب وطهر فناء النبوة عن هذه الحزبيلات. ثم بين ان منشاء استنكار الجهلة انما هو الجمود على التقليد والاحتفاظ للتراث الجاهلى وافاد انه مانع عن اى تكامل كما ووضح ان

١٣٢..... المؤتمر العالمي للامام الرضاعليه السلام

منشاء استكبار متفكرهم هو المغالطة في القياس والانحراف عن صراط التفكير
السليم.

(اما الامر الاول) فهو ان الله قد وصف الانبياء (ع) بالهداية والصفوة
والاجتباء والاخلاص والعصمة عن اغواء الشيطان وسوسته والنزاهة
عن الذنب والبرائة عن الشرك واهله والخصومة للخيانة واهلها وما الى ذلك
من الكمالات الوجودية، وقال تعالى:

قال الملاء الذين كفروا من قومى انا لنراك فى سفاهى وانا لنظنك من
الكاذبين، قال يا قوم ليس بى سفاهى ولكنى رسول من رب العالمين^١.
كذلك ماأى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحرا ومجنون اتواصوا
به بل هم قوم طاغون^٢.

فافاد سبحانه وتعالى ان اسناد الجنون ونحوه الى ساحة الرسالة انما هو
للطغيان وعدم التفكير ولو انهم كانوا من اهل الدراية والعقل لعلموا ان الرسول
فى حفاظ وصيانة عن ذلك كله، حيث قال تعالى:

اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين^٣.

وحيث انهم لم يتاملوا ولم يتدبروا فلا محالة اسندوا امرهم الى ما يركنون
اليه وهو البأس والبطش والسلطنة وما الى ذلك من ذرايع الطغيان والتواصى
بالطغوى، كما قال تعالى:

فتولى بركنه وقال ساحرا ومجنون^٤.

ثم انه سبحانه لما بين مدار الهداية والدراية وان الانبياء الذين يدورون

٣- الاعراف / ١٨٤.

١- الاعراف / ٧ - ٦٦.

٤- الذاريات / ٣٩.

٢- الذاريات ٣ - ٥٢.

١٣٣.....عل بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

مدارهاهم الهداة والدراة فلذا سقّ المعرضين عن ذلك المقطب وحكم
بسفا هتهم في قوله تعالى:

ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه^١.
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون^٢.

(واما الامر الثاني) وهو بيان أن منشاء استنكار الجهلة هو التقليد وحفظ
تراث آباءهم الذين لا يهتدون ولا يعقلون، فهو كما قال تعالى:

قالوا يا شعيب اصلا تك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في
اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد.
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك
لرجناك وما انت علينا بعزير^٣.

يعنى تعالى ان الجمود على الاستنسان بالسنة الهالكة الموروثة اوجب لهم ان
لا يفقهوا كثيرا مما يقوله شعيب النبي اذ التقليد ينافى التحقيق حسبما تقدم مرارا
فلذلك لم يفقهوا اصل النبوة ولم يقبلوا دعوتها منه (ع) ولا من غيره من مدعيها
كما ولم يفقهوا دعوتهم الى التوحيد والمعاد وما اليهما...

(واما الامر الثالث) اى بيان ان منشاء استكبار المتفكرين منهم
هو الانحراف عن نهج التفكير الصحيح فهو ان التفكير السليم عن عيوب المغالطة
فى المعارف الالهية لا امكان له من دون ان يكون للانسان معرفة سليمة عن اى
نقص، اذ الجاهل بنفسه فانه بغيره اجهل، ولذا عدها اصحاب المعرفة مفتاح
سائر المعارف وباب تلك المدائن العلمية فلا يمكن فتحها والنزوع اليها الا
بمعرفة الانسان نفسه.

١- البقرة/١٣٠.

٢- البقرة/١٣.

٣- هود/٨٧ و ٩١.

١٣٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وبما أن التفكير الوثني استقر في معرفة الانسان على ماديته، وان جميع شئونه مادية وان نفسه كبذنه مادية محكوم بالتطور المنتهى الى الزوال، وان الموت ضلال في الارض ونفاد رأسا، وان الانسان جسم نام ناطق ولا غير، فهو كالشجر ينمو ويفنى، لحيات له اثموته اصلا، فلذا اشركوا في المبدء الربوبي والعبادى اولا وانكروا النبوة والرسالة من رأس... ثانيا ونفوا المعاد واليوم الآخر ثالثا. وذلك لأن لانسان بعد افتراض ماديته لا يقتدر على معرفة ربه فطبعي له ان لا يقتدر على عبادته والاستعانة منه والتوكل عليه والالتجاء اليه، كان هذا سببا لان يركنوا الى الآلهة وجعلها وسائط فيض بينهم وبين الله وشفعاء لهم وان يعبدوها ليقربوهم الى الله الزلى... وهكذا الانسان المفروض كونه ماديا لا يقتدر على مخاطبة الله واستماع كلامه ورؤية جماله بقلبه، اذ القلب حسب افتراضهم انما هو كالقالب مادي، وعليه فلا يتيسر له تلقى الوحي من ربه بل ان كان هناك وحى وتلق له فانها هو للملك، وان كان في البين رسالة وابلاغ فانما ذلك له ايضا لالانسان وهكذا الانسان المزعوم كونه ماديا فانه لا مجال له لان يحى بعد الموت والبوار اذا المعدم لا يعاد والزائل لا يعود.

ثانياً فهذا المبنى الغلط هو الذى انتج هاتيك الاوهام الغالطة كما وانه الداء العضال الغاشى على قلوب الماديين غشيم من الجهل والعمى ما غشيم، ولما كان القرآن نورا مبينا ومن اجلى خواصه انارة المواضع المظلمة فلذا بدء بتعريف الانسان وتحديد حقيقته المؤلفة من نفس ناطقة مجردة عن المادة مبرأة عن احكامها ومن بدن مادي واقع تحت تدبير تلك النفس، اهتم بتعليم ان الانسان كادح الى ربه كدحا فيلاقيه فله ان يعرف ربه على قدر مكنته وان يمتنع اكتناهاه وله ان يعبد ولا يعبد سواه ويستعينه ويستهديه ويعتمد عليه

١٣٥ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

ويراجع اليه في كل شئونه ويتخلص بالتوحيد عن حائل الشرك، وهكذا تفهم ان الانسان لتجرد روحه ونزاهة ضميره وصلوح قلبه وطهارة نفسه قابل لان يتلقى الوحي من لدن حكيم عليم ويصل الى مبدرج يصارح ويقول: ما كنت اعبد ربا لم اره، وكيف لا والملائكة الذين سجدوا له قابلة لذلك المدرج فلانسان : اذا- ان يصير نبيا بلا استحالة ورسولا بلا استبعاد.

وهكذا تبين ان الموت انتقال من دار الى دار وان الانسان لا يضل بالموت في الارض وانه لا ينعدم حتى يعاد ولا ينفى لكي يعود، بل هو منتقل بالموت من الدنيا الى برزخ يكون روضة من رياض الجنة او حفرة من حفرة النيران ثم الى اليوم الاخر والقبمة الكبرى... فباء سبائة هذه المعارف ينجو الانسان عن غائلة انكار الوحي والنبوة والرسالة ويتحرر عن إصر سلاسل نفي المعاد وغل انكاره، اعادنا الله من ائ تفكر لا يصححه الوحي الالهى ومن ائ اعتقاد لا يرضيه، ومن ائ خلق لا يرتضيه ومن ائ عمل لا يصوبه وهدانا الله الى مع الحق ولب الصواب واورثنا الكتاب وورثنا منطق من يستنطق القرآن وهم العترة الطاهرة - سلام الله عليهم اجمعين.

ولكل من هذه المسائل بحث يختص بها وبحقلها والمبحوث عنه هنا هو الدائر على السنة المتفكرين من الوثنيين والذى قلدهم فيه اذناهم وهو: ان الانسان لا يصير رسولا الهيا وان البشرية بما هي بشرية تمنع عن النبيل لذلك المدرج الشامخ (اولا) ولان مدعى النبوة بشر كغيره من احاد النوع الانساني، فلو افترض جواز صيرورة البشر نبيا وغض النظر عن امتناعه لجاز ذلك لغير مدعيها ايضا (ثانيا) وذلك لانهم امثال وحكم الامثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، فلذا ترى - ايها القارئ العزيز- ان القرآن الكريم ينقل اصل الامتناع عنهم تارة والاستدلال بالتماثل وان حكم الامثال واحد تارة اخرى فيجيب

١٣٦..... المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام

عن الاستدلال للامتناع مرة... وعن الاستدلال باتحاد حكم الامثال اخرى.
ومحصل ما افاده القرآن فى امكان الرسالة للبشر بمعناها العام الشامل
لضرورتها اذهى اى رسالة الانسان -على الجملة- امر ضرورى لا يرباب فيه،
هوان للانسان روحا مجردا عن المادة لا يحويه مكان ولا يضبطه زمان ولا يتشكل
بشكل خاص هندسى ولا يحكم عليه ما يحكم على المادة وبه يصير صالحا لتعلم
الاسماء والحقائق من الله سبحانه كما قال تعالى:

وعلم آدم الاسماء كلها^١.

وبه يصير معلما للملائكة وينبئهم بالاسماء والحقائق، كما قال تعالى:

با آدم انبئهم بأسماء هؤلاء^٢.

وبه يصير مسجودا للملائكة اجمعين... فهو بذلك كله يليق ويؤهل لان
يصير خليفة لله تعالى كما قال:

انى جاعل فى الارض خليفة^٣.

وقال:

فسجد الملائكة كلهم اجمعون...^٤.

الى غير ذلك من الكمالات الوجودية التى لاتناله المادة ولوازمها،
ولا يتوصل اليها المقدار واحكامه فاذا جاز للملك المتعلم الساجد ان ينال
الوحى والرسالة، فللانسان الكامل المعصوم المعلم اياه المسجود له جائز ذلك
ايضا بالضرورة، فاذا جاز للانسان ان يصير رسولا الهيا فلا مجال للاستبعاد او

٣ - البقرة/٣٠.

١ - البقرة/٣١.

٤ - الحجر/٣٠.

٢ - البقرة/٣٣.

١٣٧.....عل بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن الحكيم

الاستحالة حتى يقول قائلهم: «ابعث الله بشرا رسولا.» او يقول «ولو شاء الله لانزل ملائكة...» او يتفقوا بقوله: «لولا انزل عليه، ملك...»

فالانسان صالح للرسالة الالهية واما ضرورة كون الرسول انسانا وعدم كفاية رسالة الملك فهو امر آخر اوعز اليه القرآن وبينه ايضا. وتوضيحه: ان البحث في النبوة والرسالة انما كان يتم في امور... هي كما يلي:

(منها) اثبات ضرورتها وعدم كفاية العقل وحده لهداية المجتمع البشري (ومنها) اثبات امكان الرسالة للانسان بلا امتناع (ومنها) بيان ضرورة كون الرسول المبعوث الى الناس انسانا يعيش معهم وياكل ويشى في الاسواق كاحد منهم من دون كفاية رسالة الملك (ومنها) امور اخرى لا مجال للاشارة اليها ههنا فضلا عن البحث عنها.

وحيث ان القرآن بحث في غير مورد عن ضرورة هداية الناس الى سعادتهم الخالدة وتعرض لعدم كفاية العقل في تأمينا حسبنا قررنا في الرسالة المعمولة في ذلك وبين لزام بعث رسول خارجي مؤيد للرسول الداخلي - اى العقل - فيما يعلمه ومعلم اياه فيما لا يعلمه ومنبه له فيما ارتكز في فطرته ومثير لدفائن علومه صراح بان ذلك الرسول الظاهري المبعوث الى هدايتهم لا بد وان يكون هو من يباشرهم ويحتج عليهم ويجادلهم ويكون اسوة لهم وحجة عليهم وملجأ للحوادث الواقعة وهاديا لهم في الحرب والسلم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويأخذ من اموالهم صدقة تطهرهم وينظم امورهم ويضعب عساكرهم... وما الى ذلك مما اسسه الكتاب وفصله العترة وحصله الثقلان احسن تفصيل. ومن البين ان الرسول الذى هذا شأنه لا امكان لان يكون ملكا لا يراه الناس ولا يباشرهم بل يجب ان يكون انسانا مثلهم لكى يتيسر له ذلك، اذ الرسول لا بد وان يكون مماثلا للمرسل اليه فيما اذا كان شأنه الهداية الخارجية لا مجرد الالتقاء في الروع

١٣٨ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

وانزال الوحي في القلب مثلا، فلذا قال سبحانه:

قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا^١.

يعنى: ان الملك انما يصلح لرسالة الملائكة لا لرسالة الناس ولو كان القاطنون في الأرض ملائكة لأناساً لأرسل الله اليهم ملكا رسولا وحيث ان سكنة الأرض الماشين عليها اناس ليس الا... فلا بد وان يكون الرسول المبعوث اليه منهم، اى لامناص من ان يكون انسانا يعيش معهم ويموت معهم كى يكون اسوة لهم وحجة عليهم، ولو فرض ان الله ارسل ملكا الى الناس فلا بد وان يصوره بصورة الرجل ليكن لهم ان يروه ويسائلوه ويراجعوا اليه، فاذا تصور بصورة الرجل عاد الامر جدعا ولكانوا يقولون ايضا ابعث الله بشرا رسولا، اذ لو لم يصور الملك بصورة الانسان المادى لما امكن لهم ان يستمعوا كلامه ويتأسوا به ولو تصور بصورته لأمكن لهم ذلك ولكن كانوا يقولون ايضا (وفي نفس الوقت): «ما هذا الابشر مثلكم يريدان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آبائنا الاولين» والى ما قرناه يشير قوله سبحانه: ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون^٢.

والذى تفيدنا هذه الاية لزوم وضرورة التناسب بين الرسول والمرسل اليه ليحاورة وليصير قدوة له. كما وان من اللازم كونه رجلا لامطلق انسان يعم المرأة، ايضا، كما صارج به قوله تعالى:

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاستلوا اهل الذكر ان كنتم

لا تعلمون^٣.

١ - الاسراء / ٩٥.

٢ - الانعام / ٩.

٣ - النمل / ٤٣.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٣٩

وذلك، لان الرسول لابدو ان يكون مرجعا للحوادث الواقعة من الحرب والسلام... وما الى ذلك من شئون المجتمع الانساني وهولا يتيسر فيما لو كان امرأة يستلها الناس من وراء حجاب ليكون اذكى لهم، كما تلزمنا الآية به: واذا سأتموهن متاعا فاسئلهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن... .

فالدين الذى يرى طهارة القلوب فى سؤال المراءة من وراء حجاب لا يمكن ان يكون قيمه ومبلغه ومسئوله ومعلمه المراءة التى لا يتمكن الناس من الاتصال والمعاشرة معها فى السر والعلن، وهكذا تفيدنا آيتنا المبحوث عنها امرأ آخر هو ان لبس الحق بالباطل و كتمان به هوزيغ للقلب وعاهة له، والقرآن انما هو شفاء لما فى الصدور من الجهل والكبر والطمع وحب ما هو رأس كل خطيئة، كما قال سبحانه:

قد جئناكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور^٢.

فاذا لم يستشف به الذى فى قلبه مرض يمسك الله سبحانه فيضه عنه، فاذا امنسك رحمة الخاصة ولم يرسلها اليه ولم يكن هناك مرسل آخر كما قال تعالى و«مايمسك فلا مرسل له» يزداد السقم والزيف - بطبيعته - اذ المرض يتزايد لولم يعالج، وهذا هو الموعز بقوله تعالى:

فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا^٣.

وقوله تعالى:

فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم .

٣- البقرة / ١٠.

١- الاحزاب / ٥٣.

٤- الصف / ٥.

٢- يونس / ٥٧.

١٤٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

وعليه فلو ابتلى الانسان بلبس الحق بالباطل ولم يعالج مرضه هذا بما هو شفاء لما في الصدور، فانه يسلب الله فيضه الخاص عنه فيدوم لبسه ويستمر، كما قال تعالى: «وللبسنا عليهم ما يلبسون» وهذا اللبس الالهى إنما هو لبس ثانوى و رد فعل، لانهم يعذبون به جزاء بما كانوا يلبسون كالا ضلال الجزائى كما قال تعالى:

يفضل به كثيرا ويهذى به كثيرا وما يفضل به الا الفاسقين^١.

اذ الاضلال البدائى قبيح لا امكان لصدوره عن الله تعالى، والذى يصح سنده اليه انما هو الاضلال الثانوى الذى يكون جزاء وفاقا لعمل الفاسق الضال عن سبيل الله بعد تبيينها عن سبيل الغي، والهدف هو ان الله الذى هو نور السموات والارض لا يلبس الحق على احد بالباطل ابدا، بل يهذى الكل اليه بالحق ولا يلبسه بشيىء اصلا، كما قال:

الحق من ربك فلا تكن من الممترين^٢.

وقال:

قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد^٣.

يعنى ان الحق انما يتنزل من عند الله لا من عند غيره فاذا جاء الحق فلا مجال معه للباطل باطلاق كلمته لا الباطل الذى كان له سبق وجود يقدر على العود ولا الباطل الغير المستبق به يصلح للحدوث كما مر مسبقا، فلا امكان لأن يلبس الله الحق بالباطل، فعنى قوله تعالى: «وللبسنا عليهم ما يلبسون»

١- البقرة/٢٦.

٣- سبأ/٤٩.

٢- آل عمران/٦٠.

١٤١ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

هو ما تقرر... وعلى ضوء ذلك بكنه يتضح امكان الرسالة الالهية للبشر بلا محذور فيه وبه يدعم توهم المتفكرين من المشركين...

واما محصل ما افاد القرآن الحكيم في دفع شبهة التمسك بقانون اتحاد الامثال فهو ان لوجود النوع الانساني مدارج بعضها على بعض ادناها كالحجارة او اشد قسوة وتنزلا واعلاها كالمرآة الصافية التي لا تكذب ما رأتها وبينها مدارج شتى ولبس كل احد صالحا لتحمل اعباء الرسالة التي لا يعلم موضعها و موطنها الا الله، كما قال هو تعالى:

الله اعلم حيث يجعل رسالته!

وهؤلاء المتشبهون بقانون التماثل لاستنادهم في معرفة الامور الى الحس والمادة

قالوا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون^٢.

فقالوا بئنا نكبر منهم:

أنؤمن لبشرين مثلنا وقومها لنا عابدون^٣.

لكن القرآن المؤسس علومه على ان معيار معرفة الاشياء هو العقل والوحي دون الحس وأن الموجود اعم من المادة والمجرد عنها، افادنا - بصورة حية - بان التماثل في بعض الامور لا يكفي في اتحاد الحكم مالم يستوعب المثلية جميعها، وحيث ان للنبي (ص) قلبا طاهرا عن دنس الطبيعة ورجسها ومنزها عن رين المادة ورجزها وسليا عن حب الدنيا وزبارجها ومبرا عن ضيق نشأة الشهادة

١ - الانعام / ١٢٤.

٢ - المؤمنون / ٣٣.

٣ - المؤمنون / ٤٧.

١٤٢ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وزيفها... فهو صالح لان يوحى اليه ويتلقاه من لدن حكيم خبير، فلا تماثل بين من شرح الله صدره وبين من ختم على قلبه، ولا تشابه بين من لا يزيغ بصره ولا يطفئ وبين من ران على قلبه ما كان يكسب فلا يجد من لايهمه الا نفسه البهيمية ما يجد من جاهد نفسه وهواه كما كان يجاهد خصمه وعدوه.

والى ما ذكر من اختصاص التماثل بين النبي (ص) وبين هؤلاء ببعض الجهات دون بعضها الآخر يتجه قوله تعالى:

وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون، قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه^١.

اذا المحجوب الذى قلبه فى كنان وفى اذنه وقركيف يسع له أن يكون مثلاً لمن خرقت ابصار قلبه الحجب النورية فضلاً عن الحجب الظلمانية ووصل الى معدن العظمة وصارت روحه معلقة بعز قدس الله سبحانه فاذا لم يكن هناك تماثل فى الدرجة الوجودية فلا مجال معه لاتحاد الآخر، ومآل هذا التحليل الى منع الصغرى وان التماثل بين النبي (ص) وغيره - اى التماثل التام - ممنوع، وعليه فع عدم التماثل لا مجال - نهائياً - للتمسك بالكبرى الناطقة بوحدة حكم الامثال اذا المثل دليل على شبهة^٢ لاعلى غيره.

تنبيه:

ان فى المسئلة مقصدين لابد وان يعتنى بشأنها (الاول) ان سائر الناس ليسوا امثالا للانبياء حتى يوحى اليهم ما اوحى الى هؤلاء الانبياء وينزل اليهم

١- فصلت / ٥ - ٦.

٢- نهج البلاغة، الخطبة ١٥٣.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٤٣

ما انزل على هؤلاء. (والثاني) هوان الانبياء من ناحية فقرهم الوجودى وانه لا يمكن ان يصدر منهم شئ بالاستقلال وان جميع ماياتون به فهو مساند الى اذن الله سبحانه وانهم لا يملكون لانفسهم موتا ولا حياة ولا نفعا ولا ضرا... امثال لسائر الناس فالله ياذن الله بشئ لما قدروا على الاتيان به لان الانبياء كالامم محكومون بالفقر ذاتا وصفة وفعل، فلذا لا يصح للناس اقتراح آية رغم شهيتهم المتزايد لها كما لا يمكن للانبياء الاتيان بها ما لم ياذن الله سبحانه ولعل من الممكن استنباط هذين المقصدين من قوله تعالى:

قالت رسلهم أئى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليفقر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بئرمثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتنونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون^١

اذالمستفاد من قولهم للانبياء ان أنتم الا بشر مثلنا هو ادعاء التماثل وعدم المزية الموهلة لهؤلاء الانبياء كما ان الذى يفيدنا قولهم: تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا، هو لزوم حفظ السنة الموروثة والرجوع الى الاموات ابتداءً او استدامة الرجوع التقليدى اليهم بقاء، والمستفاد من قولهم فاتنونا بسلطان مبين هو اقتراح الاية حسب ما يشاؤون واما قول الانبياء فى الجواب: ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده، فهو يعطينا ان التماثل على الجملة -اي فى بعض الوسامات والمدارج الانسانية- حق متفق عليه، بيد الامتنان الالهى اوجب لبعض ممن يشاء من عباده درجة فائقة من الانسانية بها يمتاز الانبياء عن سائر الناس فلا تماثل -عندئذ- فى الملبين كى يتم دعوى المماثلة من

١٤٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

عند المشركين، واما الذى يعطى قولهم فى الجواب: وما كان لنا ان ناتيكم
بسلطان الا باذن الله... هو أن الانسان وإن بلغ ما بلغ وامتاز عن ابناء نوعه
بأى امتياز ومؤهل، فانه- فى نفس الوقت- ورغم كل ذلك لا يشد عن فقره
الوجودى ولا يلج باب الغنى المختص بالله القائل:

يا ايها الناس انتم الذقراء الى الله والله هو الغنى الحميد^١.

فهؤلاء الانبياء العظام فى استعانتهم بالله وافتقارهم اليه وتوقف جميع
اعمالهم على اذنه امثال للناس ولكن الله ياذن لهم حسب ما يشاء دون غيرهم
فلذا يتيسر للنبي ان يقول...

وابرى ألاكمه وألأبرص واحي الموتى باذن الله^٢.

دون غيره من آحاد الناس. ومن هذا الاذن الخاص ينتزع الاعجاز
ويصح معه التحدى وبه تثبت النبوة لاجله تتم الحجة، وهذا التحليل يعطينا
حقيقة اخرى، هى: تبين موضع المغالطة من متفكرى المشركين او غيرهم ممن
يقترح المعجزة بما تشتهى انفسهم المسولة والامارة، وكذا بيان سر قول الانبياء
تجاه اقتراح هولاء: ان نحن الابرص مثلكم، وهكذا سر قوله تعالى:...

وما كان لرسول ان ياتى بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب^٣.

اذالممكن سواء أكان نسبيا او غيره وسواء اكان ملكا او انسانا فانه
مفتقر الى الله فى اصل وجوده ومفتاق اليه فى ايجاده لان اليجاد كالوجود ربط
محض الى ايجاده تعالى والالزم التفويض الذى هو اسوء حالا من الجبرالسى

١- فاطر/١٥.

٢- آل عمران / ٤٩.

٣- الرعد- / ٣٨.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٤٥

الممتنع عقلا والمنوع نقلا ومن هنا ينجلي معنى قوله تعالى في تعريف الملائكة:
بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون.

كما ويظهر ان الملك كالانسان عبد داخر فلا يصح الالتجاء اليه بلاذن
من الله الذي حرم عبادة من دونه ومنع عن اتخاذ غيره نداء له تعالى وبذلك يلوح
وبيان موضع الغلط الفكري لمن يتخذ الملائكة اربابا لهم بالاستقلال فتحصل
آن ارساط الناس ليسوا امثالا للانبياء في الكمال الوجودي وان كان الانبياء
امثالا لهم في الفقر الذاتي تنوا فلذا لا مجال لقانون التماثل في كمال الرسالة وان
كان له مجال في احتياج المرسلين الى الاذن الالهى .

تبصرة:

إن المستفاد من القرآن هو ان الوثنيين كانوا معتقدين بالملائكة انه فوق
الانسان وانه صالح لتلقى الوحي والرسالة من الله دون الانسان وان له تقربا
خاصا اليه تعالى: ليس للانسان ذلك كما وانهم كانوا يعتقدون انه ولدالله
سبحانه، ولوانهم كانوا معتقدين بانه مماثل الانسان وله تركيب جسماني مادي
لما عبدوه، ولما حكموا بصلاحه وتأهله لتلقى الرسالة دون الانسان ولما اعتقدوا
بشفاعته، اما القرآن الكريم فينفي بعض هذه الامور باطلاقه كربوبيته الملك
ومعبوديته ولديته لله سبحانه وينفي بعضها الاخر مقيدا بلاطلاق، كشفاعة
الملك حيث انه نفى استقلاله فيها واثبت له ذلك مأذونا...
ولم يتعرض لكونه فوق الانسان المادى المحسوس كما ولم ينفه، بل قال بان

١٤٦ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

الانسان • لم تبدل نشأة شهادته الى نشأة الغيب لما امكن له رؤية الملك، كما قال تعالى:

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتو عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا^١.

يعنى ان رؤية الله سبحانه مستحيلة سواء كانت في عالم الشهادة والحس اوفى البرزخ وعالم التمثيل، اذلا صورة مثالية للحق المحض المجرد عن اى قيد عقلى فضلا عن قيد وهمى او خيالى. واما رؤية الملائكة فهى وان لم تتمكن في نشأة الشهادة بالحس المادى، الا ان لها امكانا في نشأة البرزخ والمثال فلذا يرونهم ذلك اليوم ولكن لا بشرى لهم -عندئذ- كما قال سبحانه:

ولنرى اذيتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق^٢.

كان هذا هو السبب لأن يقول هؤلاء الكفار المضروب وجوههم بعة من الملائكة وادبارهم بعة اخرى منهم: «حجرا محجورا»، اى نحتجر بحجركم ونلوذ بمعاذكم، صونا عن الضرب والتعذيب. وزبدة الخوض: ان معتقد الوثنيين في الملائكة هو أنهم فوق البشر وانهم صالحون لما لا يصلح له الانسان وما الى ذلك، ونفى القرآن بعضا مما كانوا يعتقدون فيهم ولم ينف تجردهم عن الجسم المادى ونحو ذلك بل امضاه بعدم امكان رؤيتهم في نشأة الحس لان شهودهم يتوقف على تبدل احس المادى بالبرزخ المثالى او تغير الدنيا بالآخرة حتى يتجلى للانسان ملك الموت -مثلاً- كما قال مولينا السجاد (ع):

على بن موسى الرضا عليهما السلام والبرآء الحكيم ١٤٧

...وتحلى ملك الموت لقضها من حجب الغيوب^١.

ايضاح :

قد مر معنا: ان التقليد انجماد فكري مانع عن الرقى الى ذرى التحقيق المؤسس عليه المعارف الحقّة وان التحجر الذهني بضاعة الجهلة الذين شعارهم هو: «انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون» ودثارهم هو: «ماسمعنا بهذا في آباءنا الاولين». وان القرآن الحكيم وضع عن الانسان اصر القلادة والغل وهداه الى العقل البرهاني او النقل القطعي بلا تطارد بينهما بل مع التلازم والتعاقب اذ البرهان العقلي يصدق لما بين يديه ولما هو فوقه وامامه من الوحي القطعي. ولان الوحي القطعي -ايضا- مصدق لما بين يديه من البرهان العقلي وسبحان الوحي القطعي عن طرد البرهان العقلي وحاشا العقل الصراح والبرهان المنزه عن شائبة المغالطة عن التردد تجاه الوحي وعدم تخضعه لديه وعدم اقراره بما جاء به والالتجاء اليه والتفقه عليه لانه بالذات -اي العقل البرهاني- قائم على ضرورة الوحي وجودا وعلى عصمته عن اى وهن وسوء وصيانتة عن اى هون وحزازه وطهارته عن اى لوث وقذارة و نزاهة عن اى جهل وخطيئة وبرائته عن اى عيب ونقص وصفاً... فعه لا يمكن ان لا يتعبد بالوحي القطعي ولا يؤمن به والا لزم ان لا يعتقد بنفسه وهذا هو محذور الجمع بين النقيضين الممتنع بالضرورة.

ثم ان الانسان المتفكر على منهج الصواب اذا قام عنده الحق اما بالبرهان او بالوحي فانه يعتقد به واذا كان آباءه معتقدين بذلك ايضا فهو يتهج ويشد

١- الصحيفة السجادية، دعاء ختم القرآن.

١٤٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

عزمه به، وهذا هو الوراثة الكريمة لا التقليد الدائر مدار القائل دون المقول، اذ التقليد انما هو الركون الى شخص معين واخذ ما يصدر عنه بالسمع والقبول بلا عرض له على العقل او الوحي واما الوراثة الكريمة فهي طمأنينة إلى الحق الذي نطق به العقل اودل على الوحي، واتفق ان المتقدمين ايضا كانوا يعتقدون بذلك. ومن هذا القبيل توصية الانبياء ابنائهم بالاسلام وكذا اتباع ابنائهم لهم وابتهاجهم بهذا الاتباع. وهكذا امر الله سبحانه رسوله باتباع هداهم.

(اما الاول) فكقوله تعالى:

اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون، ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعمد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون^١.

لان التواصي بالحق هو غير الايصاء بالتقليد والتحجر الفكري. فابراهيم (ع) وكذا يعقوب (ع) قد اوصى بنيه بالحق. (واما الثاني) فكقوله تعالى:

إني تركت مله قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون. واتبعتم مله آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون^٢.

لان اتباع الحق بعد انجلاؤه ليس هو التقليد وان صادف انه كان دينا للاباء، اذ المتبع هناك هو الحق لا مقال الاب والجد او الستة الموروثة وما اليها، ولذا ذكر برهان التوحيد ونفى الشرك في قوله: ... ما كان لنا ان نشرك بالله

١ - البقرة / ١٣٣ - ١٣١.

٢ - يوسف / ٨ - ٣٧.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٤٩

من شئ وذلك لان الله الذى لاحد لربوبيته، لاعمى. لأن يكون شئى دونه ربا
لشئى احصا.

(واما الثالث) فكقوله تعالى:

اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لاسئلكم عليه اجرا ان هو
الاذكرى للعالمين^١.

لظهور الآية فى ان الله امر رسوله باقتداء هداية الانبياء الماضين
لاباقتدائهم بأن يصير تابعا لاشخاصهم بما هم انبياء، بل ان يكون تابعا للحق
الذى يكون هولاء ايضا اتباعا له وذلك لأن الذى اوحى اليهم وانزل عليهم و
تجلى لهم واستقر فى قلوبهم تحقق ذلك كله بالنسبة الى رسول الله (ص) ايضا
ويشهد له قوله تعالى:

انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم
واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وابوب ويونس وهرون وسليمان
وآتيناد اود زبور^٢.

فالمحصل (اولا) ان مجرد توافق عقيدة شخص لمعتقد قوم تقدموا عليه ليس
تقليدا واتباعا لهم بعد ان كان معيار الاعتقاد عنده هو الحق المبرهن عليه بالعقل
والناطق به الوحي.

(ثانيا) ان الفرق بين قول يوسف: «واتبعت ملة آبائى»^٣ وبين قول هولاء
الجهلة من المشركين: «انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون.»
هو الفرق بين الحق الحقيق بالتصديق وبين التقليد الباطل الذى يلزم الاتقاء
عنه.

١ - الانعام / ٩٠.

٢ - النساء / ١٦٣.

٣ - يوسف / ٣٨.

١٥٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

(ثالثاً) ان الحق يوخذ به فى اى زمان ومكان ومن اى ناطق وكاتب،
كما قال مولينا الرضا(ع):

الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولوعند المشترك تكونوا احق بها واهلها^١.

وهذا هو الذى يقال فيه: «انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال».

(رابعاً) ان الاتباع والانقياد لا يسوغ الا فى الفروع دون الاصول.

(خامساً) ان التقليد لا بد وان ينتهى الى التحقيق حتى يثبت ان المتبوع

معصوم او منصوب من قبله بالنصب الخاص او العام. وهذا هو الذى ورد فيه عن

ابى جعفر (عليها السلام) فى قول الله عز وجل:

فلينظر الانسان الى طعامه^٢. قال(ع): علمه الذى باخذه عن ياحذه^٣.

اذ العلم البرهانى طعام طيب مهياً من مادة بديهية معدودة من علوم
متعارفة ومن صورة بديهية الانتاج صورها اياها العقل السليم عن آفة الغلط
وعاهة الخيال ولا يعتبر فيه ازيد من الصدق الضرورى كالقائل المعين
او الكاتب المعلوم ونحو ذلك. اذ لا تاثير لفكره ولا لفظه ولا لعمله ولا لكتابه
ولا لشان من شئونه. لذلك فانه يستوى فيه البر والفاجر كالعلم الرياضى وما
اليه وهذا على خلاف ما لمبدئه الفاعلى تاثير فيه بنحو من الانحاء، اذ لا بد هناك
ان يحرز كونه صالحاً لان يركن اليه لعصمة او نيابته عن المعصوم نيابة خاصة به
او عامة له ولغيره.

(سادساً) ان الحجر الاساسى فى معرفة المبدء والمعاد والوحى والنبوة هو

١- اعالى الطوسى.

٢- عيسى/ ٢٤.

٣- الكافى، ج ١، باب النوادر من كتاب فضل العلم.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٥١

معرفة الانسان نفسه كما قال مولينا الرضا (ع):

افضل العقل معرفة الانسان نفسه^١.

وقال (ع):

صديق كل امرء عقله وعدوه جهله^٢.

وقال (ع):

صديق الجاهل في تعب^٣.

(سابعا) ان مقطب المعرفة ومعيارها هو العقل دون الحس، كما قال مولينا

الرضا (ع):

...واعلم ان كل ما اوجدتك الحواس فهو معنى مدرك للحواس وكل
حاسة تدل على ما جعل الله عزوجل لها في ادراكها والفهم من القلب بجميع
(يجمع) ذلك كله^٤.

(ثامنا) ان التفكير انما هو بتحقيق الاصول اولاً وتفريع الفروع واستنباطها

منها ثانياً كما قال مولينا الرضا (ع):

...فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صواباً.

(وتاسعا) ان معرفة الله ميسورة على قدر الطوق البشرى وانه لا مجال فيها

للتفريط بان يطلبه الانسان بالحس ولالافراط بان يشتهي احاطته بالقلب،

١- البحار ٣٥٥/٧٨.

٢- مسند الامام الرضا ٣/١.

٣- التوحيد، ص ٤٣٨.

٤- البحار ٣٥٥/٧٨.

١٥٢ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

كما قال مولينا الرضا (ع):

...ولكن يدل على الله عزوجل بصفاته ويدرك باسمائه ويستدل عليه بحلقه حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد الى رؤيه عين ولا استماع اذن ولا لمس كف ولا احاطة بقلب فلو كانت صفاته جل تناؤه لا تدل عليه واسماؤه لا تدعوا اليه والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لاسمائه وصفاته دون معناه فلو لا ان ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله تعالى لان صفاته واسمائه غيره^١.

وقال (ع) - ايضا:

...والاسماء كلها تدل على الكمال والوجود ولا تدل على الاحاطة كما لا تدل على الحدود التي هي التربيع والتثليث والتسدس لان الله عزوجل وتقديس تدرك معرفته بالصفات والاسماء ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما اشبه ذلك وليس يحل بالله جل وتقديس شئ من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم انفسهم بالضرورة التي ذكرنا^٢.

وقال (ع) ايضا في جواب سؤال عمران عن الحكيم (اي الله سبحانه)

في اي شئ هو وهل يحيط به شئ وهل يتحول من شئ الى شئ اوبه حاجة الى شئ: اخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه فانه من اغمض ما برد على المخلوقين في مسائلهم وليس يفهمه المتفاوت عقله العازب علمه ولا يعجز عن فهمه اولو العقل المنصفون^٣.

فالعقل اذا انصف ولم يتلوث بلوث التفريط ولم يتدنس بدنس الافراط ولم يتقذر بقذر المغالطة في مادة القياس الفكرى ولا في صورته ولم يفته بعض

١ - التوحيد، ص ٤٣٧.

٣ - التوحيد، ص ٤٣٩.

٢ - التوحيد، ص ٤٣٧.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ... ١٥٣

المقدمات عن النتائج ولم يغفل ولم يعزب علمه عن مثقال ذرة مما يؤثر في الاستدلال فانه قدبر على فهم اغمض المعارف وهو فهم التوحيد وغناء الله عما سواه وافتقاره اليه سبحانه وهذا هو الحث الى البرهان العقلي والتهريب عن القياس الوهمي الذي انتجته التدبر في القرآن، وقد صدقه مستنطقه -وهو الانسان الكامل المعصوم (ص)- كما قال (ع):
...وبالعقول يعتقد التصديق بالله^١.

وقال (ع) ايضا:

...فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه وكل ما يمكن فيه يتمتع في صانعه^٢.

اذ بقوله (ع) وبالعقول... الخ. حث ورغب الى البرهان وبقوله (ع) فكل ما يوجد... الخ حذر عن المغالطة.

المقام الثاني: في موقف الشهود القلبي تجاه القرآن الحكيم

العلم بالشئ قديكون بلا واسطة اتى امر آخر وقد يكون بوساطته. والاول هو العلم الحضورى الذى لا واسطة هناك بين المعلوم والعالم والثاني هو العلم الحصولى الذى يكون هو بنفسه واسطابين المعلوم الخارجى وبين العالم وان لم يكن بين ذلك العلم وبين العالم واسطة والالتسلسل الامر الى غير النهاية ولذا يكون كل علم حصول حضوريا معلوما بالذات ولا علم ازديمنها اذ لا معلوم عدا معلومها، وعليه: فالمعلوم اما وجود واما ماهية او ما في حكمها وهو المفهوم. والاول لا يعلم الا بالحضور ولا يمكن نياله الا بشهوده في موطنه وهو الخارج

١- عيون الاخبار ١/١٤٩.

٢- عيون الاخبار ١/١٤٩.

لامتناع تحققة في الذهن والآلزم انقلاب الخارج ذهنياً.

واما الثاني: فهو من حيث انه معلوم بالذات في الذهن وموجود لدى النفس ومشهود لها علم حضوري، ومن حيث انه حاك ماورائه ووسيلة لنيل النفس الى الخارج المحكى علم حصولي. وهذا العلم الحصولي ينقسم الى التصور والتصديق ثم خصوص التصديق منه ينقسم الى الصواب والخطاء وللميزبينها ميزان متكفل ببيان المواد الحققة المنزهة عن الخطا وبيان الصور المنتجة المبرأة عن العقم. وقد تقدم في المقام الأول ان الميزان القسط الذي انزله الله بالحق على قلب من هو بنفسه لسان صدق وميزان حق هو المعيار الوحيد للميزبين القياس البرهاني الواحد لشرائط المادة وآداب الصورة وبين القياس المغالطي الفاقد لبعضها اولكلها.

والمبحوث عنه في هذا المقام هو تشرريح الشهود القلبي والعلم الحضوري و تبين موره والتدليل على تحققة خارجا والتحريض الى تحصيله والهداية إلى ماهو الشهود القلبي الذي يهشد القلب فيه للذي له تحقق خارجي الذي هو تمثيل شيطاني او نفساني لوجود له في الخارج عن صقع النفس ولا اعتداد به مالم يكن له مبدء رحمانى او ملكى .

والذى ينبغى أن يتنبه له هو ان عناية القرآن بهذا القسم من العلم اشد من عنايته بالقسم الاول وان كان تعرضه للقسم الاول ودعوته اليه وتبيين معارفه في كسوته واطاره اكثر، والسر هو ما مر مسبقا في مقدمة الجنة الرابعة من الميزبين هذين القسمين من العلم، (مضافا) الى ان القرآن - نفسه - علم حضوري ووحى شهودى لاحجاب هناك بين قلب النبي وبين الواقع المشهود. لاحجاب صورة ذهنية ترى الموجود الخارجى ولا غطاء مفهوم ذهنى يحكيه ولا يمكن معرفة هذا القسم من العلم الا بنبله في الجملة لان العلم الحصولي قاصر عن بيان حقيقته

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٥٥

لأنه من وراء سحاب الصورة او من وراء غمام المفهوم. وكل واحد منهما وان كان حاكيا لما ورائه إلا ان المشهود هو غير المحجوب وان المعلوم بلا واسطة هو غير المعلوم معها، فلذا كان اعتداد القرآن وعنايته بهذا القسم من العلم اشد من اعتناؤه بالقسم الحصولي منه.

ثم ان العلم الحصولي بالموجود الخارجى وان كان بالنسبة الى العلم الحضورى حجابا إلا انه مقيسا إلى الجهل بالواقع نور وشهود، وكذا العالم بالواقع من وراء حجاب البرهان وان كان محجوبا واعمى بالقياس الى العالم به بلا واسطة المفهوم والشاهد له بلا غطاء الصورة الذهنية، إلا انه شاهد وبصير بالقياس الى الجاهل فلذلك نلاحظ القرآن الحكيم يوسم المؤمن بالبصير والسميع ويصف الكافر بالاعمى والاصم سواء أكان المومن آمن بالاصول شهودا او آمن بها برهانا، بل الثانى اكثر لصعوبة الاول وعسره والدليل على إطلاق النور على كلا القسمين قوله تعالى: .

قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون!

وقال سبحانه:

قد جائكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ!

وقال تعالى:

مثل الفريقين كالا عمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا نذكرون؟

١ - الانعام / ٥٠.

٢ - الانعام / ١٠٤.

٣ - هود / ٢٤.

١٥٦ المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام

والسر فى كون العلم بصيرة هو انه بنفسه نور و حضور وان كان مقيسا الى الخارج المحكى حصولا فلا اختصاص للبصيرة والشهود وما الى ذلك بالعلم الشهودى بعد ما كان الغالب فى المومنين هو الايمان بما جاء به الوحي بعد العلم به برهانا، ويشهد له قوله سبحانه بعد ما اقام البرهان على التوحيد والترغيب اليه والتحذير عنه.

افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحى كمن هو اعمى انما يتذكر
اولوالالباب!

اذا العلم يكون ما نزل الى الرسول (ص) حقا اعم من الحصول والحضورى، بل الاول هو الدارج والمألوف بين الناس فمن علم حصولا بالبرهان ان الوحي حق وآمن به فهو على نور من ربه وهو بصير ومن جهل به ولم يعلمه لا بالبرهان ولا بالعيان فهو اعمى وقدين الله سبحانه ان هذا العمى انها هو وصف القلب لالحسن البصرى كما قال تعالى:

افلم يسيروا فى الارض لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور^١.

فالنفس الانسانية التى من شأنها ان تدرك الحقائق حصولا او حضورا اذا عميت عليها ولم تدركها صارت اعمى واصم ولا خصوصية لذلك بالشهود القلبى والعلم الحضورى بل يعمه والعلم الحصولى الدارج، وان كان شموله للشهود القلبى وظهوره فيه اقرب وانم من شموله للعلم الحصولى. والى هذين القسمين من العلم قد اشار مولينا الرضا (ع) فى قوله (ع): ... «ولكن القوم

١- الرعد/١٩.

٢- الحج/٤٦.

١٥٧ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

تأهوا وعموا وصموا عن الحق، من حيث لا يعلمون» وذلك قوله عز وجل: «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا. يعني أعمى عن الحقائق الموجودة»^١. لان قوله (ع): «يعني أعمى عن الحقائق الموجودة.» عام بالنسبة الى قسمي العلم من الحصول البرهاني والحضوري الشهودي، كما وان قوله (ع): «وقد علم ذووا الالباب ان الاستدلال على ما هناك لا يكون الاجاهنا...»^٢ خاص بالنسبة الى الحصول بالبرهان ولكن لم يعبر فيه بالعمى والبصر.

والغرض ان العلم البرهاني وان كان حجابا مقيسا الى الشهود القلبي ولكنه نور و حضور في نفسه، فالعالم به بصير والجاهل به أعمى. لكن الكلام ههنا في العلم الحضوري وكونه نورا وكون العالم به شاهدا وبصيرا وكون الجاهل به غائبا وأعمى وما الى ذلك من المباحث الهامة الراجعة اليه.

وقد تبين في ثنايا المقال حقيقة العلم الحضوري واللازم ههنايان تحققة خارجا وإمكان نيله كذلك وما يترتب عليه من الآثار الحسنة المستفادة من كلمة مولينا الرضا (ع) فنقول:

اما تحقق العلم الشهودي خارجا فهو ان كل واحد منا يدرك ذاته ويشهد نفسه بلحجاب صورة ذهنية ولا غطاء مفهوم.

وذلك لان كل مفهوم ذهني حتى مفهوم «انا» فانه بالحمل الشائع اجنبي عن الذات وخارج عنها ويحمل عليه انه «هو» لا انا لأن ذات كل واحد

١ - التوحيد، ص ٤٣٨.

٢ - التوحيد، ص ٤٣٨.

منا موجود خارجي منشأ لغير واحد من الاثار الخارجيه وذلك المفهوم اى مفهوم كان حتى مفهوم «انا» امر ذهني لا يترتب عليه الاثر.

ولأن كل مفهوم ذهني حتى مفهوم «انا» امر كلي صالح للانطباق على كثيرين وذات كل واحد منا موجود عيني ممتنع الانطباق على كثيرين فلا يكون شئ من المفاهيم الذهنية هوعين ذاتنا فلا يكون العلم بها هو العلم بذاتنا فلا يكون العلم بذاتنا علماً حصولياً بل يكون العلم بها علماً شهودياً لاحجاب هناك بين العالم والمعلوم العيني ولا مجال هناك لإنقسام المعلوم الى مابالذات وما بالعرض كما كان له مجال في العلم الحصولي.

والمحصل ان البرهان والوجدان متطابقين على ان علم النفس بذاتها شهودي وان العلم هوعين المعلوم العيني، كما وانه عين العالم ايضا وانه لاحجاب هناك اصلاً وحيث ان العلم عين النفس الانسانية والنفوس الانسانية معادن كمعادن الذهب والفضة ولها مدارج شتى، مضافا الى كون كل نفس بمنزلة معدن خاص يكون بين مراتب تكونه وبلوغه حد الانصباب و خروجه عن بطن الارض الى ظهرها وتصفية جوهره عن ترابه المصاحب له واذا بته للتخليص وصياغته بصيغ خاصة تليق لان تزيين به... لذلك كان فيها وبينها تفاوت وتمايز، فالعلم الشهودي له مدارج متعددة وكل نفس يكون وجودها اقوى يكون علمها الحضورى بذاتها اشد وكل نفس يكون وجودها اضعف يكون علمها الحضورى كذلك حتى ينتهى الى حدهو في غاية الضعف يخالطه الجهل ويشوبه النسيان ويمتزجه الذهول، كما يأتي. وقد تبين في الكلام ان علم النفس بصورها الذهنية ايضا حضورى وان كان علمها بما تحكيه تلك الصور حصولياً اذ لو كان علمها بها حصولياً والعلم الحصول هو الصورة الحاصلة من الشئ لدى النفس يلزم ان يكون علم النفس لتلك الصور بواسطة علمها

١٥٩ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

بصور ذهنية أخرى فيذهب الامر الى ما لا نهاية... وهو محال، وعليه فعلم النفس بها حضوري كما يساعده الوجدان. ومن هذا القبيل ايضا علم النفس بقواها المدركة والحركة التي تستخدمها بعد العلم بها لجريان ما تقدم من توافق البرهان والعبان على كون العلم بذلك حضوريا. فزبدة المخض: ان علم النفس بذاتها وبقواها وبتشونها الذاتية حضوري يكون الموجود الخارجى بوجوده العيني مشهودا للعالم كما ان علم اى موجود مجرد عن المادة بذاته حضوري.

هذا هو القول الاجمالى فى تحقق العلم الشهودى فى الخارج وامكان نياله على الجملة - بالنزاهة عن الموانع الحاجبة عنه وبالبرائة عما يوجب الاختلال إلى الارض والاعتثار بزهرة الحياة الدنيا وبالقداسة عما يصدعن الحق وعما ينسى الآخرة من اتباع الهوى وطول الامل حسبما ياتى بيانه - انشاء الله تعالى - ...

واما الاثار الحسنة المترتبة عليه فهي ان العلم الشهودى عين المعلوم الخارجى المشهود بلا ما يميز بينهما لوجودا ولا حكما. فاذا كان المشهود غنبا عما عداه قائما بذاته فان العلم به ايضا غنى عن غيره، قيامه بذاته، كعلم الواجب سبحانه بذاته واذا كان المشهود مفتقرا الى غيره قائما بمبدئه فان العلم به ايضا كذلك فكما لا امكان لتحقيق ذلك المعلوم منقطع الصلة عما عداه، كذلك لا امكان لتحقيق العلم به منقطع الرباط عن العلم بمبدئه، وعليه فلا مجال لتوهم انقطاع العلم الشهودى بالفقير المحض والربط الصرف عن العلم الشهودى بالغنى المحض والمستقل الصرف، اذا المفترض ان العلم عين المعلوم و ان المعلوم عين الصلة الى المبدء فالعلم به عين الصلة الى العلم بالمبدء، لان جميع ما يرتبط بالمعلوم والمشهود او يرتبط هوالبه من العلل والمعاليل والمصاحبات فى العلية او المعلولية منحفظه الارتباط بالعلم الشهودى به.

وهذا يتجه معنى ماورد عن العترة الطاهرة فى غير مورد: من عرف نفسه

١٦٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

فقد عرف ربه.

وغاية المعرفة ان يعرف المرء نفسه، وكيف يعرف غيره من
يجهل نفسه، ومن عرف نفسه كان بغيره اعرف، نال الفوز الاكبر من
ظفر معرفة النفس، لا تجهل نفسك فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل كل شيء
اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه: من عرف نفسه تجرد، من عرف نفسه جلّ
امره...^١.

والخبير المتطلع يجد فيا ورد في الحث لمعرفة النفس نصوصا جمة، يستنبط من
ضم بعضها الى بعض ان معرفة النفس شهوديا ممكنة. وان الاثار الحسنى المرتبة
عليها كثيرة جدا. وان السئيات المرتبة على الجهل بها ونسيانها غير مغفورة. وان
الذي كان علمه بها اشد واعزز كان علمه بربه اكثر فاكثر... وما الى ذلك من
الاثار الحسنة والسيئة المترتبة على معرفة النفس وجودا وعدما.

ومن هنا يظهر أن ما افاده المحدث محمد بن الحسن العاملي - قدس الله
نفسه الزكية - من الوجوه الاثني عشر^٢ في بيان هذا الحديث المعروف وجرى
عليه الحجة السيد عبدالله شبر - رضوان الله عليه^٣ مما يمكن استفادتها منه بعنوان
التبيين او تفريع الآثار عدا الوجه الثاني عشر، حيث قال (قده): «انه علق محالا
على محال، اى كما لا يمكن معرفة حقيقة النفس كذلك لا يمكن معرفة حقيقة
الرب فيجب ان يوصف بما وصف نفسه تعالى والله اعلم»^٤. اذلا مجال لامتناع

١ - الفرر والدرر للآمدى، ج ٧، ص ٣٩١ - ٣٨٧.

٢ - الفوائد الطوسية، ص ٧٩.

٣ - مصابيح الانوار ١/ ٢٠٤.

٤ - الفوائد الطوسية، ص ٨٠.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٦١

معرفة حقيقة النفس لانها امر موجود مجرد يشهد ذاته، ان لم يحجبها الذنب كما ياتي بيانه ولا مجال ايضا للتلازم بين معرفة حقيقة النفس وبين معرفة كنه ذات الحق سبحانه. كما وان ما افاده (قده) بعنوان الوجه العاشر مما يمكن استفادته من قوله (ع): من عرف نفسه جاهدناها، فراجع.

وغرضنا ههنا هوان معرفة النفس بالعلم الحضورى ممكن وان العلم الحضورى عين المعلوم وان المعلوم العيني هنا عين الربط الى الله فالعلم الحضورى به عين الربط الى العلم الحضورى بالله سبحانه ولا ثمره اهم من معرفة الله. ولعله هو الهدف لكلمة مولينا الرضا (ع) فى قوله:

افضل العقل معرفة الانسان نفسه^١.

وذلك لأن العلم الكامل هو الذى يصحبه العمل الصالح ولا يفترقان حتى ينتهيا الى الهدف السامى بأن يصعد اليه العلم والاعتقاد ويرفعه العمل الصالح. ومن البين ان العلم الشهودى بالنفس وبخالقها القيوم لهايوجب الإيمان بما جاء به الوحي من الله ويلزم العمل الصالح. واما العلم الحصولى بالمبدء والتصديق البرهانى بالوحي والمعاد فهو وإن يوجب الايمان بذلك ويلزم العمل الصالح ولكن على نحو الايجاب الجزئى الذى لا يناقضه السلب الجزئى، فلذا يمكن ان لا يكون فى بعض الموارد ناجحا اصلا بل يصير حجة و^٢بألا على العالم المتيقن كما هو المستفاد من قوله تعالى:

أفرايت من اتخذاه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقليه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون^٢.

١- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠٢/١.

٢- الجاثية/٢٣.

١٦٢ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

لدلالته على عدم اللزام الضرورى بين العلم الحصى وبين الايمان، وعلى عدم التناقى بينه وبين الكفر والنفاق.

ثم انه قديذكر بعد بيان هذا الأصل العام موارد جزئية تشهد على عدم اللزام الوجودى بين اليقين الحصى وبين الإيمان والعمل الصالح، كما تشهد على عدم التضاد بين العلم الحصى وبين الانكار والطغيان، حيث قال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين^١.

لدلالته على ان اليقين الحصى بأن ما أتى به موسى آية مبصرة على نبوته قد لا يصحبه خضوع العقل العمل الذى به يعبد الرحمن ويكتسب الجنان. بل قد يخالفه ويتبدل هناك العدل بالظلم والتواضع بالاستعلاء كما كان شعارهم بومئذ «قد افلح اليوم من استعلى» فلا تلازم بين العلم القطعى الذهى وبين العمل الصالح لأن لكل منها مبدء خاصا يختص به اذ العلم مبدئه العقل النظرى المتكفل لإدراك الامور سواء أكانت مما تتعلق بالعمل كمسائل الحكمة العملية اولا يتعلق به كمسائل الحكمة النظرية.

واما العمل فمبدئه العقل العمل المدبر للطبيعة والبدن وهما فوتان اوشأنان من قوى النفس او شؤنها، كالمدركة والحركة اللتين هما من قواها اوشونها فى المرحلة النازلة، حبت انه يمكن ان يكون احديهما موجودة والاخرى معدومة او احديهما ضعيفة والاخرى قوية او كلتا هما ضعيفتين او فويتين كما هو المشاهد فى العالم العادل فانها بقوتها معاً فيه، والمشاهد فى الجاهل الظالم من ضعفها او عدمها معاً فيه، والمشاهد فى العالم غير العادل من وجود احديهما دون الاخرى

١٦٣ على بن موسى الرضا عليهما السلام والفرآن الحكيم ..

فيه، وهكذا المشاهد في المتنسك الجاهل والتفصيل في محله، والغرض هو إمكان افتراق العلم البرهاني عن العمل الصالح لأن لكل منها سببا يختص به وليس احدهما عين الاخر ولا كلاهما معلولا سبب ثالث، كما انه ليس احدهما معلولا تاما للاخر ولا الاخر سبب تام له، وان كان بينهما صلة على الجملة حسبما يظهر بالتأمل، وعليه فلا مجال للتلازم الضروري بينهما، كما قال سبحانه - ايضا -:

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون.^١

وقال سبحانه:

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون.^٢

لدلالة ذلك على ان انكار علماء اهل الكتاب ليس الامن باب كتمان الحق المعلوم بالبدئية كمعرفة الأب لابنه، معناه ان العلم برسول الله (ص) واوصافه الخاصة قد بلغ حد الحس والبداهة ومع ذلك انكروه و كتموا الحق حتى كأن لم يعرفوه اصلا، كما قال سبحانه:

ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون.^٣

يعنى تعالى انه لا وجه لانكارهم بعد ما كانوا عرفوا رسولهم فلا حجة لهم يوم القيمة يحتجون بها عند الله لأن هلاكهم كان هلاكا عن بينة كما ان حباة العلماء الصالحاء كانت حباة عن بينة، حيث قال تعالى:

١- البقرة/ ١٤٦.

٢- الانعام/ ٢٠.

٣- المومنون/ ٦٩.

لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة^١.

فالمحصل ان العلم الحصى لا يلزم العمل الصالح ولا يضاد العمل الطالح فليس هو افضل العلوم بل الافضل هو الذى اشار اليه مولينا الرضا (ع) وهو العلم الشهودى الذى يلزم العمل الصالح، ولا مجال معه للعمل الطالح وهو العلم الحصى بالنفس الذى هو عين العلم المرتبط بمشاهدة الرب سبحانه على قدر الطاقة البشرية، ولا مجال للذنب مع مشاهدة جماله وجلاله، كما لا مجال لشهود جماله وكبريائه مع الذنب حسبما يظهر لأن الذنب اعراض عن ذكر الله واخلاق الى الارض ولا مجال لشهود النفس مع ذهول الرب الذى هو سببها المقوم لها اذ لا وجه لشهود المعلوم مع الغفلة عن علته، ولعله لذلك قال سبحانه:

واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه^٢.

يعنى ان اتباع الهوى صده عن مشاهدة جمال الحق والارتفاع بها ووجب الاعراض عن آياته، وهذا اصل قرآنى لا اختصاص له بعصرون عصر، كما فى مجمع البيان عن ابى جعفر (ع) حيث قال:

الاصل فى ذلك بلعم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من اهل القبلة^٣.

وزبدة الخوض: ان الايمان بالله واليوم الآخران العمل الصالح الذى هو امتثال ما جاء به الوحي... المعبر عنها بالكلم الطيب المصاعد الى الله وبالرافع له، انما يتحققان بالعلم الشهودى بالنفس الذى هو شجرة طوى توى اكلها كل

١- الانفال / ٤٢.

٢- الاعراف / ١٧٥.

٣- نور الثقلين ٢ / ١٠٢.

على بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن الحكيم ١٦٥

حين باذن ربها وكفى بذلك اثرا هاما مترتبا عليه، وبما ان العلم الشهودى بالنفس غير منفك عن العلم الشهودى بالله الذى هو القيوم عليها وعلى كل نفس بما كسبت وعلى كل شئ بماله من الخواص والاثار فيترتب عليه، عدا ماتقدم من الاكثار الحسنى، العلم الحضورى بمظاهر الاسماء الالهية التى ملأت اركان كل شئ من السموات والارضين وكلما كان الروح قوية وكان العلم الشهودى به شديدا كان العلم الحضورى بقيومه شديدا.

ويتفرع عليه كون العلم بمظاهر الاسماء الحسنى ايضا شديدا وبالعكس فالامرفى معرفة الغيب والشهادة والاطلاع على السرائر والضمائر والعتور على ما كان وما يكون وما هو كائن يدور مدار معرفة الله سبحانه الدائرة مدار معرفة النفس شهودا فهى الطريقة المثل والسييل الأقوم للسائر فى الصراط والصائر الى الله سبحانه، اذ كما ان شهود المسبب المتقوم لا يمكن الا بشهود السبب القيم عليه، كذلك شهود السبب القيوم على كل نفس بما كسبت، وكذا المهيمن على كل شئ ظهر فى ساهرة الامكان لا ينفك عنه شهود معاليه ومظاهره.

وكما ان وجود النفس العارف ذاتها ربط محض وفقر صرف كذلك شهودها لبارئها ولا ثاره الصادرة منه فاقة بحتة الى علم خالقها وفانية فى علمه سبحانه بالاشياء فلا يلزم محذور اصلا لأن علم الانسان الكامل الذى عرف نفسه بلا حجاب وعرف ربه بلا غطاء بالاشياء الغائبة والحاضرة علم امكانى وفقر محض كاصل وجوده وكاصل علمه بنفسه وعلمه بخالقه، اذ العلم الذاتى والاصالى والمستقل لا يتصور فى مورد اصلا الا لمن هو وجود محض وعلم صرف وهو الله سبحانه. فالذى عرف نفسه شهودا تاما وعرف ربه بالطوق البشرى له ان يرى الاشياء كما هى. ولو كان نيلها كما هى ممتنعا لماسأله رسول الله عن ربه بقوله (ص):

١٦٦ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

رب ارنى الاشياء كما هي^١.

ويشهد له قوله:

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون^٢.

اذ الاستفادة منه هوان كل عمل يعمل به الانسان في السر والعلن فانه يراه الله تحقيقا لا تسويفا وهكذا رسوله والمؤمنون الذين اظهر مصدايقهم العترة الطاهرة (ع) كما ورد التطبيق عليهم منهم (ع) حيث قال عمر بن اذينة: كنت عند ابي عبد الله فقلت له:

جعلت فداك، قوله عز وجل: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون قال: ايانا عني^٣.

وقال عبد الله بن ابان الزيات - وكان مكيئا عند مولينا الرضا (ع) - له:

ادع الله لي ولاهل بيتي فقال (ع): اولست افعل والله ان اعمالكم لتعرض على في كل يوم وليلة قال فاستعظمت ذلك فقال: اما تقرأ كتاب الله عز وجل وقيل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون - قال هو والله على بن ابي طالب (ع)^٤.

وليس المراد هو الحصر في امير المؤمنين (ع) بل ذكره بعنوان كونه ابا الائمة (ع)، فلذلك قال: ... ان اعمالكم لتعرض على. وهذا الوجه هو المصحح لقول مولينا الرضا (ع) - على حد نقله الوشاء -:

ان الاعمال تعرض على رسول الله ابرارها وفجارها^٥.

١ - رسائل الشرف الرضى ج ٢/٢٦١.

٤ - تفسير نور الثقلين ٢/٢٦٤.

٢ - النوبة/ ١٠٥.

٥ - تفسير نور الثقلين ٢/٢٦٤.

٢ - تفسير نور الثقلين ٢/٢٦٣.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٦٧

وهذا المعنى هو المراد بشهادة الاعمال التي هي من شؤون الولاية للانسان الكامل وقد أفاده القرآن الكريم في مواضع، منها قوله تعالى:
 كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون، كتاب مرقوم يشهده المقربون^١.

ولا اختصاص للاعمال بالظاهرة منها بل هي الاعم منها ومن العقائد والادواف النفسانية التي قد اذن الله سبحانه لكرام الكاتبين الذين وكلهم بحفظ ما يكون من الانسان في الصحف النورانية المصونة عن المادة ولوازمها، و تلك الصحف محاطة بصحائف اخرى فوقها. حيث قال: ان كتاب الابرار لفي عليين. ثم فسر العليين بانه كتاب مرقوم فالكتاب في كتاب آخر فائق محيط به يشهد ذلك الكتاب المحيط، المقربون فلا يشذ عن شهودهم العلمى بصحائف الاعمال شئ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

و بهذا المضمون ما رواه مولينا الرضا (ع) عن ابيه عن آبائه (ع) قال قال رسول الله (ص):

ما ينقلب جناح طائر في الهواء الا وعنده نافيه علم^٢.

ومنه: ما كتب عبد الله بن جندب الى مولينا الرضا (ع) يسئله عن تفسير قوله تعالى:

الله نور السموات والارض... فكتب (ع) في الجواب: اما بعد فان محمدا كان امين الله في خلقه فلما قبض النبي (ص) كنا اهل البيت ورتبه فنحن امناء الله في ارضه عندنا علم المايا والبلايا واساب العرب ومولد الاسلام وما من فئة تضل مائة وتهدى مائة الا ونحن نعرف سائرها

١- المطففين / ٢١ - ١٨.

٢- مسند الامام الرضا (ع) ١ ص ٢٤٦، عن العيون ٢ / ٣٢.

١٦٨ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

وقائدها وناعقها وانا لنعرف الرجل اذا رايناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق
وان شيعتنا لمكتوبون باسمائهم واسماء آبائهم اخذ الله علينا وعليهم الميثاق
يردون موردنا ويدخلون مدخلنا ليس على ملة الاسلام غيرنا وغيرهم الى يوم
القيمة نحن آخذون بحجة نبينا ونبينا آخذ بحجة ربنا والحجة النور وشيعتنا
آخذون بحجرتنا...^١.

ولعل هذا النور هو العمود النورى الذى تقدم نقله عن مولينا الرضا (ع) انه
قال:

ان الله عزوجل قد ابدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع
احد من مضى الامع رسول الله وهى مع الائمة متا تسددهم وتوفقهم وهو عمود
من نور بيننا وبين الله عزوجل...^٢.

ولسنا الاكن بصدد البحث عن نحو علم الامام بالغيب اذ له مقام وحقل
خاص و دليل مخصوص، بل هدفنا ههنا الإيعاز الى جانب من الآثار المترتبة
على العلم الشهودى بالنفس.

والذى يهنا هنا هو تبين موقف الشهود القلبي لدى القرآن الحكيم وبيان
الطريق الهادية الية وذكر عقباتها الكؤدة والاياعاز الى شرائط طيها والى الموانع
عن قطعها والى ما يمكن علاجها والى الميزبين الشهود القلبي وبين التمثل
الشيطاني كى يستبان المرغوب اليه عن المرغوب عنه. فنقول: إن الله سبحانه
نور لا ظلام له اصلا فلا حجاب عليه ولا حجاب له، كما قال مولينا الرضا (ع):
حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لا حجاب بينه وبينها غيرها...^٣.

١ - تفسير الفمى ١٠٤/٢ .

٢ - مسند الامام (ع)، عن عيون الاخبار ٢/٢٠٠ .

٣ - مسند الامام (ع) ١٢٣/٢، عن عيون الاخبار ١/١٤٩ .

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٦٩

يعنى (ع) أنه لا حجاب له تعالى أصلا فلا ذاته حجاب لذاته ولا غيره حجاب له فهو يشهد ذاته كما يشهد غيره وإنما الحجاب بينه تعالى وبين الأشياء هو نفس الأشياء. فكما أن المضاف في الإضافة الإشرافية عين الإضافة لا غيرها، بمعنى أنه ليس بين المضاف والمضاف إليه شيء عدا المضاف فهكذا المحجوب في هذا الحجاب فإنه عين الحاجب المانع، فليس بينه وبين المحجوب عنه شيء عدا نفس المحجوب ومادام المحجوب متوجها إلى نفسه فهو في حجاب وكنان، وبأنه يقطع النفاته عن نفسه وإنابته إلى خالقه يرفع الحجاب بينه وبين باريه تعالى فيشاهده بحسب وسعه ثم يشاهد بنوره الأشياء كما قال مولينا الرضا (ع):

...أما بلغك قول الرسول (ص): اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.
قال: بلى، قال (ع): وما من مؤمن الأوله فراسة ينظر الله على قدر إيمانه
ومبلغ استبصاره وعلمه^١.

فالحجاب إنما هو التوجه إلى النفس بالنظرة الإستقلالية المعبر عنه بالهوى. لا التوجه إليها بماهى مرآة الحق فإن هذا الالتفات كما مر مسبقا إنما هو علم شهودى بالمسبب المتقوم الذى يمتنع انفكاكه عن شهود السبب المتقوم إذا المرآة بماهى مرآة لا تحكى الصورة المرئية فيها ولا تهدى إلا إليها فكلما كان التوجه الذى فيه هوى النفس قويا كان الحجاب غليظا، وكلما كان ضعيفا كان رقيقا وإلى هذا المعنى أشار مولينا الرضا في جواب الرجل الذى سئله بقوله:

فلم احتجب؟- أى الله سبحانه- قال (ع):

١٧٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

إن الاحتجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم فاما هوفلا يخفى عليه خافية في
آناء الليل والنهار، قال السائل: فلم لا تدركه حاسة البصر؟ اجاب (ع):
للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الابصار منهم ومن غيرهم ثم
هو اجل من ان يدركه بصر او يحيط به وهم اريضطه عقل...^١.

فلا حجاب الا الذنب فالمذنب هو المحجوب مادام على ذنبه، فن اذنب
واحتجب بذنبه ومات بلا اناية تخرق حجاب الذنب فهو في كنان العصيان
وحجاب الطغيان، كما قال سبحانه:

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون، ثم انهم لصالوا الجحيم^٢.

وحيث ان الذنب الذي اجتراحوه صار بعينه رينا على قلوبهم ولا ميز بين
الذنب المكتسب وبين المذنب الا في المفهوم إذا العمل القلبي قد صار بالملكة
عين العامل، يظهر أن مراده تعالى من قوله: «واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا»^٣. ليس هو الحجاب الخارجي
المنفصل عن قلوب هؤلاء الكفار المسدول عليهم، بل المراد هو هبوط قلوبهم ودفن
نفوسهم في قبور سيئاتهم المكتسبة التي صارت طبعها لها ورينا عليها كما قال
تعالى:

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في
القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا...^٤.

ولما كان الذنب حجابا والمذنب محجوبا عن الحق، اكّد سبحانه بانهم:

١ - التوحيد ص ٢٥٢.

٢ - المطففين ١٤ - ١٣.

٣ و ٤ - الاسراء / ٤٦ - ٤٥.

١٧١ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ...

ان تدعوهم الى الهدى لا يسمعون وترىهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون^١.

يعنى أنهم اهل الحس والنظر لا اهل الشهود والبصر، ويؤيد ما انتجه التدبر في القرآن من ان العمل السيئ حاجب، كلمة مولينا السجاد الذي هو من مستنطق القرآن حيث قال (ع):

وان الراحل اليك قريب المسافة وانك لا تحتجب عن خلقك، إلا ان تحجبهم الاعمال دونك...^٢

وهكذا قوله امامنا الكاظم (ع) في دعائه يوم السابع والعشرين من رجب حين انطلقوا به صوب بغداد:

... انك لا تحتجب عن خلقك... وقد علمت ان افضل زاد الراحل اليك عزم اراده يختارك بها وقد ناجاك بعزم الارادة قلبي^٣.

فالمحصل ان الرحلة الى الله سهلة المنال وقريبة المسافة لمن كان له زاد العزم وقوت الارادة وكانت مطيته التقوى وراحلته الطهارة عن مطلق الذنوب، لكنها عسرة المنال بعبدة المسافة لمن احتجب بالذنوب واستتر بالعصيان، اولئك ينادون من مكان بعيد^٤:

كذلك يطبع الله على قلب متكبر جبار^٥.

وان الحجاب منحصر في الذنب فما لا ذنب هناك فلا كنان. وما كان الذنب حقيراً ولمأً كان الحجاب رقيقاً. وان الطهارة من الذنب من اهم

١- الاعراف / ١٩٨.

٢- دعاء ابي حزة القمي.

٣- مفاتيح الجنان، اعمال اليوم السابع والعشرين من رجب.

٤- فضلت / ٤٤.

٥- غافر / ٣٥.

١٧٢ المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام

شرائط الشهود القلبي كما يعطيه قوله تعالى:

يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا...^١.

اذا المراد من هذا الفرقان هو النور الخاص الذى به ينكشف الحق ويزاح الباطل لا الفرقان العام المعبر عنه بالهداية العامة التى يستوى فيها المتقون والفجار لان الله سبحانه انزل القرآن هدى للناس بلاميز فيه بين اهل التقوى واهل الفجور.

... وكذلك هو المستفاد من قوله تعالى:

ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم^٢.

ومن قوله سبحانه:

وان تطيعوه تهتدوا...^٣.

حيث ان المراد من الهداية فى هذه الايات وما يضاهاها مما اشترط فيها الايمان والاطاعة هى الهداية الخاصة المعبر عنها بالاىصال الى المطلوب الذى هو لقاء الله وشهود اسمائه الحسنى وامثاله العليا لما ثبت ان لاحجاب هناك الا الذنب المفروض انتفائه بالتقوى والطاعة فنبغى للمؤمن فهم هذه الاسرار و ان يصبح ممن يحدّثه الله وملائكته، كما تفيد كلمة مولينا الرضا (ع):

انى احب ان يكون المؤمن محدّثا، قال: قلت وای سبب المحدث؟ قال

المفهم^١.

١ - الانفال / ٢٩.

٢ - التغابن / ١١.

٣ - النور / ٥٤.

٤ - مسند الامام الرضا (ع) ١/ ٢٦٠، عن العيون ١/ ٣٠٧.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والفران الحكيم ١٧٣

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون^١.

والصدر المشروح هو الصدر البصير، كما ان الصدر الضيق هو الصدر الاعمى عن الحقائق فمن اراد الله ان يشرح صدره يقول له: كن مشروحا، فيكون كذلك اذ لا اراد لارادته، كما لا مجال لصيرورة الصدر بصيرا وشاهدا بالفعل ولا يكون هناك امر موجود مشهود للصدر المنشرح وان لا يراه المصدر الضيق الاعمى. وهذا الشرح نور خاص الهى به ينظر المؤمن الى العالم من غيبه وشهادته. كما نقره في رواية مولينا الرضا (ع) عن آبائه عن علي (ع) عن النبي (ص) انه قال:

المؤمن ينظر بنور الله^٢.

ولعل هذا المؤمن المنشرح الصدر بالهداية الموصلة الى الهدف اكرم على الله سبحانه من ملك مقرب، كما روى مولينا الرضا (ع) عن آبائه عن علي (ع) قال رسول الله (ص):

إن المؤمن يعرف في السماء كما يعرف اهله وولده وانه لأكرم على الله من ملك مقرب^٣.

فاذا شرح الله صدر المؤمن السالك الى الله بقدمى الايمان والعمل الصالح وأراه من آياته وعلمه من لدنه علما خاصا لا يتعداه العمل ولا يتبدل بالجهل

١ - الانعام / ١٢٥.

٢ - مسند الامام / ٢٦١/١، عن العيون / ٢/ ٦١.

٣ - مسند الامام / ٢٦٠/١، عن العيون / ٢/ ٣٣.

١٧٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وذلك، لان الله وملائكته انما يعلمون المؤمن ويفهمونه مالا يعلمون
غيره، حيث قال سبحانه:

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان
بالمؤمنين رحيمًا^١.

لظهوره في اختصاص تصليّة الله وملائكته بمن آمن وأطاع وصدق
بالحسني، وهذه التصليّة هي الرحمة الخاصة الممهدة والمسهلة للسير الى الله. ولما
كان الراحل اليه تعالى قريب المسافة وتوقف تسهيل السبيل اليه على الاثار
والالتقاء وعلى الايمان بالعاقبة المحمودة لمن آمن واتفق، اشار سبحانه هاديا الى
ذلك بقوله:

فاما من اعطى واتفق وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى^٢.

وقال تعالى:

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور
بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم^٣.

وقال تعالى:

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين^٤.

وقديين سبحانه ان هذه الهداية الخاصة انما تتحقق بشرح الصدر وتوسعته
في قبال ضيق الصدر وتعميته، حيث قال تعالى:

١- الاحزاب / ٤٣.

٢- الليل / ٥ - ٧.

٣- المائدة / ١٦.

٤- العنكبوت / ٦٩.

١٧٥ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

ولا يغشاه النسيان ولا يغطيه السهو ولا يداخله الوهم ولا يتطرق اليه الخيال،
تنفجر الحكمة من قلبه على لسانه .

كما نلاحظه بصراح فيما روى مولينا الرضا (ع) عن آبائه عن علي قال قال
رسول الله (ص):

ما اخلص عبد الله عز وجل اربعين صباحا الاجرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه^١.

ولا خصيصة لللسان- انحصاريا- بل المراد هو انفجار ينابيع الحكمة التي هي
الخير الكثير من جميع شئون حياته الطبقة، سواء في ذلك اللسان وغيره. لأن
جميع القوى المدركة والحركة مجارى لفبض القلب وتابعة له في الكمال والنقص
فاذا صلح صلحت واذا فسدت فسدت ولا تأتمر الا بامر ولا تنتهي الا بنهي لانه
إمام لها اخذا وتركها. وهي امته كذلك ولا مجال لاستقلالها وغنائها عنه، كما
لا مجال لافتقارها الى غيره.

وما ورد من ان «لسان العاقل وراء قلبه وقلب المنافق وراء لسانه» ليس
هو معنى ان لسان العاقل فقط تابع لقلبه واما لسان المنافق فليس تابع له بل قلبه
مطيع له متأخر عنه ومؤتم به ايتام الماموم بامامه، بل المراد ان قلب المنافق
لكونه اعمى عن الحقائق لا يبصر الا هواه ولا يرى الا زهرة الحياة الدنيا وزبارجها
ولا يأمر الا بالمنكر ولا ينهى الا عن المعروف، كما قال سبحانه:

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون
عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فانساهم ان المنافقين هم الفاسقون^٢.

١- مسند الامام (ع) ١/ ٢٩٠.

٢- التوبة/ ٦٧.

١٧٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

غافلا عن خاتمة الامر بالمنكر وذاهلاً عن عاقبة النهى عن المعروف
وجاهلاً لثمرة سحب اليد عن التعاون على البر والتقوى وعامهاً عن نتيجة نسيان
الله سبحانه.

ثم انه يبدو له بعد ذلك سوء ما كسب وقبح ما اجترح فيذكر حينذاك
سوءة صنعه وحاق به ما كان يكتسب، فعلى اى تقدير وافترض يكون اللسان
مطلقاً وراء القلب ومؤتمراً به، كما ان سائر الاعضاء ايضا كذلك وهذا العبد
المخلص لله الذى اوتى الحكمة التى رأسها مخافة الله هو الذى احياه الله وجعل له
نورا يمشى به فى الناس فيكون صراطاً مشيماً، فى صلته مع الله ومع نفسه ومع
الناس لله وفى سبيل الله وعلى ما يرضاه الله ويرضاه الرسول فتنفجر ينابيع
الحكمة من قلبه على بنانه كما تنفجر منه على بيانه وتنفجر من قلبه على سمعه
وبصره كما تنفجر منه على لسانه وتنبع منه على سكوته كما تنبع منه على كلامه
لأنه يسكت عن الباطل وامضائه كما ينطق بالحق ويمضيه وتجربى منه على
قعوده كما تجربى منه على قيامه وتنفجر منه على صلحه وسلمه كما تنفجر منه على
حربه وجهاده لانه وجهه وجهه للذى فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً
وما كان من المشركين ان صلاته ونسكه ومحامته لله رب العالمين لاشريك له
وبذلك أمر ان يكون من المسلمين، ولانه يدور مع الحق حيثما دار.

ومن الممكن ان يكون من هذا الباب - وبنفس السبب - التصلية والتسليم
على الامام المعصوم (ع) فى جميع شؤنه. كما نقرئه فى زيارة آل ياسين:

السلام عليك يا تالى كتاب الله وترجمانه. السلام عليك فى آناء ليلك
واطراف نهارك... السلام عليك حين تقوم. السلام عليك حين
تقعد السلام عليك حين تقرأ وتبين. السلام عليك حين تصلى وتفتن.
السلام عليك حين تركع وتسجد السلام عليك حين تهلل وتكبر. السلام عليك
حين تحمد وتستغفر. السلام عليك حين تصبح وتمسى السلام عليك

على بن موسى الرضا عليهما السلام والفرآن الحكيم ١٧٧

في الليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى...^١.

والهدف هوان الاخلاص يوجب ويلازم تنور القلب الحاكم على القوى
والاجهزة، فكلما قوى الاخلاص تقوى نور القلب حتى ينتهى إلى سدره منتباه
وهو الإخلاص المحض الخاص للانسان الكامل المعصوم (ع)، وكلما ضعف
الاخلاص يضعف نور القلب واذا ضرب عصا الاخلاص على القلب المؤهل
المستعد انبجست منه العيون الخراة العلمية والعملية على القوى العلامة والعمالة
الصفائية عن آية كدورة، لأن التكدر من الشيطان الغوى المغوى، فاذا تذكر
العبد واخلص في ذكره و ذكر الله في نفسه تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول
بالغدو والاصال ولم يكن من الغافلين، ذكره الله تعالى كما وعده في قوله:

اذكروني اذ كركم^٢.

فاذا ذكره الله سبحانه لا يقتترنه الشيطان لانه لا يهجم على الانسان
الا عند الغفلة عن ذكر الله ولا يدهم الا لدى النسيان عن ذكره ونبذ كتابه وراء
ظهره. لانه - كما قال سبحانه:

انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم^٣.

انما يرى الغافل ويهجم عليه ويغويه عن سبيل الله.
واما المؤمن المتذكر فهو يراه ويشاهد هجومه وينظر اضلاله واعوانه
فيستعيز بالمعاد ويلتجى بالملاجاء وهو الله سبحانه، كما قال تعالى:
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون^٤.

١ - مفاتيح الجنان، ريادة صاحب الأمر (ع).

٢ - البقرة / ١٥٢.

٣ - الاعراف / ٢٧.

٤ - الاعراف / ٢٠١.

١٧٨ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

وقال تعالى:

واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه سميع عليم^١.

وقال سبحانه:

ولن تجدمن دونه ملتحدًا.^٢

فاذا ابصرو تذكر واستعاذ بالله الذى لا ملتحد ولا ملجاء دونه ينصره الله ويصونه ويتفضل عليه ولا اراد لفضله كما لا كاشف لضره، حيث قال تعالى: وان يمسك الله بضرفلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو العفور الرحيم^٣.

والمحصل أن المؤمن المتذكر يكون فى حصن الله فلا ينفذ اليه الشيطان لانه لا يستطيع ان يظهر عليه ولا يستطيع له نقبا حيث ان الشيطان مرجوم من الحصن ومبعد عن السد الذى بناه الله سبحانه من قدرته فاذا لم يكن للشيطان عليه سبيل ولا لقبيله اليه، طريق ولا خليه ورجله اليه مسير ولا جنوده اليه مسلك اصلاً يكون جميع ما يشاهده بالقلب ويسمع بالصدر ويرى بالبصيرة حقاً ويكون جميع ما يتمثل له فى المنام او اليقظة ربانيا او ملكيا لانفسانيا ولا شيطانياً اذا المفترض انه قد افلح بتركبة نفسه وذكر ربه ونجاعت الحية بتدسيتها وراض نفسه بالتقوى وهذها بالطاعة وحذرهما عن الطغوى فعرف جميع حبال النفس الامارة بالسوء او المسولة كما وعرف جميع مصائد وشرك الشيطان وقبيله واتقى من ذلك كله، اذا فلا بضاعة ورأسمال للشيطان ولا سلاح ولا عدة له حتى

١- الاعراف / ٢٠٠.

٢- الكهف / ٢٧.

٣- يونس / ١٠٧.

علي بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٧٩

يدخل به في شهوده كماله يكن له ذلك بالنسبة الى فكره الذهني وعلمه
الحصولي. والى ذلك يوعز قوله تعالى:

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ...^١.

ولا انحصار بذلك لرؤية الجحيم اذ المؤمن المتق الذي جعل الله له نورا
كما يرى النار ويسمع عوا اهلها كذلك يرى الجنة ودعوى اهلها وهي التسبيح
والحمد وتحمية اهلها وهو السلام. والسرفى ذكر الجحيم هو ان الغالب على الناس
هو الخوف من النار وان الموتر في طباع اكثرهم هو الانذار لا التبشير ولذلك
نلاحظ القرآن الحكيم يحصر شأن الرسول فيه رغم انه كان مبشرا كما كان
منذرا:

قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين^٢.

فن اخلص الله يشاهد الحق شهودا لا يشوبه الباطل ويرى الاسماء الحسنى
ومظاهرها من الرضا والرحمة ومظهرها وهي الجنة ومن السخط والغضب و
مظهره وهي النار ومن القبيض والبسط ومظاهرها ومن الاضلال والهداية
ومراياهما وهكذا... والسبب في ذلك كله هو ما مرمسقا من ان الله سبحانه
نور لا حجاب له اصلا وكذا اسمائه الحسنى لا كنان لها ولا غطاء عليها انما
الغطاء هو المسدول على اعين الكفار والمنافقين بالذنب، كما يفصح عنه قوله
تعالى:

وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا، الذين كانت اعينهم في غطاء عن
ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا^٣.

١- التكاثر/٧-٥.

٢- احق/٤٩.

٣- الكهف/١٠١-١٠٠.

١٨٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

لظهوره في ان أعين الكفار في غطاء عن ذكر الله لان ذكر الله في غطاء
فالقصور انما هو في أعينهم لا في ذكره تعالى، وهكذا قوله:
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد.

لأن له دلالة على ان القيامة ومشاهدها موجودة بالفعل وانها مصنونة
عن الغطاء، ببديانها مسدولة على بصر الكافر وسيكشف يوم القيمة فيصير
حديداً، ذاحدة نافذة يرى مظاهر الغضب ويسمع مشاهد السخط رغم كونه
اعمى عن مظاهر الرحمة ومشاهد الرضا وبيان ذلك كما يلي:
ان الذنب رين ينطبع به القلب فيصير محجوباً عن رؤية آيات الله في
الانفس والافاق فيصير اعمى كما قال مولى العارفين سيد الشهداء الحسين بن
علي (ع):

عميت عين لا تراك عليها رقيباً^٢.

فلأرى شيئاً من اسمائه الحسنى الجمالية ولا الجلالية، فبموته وانتقاله
الى الدار التي تبلى فيها السرائر وكانت سريره اعمى... يظهر باطنته ويحشر
-يومئذ- اعمى، كما قال سبحانه:
ونختره يوم القيمة اعمى^٣.

يعنى اعمى عن الحق وجماله ورحمته الخاصة، لذلك قال:

انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون^٤.

١ - ق/٢٢.

٢ - مفاتيح الجنان: دعاء الحسين (ع) يوم عرفه ص ٤٩٦ (ط. علمي ١٣٨٣ هـ).

٤ - المطففين/١٥.

٣ - طه/٢٤.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٨١

وحيث إن الاعمال تصير- هناك قلائد في الاعناق^١ وسلاسل
في الأرجل وإن الظالمين يصيرون حطباً للنار، كما قال:
وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً^٢.

وقوداً للنار، لذلك يرون انفسهم يسجرون في النار، قائلاً حينذاك:
ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً^٣.

فهم رغم كونهم عمياً عن شهود الجمال والرحمة يصبحون مبصرين للنار
ولهيها وبالرغم من صممهم عن سماع كلمة الحق يبيتون سامعين لتغيظ النار و
زفيرها، كما قال تعالى:

إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً^٤.

وقال:

إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور^٥.

وذلك لانهم كانوا في الدنيا يستمعون هتاف الشيطان فقط وما كانوا
يستطيعون سماع الحق ولم يكونوا يبصرونه. فتطهر هذه الحالة لهم يوم القيمة فلا
يشاهدون جمال الرحمة ولا يسمعون كلام الله اذ لا يكلمهم الله ذلك اليوم تكليم
عناية وتشريف ولا ينظر اليهم نظرة رافة ورحمة لأن الله حرم الكلام والنظر
الخاصين على الكفار العُمى عن الحق والصُّم عنه، كما حرم الماء وغيره من

١- الصحيفة السجادية، دعاء ختم القرآن.

٢- الجن/١٥.

٣- السجدة/١٢.

٤- الفرقان/١٢.

٥- الملك/٧.

١٨٢ المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام

ارزاق الجنة عليهم، كما قال سبحانه:

ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء او
مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمها على الكافرين^١.

والمراد من التحريم هنا هو المنع التكويني دون النهى التشريعى،
اذ لا تشريع فى دار الجزاء ونشأة الحساب. وهذا التحليل يظهر عدم التناقى بين
ما يدل على ان هؤلاء الطغاة اللثام يحشرون يوم القيمة عميا صما، وبين الذى
يدل على رؤيتهم النار وسمعهم شهيقا لها وهى تفور، لما مر مسبقا من ان يوم
القيمة هو يوم ظهور الملكات والاخلاق وقد كانوا فى الدنيا بالقياس الى الحق
عميا صما ومقيسا الى الباطل مبصرين ومستمعين فتبلى هذه السريرة الخاصة
لهم ذلك اليوم وقد كانوا فى الدنيا كما حكى الله تعالى عنهم:

وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وان
يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك با نهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا
يعملون^٢.

ولا غرو فى هذا التفكيك فى العلم الشهودى بان يشاهد
الانسان شيئا ولا يشاهد شيئا آخر ويسمع صوتا ولا يسمع صوتا آخر وهكذا كما
لا غرابة فى ذلك بالنسبة الى العلم الحصولى بأن يفهم الانسان شيئا ولا يفهم
شيئا آخر مقابلا له - مثلا - ان الذى استقر وعشش فى قلبه بعض المباني المادية
فانه لا يفهم الا الذى له صلة ومساس بالمادة، واما ما هو خارج عنها فلا يفهم
منه شيئا بل يراه اسطورة لا واقعية لها كما حكاه الله عنهم فى قوله:

١ - الاعراف / ٥٠.

٢ - الأعراف / ٧ - ١٤٧.

على س موسى الرضا عليهما السلام والفرآن الحكيم ١٨٣

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول...^١

وفى قوله تعالى:

هم قلوب لا يفقهون بها وهم آعين لا يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون^٢
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا اخرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم
ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهوائهم^٣.

وفى قوله:

واذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لئن شاء لقلنا مثل هذا ان هذا
الاساطير الاولين^٤.

الى غير ذلك من الايات الحاكية عدم فقههم ما هو الخارج عن نطاق
الحسّ والفائق على إطار المادة وان كانوا يدركون المحسوسات وما لها من الآثار
المادية الدائرة وكذا يدركون المعاني الخيالية التي لا واقعية لها في الخارج من
التشبيهات والاستعارات والكنائيات الشعرية التي احسنها اكلابها، وهؤلاء نوع
من الناس عبّر القرآن الحكيم عن مثلهم بالمختال الى الذي يحوم حول الخيال
ولا يدور مدار العقل الذي هو الحق، حيث قال سبحانه:
ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل
مختال فخور^٥.

فهؤلاء يدركون الاوهام المنسوجة بايدي الوهم والخيال ولا يدركون

١- هود/٩١.

٢- الاعراف/١٧٩.

٣- محمد(ص)/١٦.

٤- لقمان/١٨.

٥- الانفال/٣١.

١٨٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

الحقائق التي صنعها الله الذي بيده ملكوت كل شيء، فإن حكم في مورد بانهم لا يفقهون شيئاً فإن المراد من العموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي هو الشيء المعقول لا الأعم منه ومن الموهوم والمتخيل. فبذلك يستبان ما هو المقصود من قوله تعالى:

فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً^١.

أذا المراد من الحديث الذي لا يفقهه هؤلاء هو الحديث العقلي المؤسس بنيانه على البرهان اليقيني دون الأعم منه ومن القائم على شفا جرف الوهم والخيال. ومن هذا القبيل قوله تعالى:

هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزانة السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون^٢.

وذلك لأن هؤلاء رغم بلوغهم من الدهاء والنكراء حدا «إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء» حيث أنهم يحسبون أنفسهم عقلاء ويزعمون أن المؤمنين بالله واليوم الآخرهم السفهاء، ولكنهم - في ذات الوقت - لا يفقهون الحقائق الغيبية ولا يدركون ما هو خارج عن مصاف الحس ومنال الخيال ومدتهم الوهم.

والمحصل أنه كما أن التفكير في العلم الحصولي أمر ممكن بل واقع، كذلك التفكير في العلم الشهودي جائز بل واقع ضروري، لأنه عبارة عن ظهور سريرة التفكير الحصولي الذي كان في الدنيا محققاً لأن هذه الدار الدائرة دار عمل ولا حساب والدار الآخرة التي هي الحيوان دار جزاء وحساب

١- النساء/ ٧٨.

٢- المنافقون/ ٧.

علي بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٨٥

لاعمل فيها فجميع ماكان الانسان قداجترحه في الدنيا يظهر بنفسه في الاخرة
ولا امكان هنالك لكسب شى لم يجترحه، فاذا كانت باطنة الانسان في الدنيا
اعمى عن الحق وبصيرا بالباطل يظهر هذا الباطن يوم القيمة ويظهر الحق
الذى كان مرغوبا عنه له بصورة الجنة التى تجرى من تحتها الانهار او اعلى منها
كجنة اللقاء، ويظهر الباطل الذى كان مرغوبا فيه له بصورة النار التى تطلع
على الافئدة أدلى منها كالنار الجسمانية التى تحرق الجلود التى كلها نضجت
بدلت جلودا غيرها ليذوق صاحبها العذاب.
وهذا هو الذى يستفاد من قوله تعالى:

ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا^١.

اذليس المراد من العمى هنا هو العمى الحسى لأن الذى لا يغض بصره
عن المحارم ولا يتحرز عن خائنة العين فهو بصير لا اعمى، بل المراد منه هو العمى
العقلى لأن الذى لا يفقه ان لله خزائن السموات والارض، ولا يفهم ان بيده
ملكوت كل شى، وان الله يحيى ويميت، وانه تعالى يأتى بالشمس من المشرق،
وانه فالق الحب والنوى، وانه يعز و يذل، وانه يقبض ويبسط، وانه خالق كل
شى وعلى كل شىئ وكيل. فهو اعمى عن الحقائق رغم ابصاره المحسوسات،
وحيث ان الاخرة باطن الدنيا وان باطنة كل انسان فانها تظهر هنالك، فن
كانت باطنته اعمى فى الدنيا يظهر عماء فى الاخرة كما تقدم عن مولينا
الرضا (ع) فى قوله:

... ولكن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلك
قوله عز وجل: ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا يعنى
اعمى عن الحقائق^٢.

١٨٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

ثم انه قد مررنا مسبقا ان الحق سبحانه نور لا حجاب له ذاتا ولا يعتره الخافية عرضا وان النفس الانسانية موجود مجرد لا حجاب له بالذات وان يطرق عليه الغطاء بالعرض.

وان شهود النفس متقوم بشهود الحق سبحانه كما ان وجودها متقوم بوجوده تعالى.

وان شهود الحق موجب لشهود اسمائه الحسنی ومظاهره العليا.
وان الحاجب عن الشهود لكونه عرضيا يزول لاحالة وهو يوم ظهور الحق ظهورا تاما لا يبقى معه مجال للريب وموقع للحجاب كما قال سبحانه:
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين^١.

وان شهود الحقائق الخارجية ميسور للانسان الذي يشاهد نفسه ولا يغفل عنها بلا اختصاص لذلك بالانبياء، اذا النبوة وان كانت موهبة خاصة لا تنال غيرهم بها، وان الرسالة وان كانت عطية مخصوصة لا تنال سائر الناس حيث ان ذلك عهد الهى وهو تعالى: «اعلم حيث يجعل رسالته» كما وانها ايضا محددة زمانا ومنقطعة ابدامع بقاء شريعة الخاتم (ص) الا ان الولاية موهبة عامة لا انقطاع لامدها ولا نهاية لعدددها لان الله سبحانه هو الولي ولهذا الاسم مظهر في كل جيل وعصر ومصر.

وان الطريقة المثلى التى هى أقوم اتماهى معرفة النفس شهودا وأن الذى يبغيها عوجايتيه فى الارض وأن الذى يسلكها بلا اعوجاج لا يضل ولا يغوى. وان الحجاب المانع عن شهود النفس الملازم لشهود الرب هو الذنب لا غير، وقد وعدنا بيان ما هو الحجاب الاصيل وبيان ما هو الفلاح عن ذلك الحجاب فلزام علينا انجاز الوعد

على بن موسى الرضا عليها السلام والمرآة الحكيم ١٨٧

وعليه فنقول: إن حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة هو الحجاب عن ذكر الله والغطاء عن معرفة النفس وشهوها بحيث لا يجتمع حبا مع ذكر الله وكذا مع معرفة الله. حيث قال سبحانه:

فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى^١.

لدلالته على أن إرادة زهرة الحياة الدنيا تحجب عن ذكر الله، فالدنيا مصداق للذهول فطالبا لها ذاهل ليس بذاكر فإرادتها مساوقة للذهول عن ذكر الله فكل من أرادها فقد ذهل عن الله ونسبه وكل من نسي الله أنساه الله نفسه كما قال سبحانه:
...نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون^٢.

فكل مريد للحياة الدنيا فهو ذاهل عن نفسه وناسيها، وهكذا كل من نسي الله ينساه الله سبحانه عن الذهول والسهو، كما قال تعالى:
...نسوا الله فأنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون^٣.

وحيث أن النسيان لا يتطرق إلى من لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء كما قال سبحانه:
...وما كان ربك نسيا^٤.

فلا بد من أن ينتزع النسيان المنسوب إليه سبحانه من مقام الفعل لا الذات

١- النجم / ٣ - ٢٩.

٢- الحنر / ١٩.

٣- التوبة / ٦٧.

٤- مريم / ٦٤.

١٨٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

ولا الوصف الذاتي، ولما كان النسيان امراً عديمًا فان منشأه امر عديم - لا محالة - اذ لا ينتزع الامر العدمي من متن الامر الوجودي بما انه وجودي، بل ان كان ولا بد فن حيثية عدمية هو امساك الفيض الخاص وعدم ارساله حسباً تقدم بيانه، فاذا امسك الله فيضه الخاص ولم يرسله الى من اعرض عن ذكره واراد الحياة الدنيا والمفتراض انه لا مرسل غيره تعالى فيصير ذلك الغافل الناسي الساهي عن ذكره فاقداً للكمال وجودي. وقد بين القرآن بصراح ان فقد ذلك الكمال الوجودي هو العمى عن شهود الحق، كما قال تعالى:

ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى، قال رب لم تحترقني اعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك انتك آياتنا فنسيها فكذلك اليوم تمسى^١.

لظهوره في ان كون المعرض عن ذكر الله اعمى انما هو مصداق لنسيان الله وانه لو ذكره الله لصار بصيراً شاهداً، كما وان المعرض عن الدنيا والذاكر لله يصير مذكوراً لله سبحانه. وحيث ان الذكر والنسيان متقابلان، فاذا كان العمى منشأه لا انتزاع النسيان يكون البصيرة منشأه لا انتزاع ذكر الله عبده وبما ان المراد من العمى هنا هو عمى القلب يكون المراد من البصيرة هي هنا هو بصر القلب، فقلب الذاكر شاهد بصير، كما ان قلب الغافل الناسي اعمى في دور الشهود القلبي مدار ذكر الله وجهه ويدور المعنى القلبي مدار ذكر الدنيا وجهها المساوق لنسيان الله ونسيان النفس فيترتب على حيثيته العدمية وهو النسيان امر عديم هو العمى والصم وما الى ذلك، ويترتب على حيثيته الوجودية وهو ذكر الدنيا وجهها والحسين اليها امر وجودي هو العذاب يوم القيمة كما قال تعالى:

١٨٩..... على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون^١
وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وما ااكم النار وما لكم من
ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغررتكم الحياة الدنيا فالיום لا يخرجون
منها ولا هم يستعتبون^٢.

لظهور هذه الآيات في آن منشأ العذاب هو نسيان المعاد وهو الرجوع الى الله الذي
هو المبدء. وفي آن منشأ النسيان هو الاغترار بالدنيا واشراب حبها في القلب، وهذا
هو الامر الوجودي الذي يظهر بصورة العذاب يوم القيمة، كما وان ذكر الله وجهه امر
وجودي يترتب عليه عدا الامر الوجودي المتقدم وهو الشهود القلبي امر وجودي آخر
هو الرقاه والتنعم في جنة عرضها السموات والارض وفي آن منشأ الاستهزاء بآيات
الله هو الولع بذكر الدنيا الغرور وحبها الذي هو رأس كل خطيئة في الدنيا ومنشأ كل
عذاب في الآخرة، كما ان حب الله رأس كل صواب في الدنيا ومنشأ كل تنعم في
الآخرة... وإلى ذلك كله يوعز قوله تعالى:

ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون، قال اخسئوا فيها ولا تكلمون، انه كان
فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين، فاتخذتموهم
سخريا حتى انسوكم ذكرا وكنتم منهم تضحكون، اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم
هم الفائزون^٣.

لظهور هذه الآيات في بيان مبادئ تلك الاوصاف في الدنيا والآخرة...
وحيث ان الدنيا وزينتها وزهرتها وزبارجها... حباله الشيطان وانه بها يقتبض
الانسان، كما قال:

١ - السجدة / ١٤.

٢ - الجاثية / ٥ - ٣٤.

٣ - المؤمنون / ١١١ - ١٠٧.

...لازين لهم في الارض^١.

فلا بد وان يستند نسيان الله والغفلة عن ذكره والإعراض عن تولية الوجه شطره الى الشيطان، اذ النفس الأمارّة والمسولة وسائر شؤون النفس المعرضة عن ذكر الله تحت تدبير الشيطان الذي اتخذ الانسان المغتربا الدنيا وليا له وولى وجهه شطره وبايع معه، كما قال سبحانه:

استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون^٢.

فبتبيين ما مربك له يتبين هيئنا اصل آخر هو: ان المعرض عن ذكر الله الغافل عنه المولع بذكر الدنيا والمحب لها هو تحت ولاية الشيطان. كما ان المعرض عن الدنيا المطلّق لها المتذكر لله والمحب له تعالى تحت ولائه. كما قال:

الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور...^٣.

وقال:

ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين^٤.

وقال تعالى:

تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم^٥.

وحيث ان الامور الأخروية نتائج الملكات الدنياوية فكون الشيطان وليا لهؤلاء

١- الحج / ٣٩.

٢- المجادلة / ١٩.

٣- البقرة / ٢٥٧.

٤- الاعراف / ١٩٦.

٥- النحل / ٦٣.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ١٩١

في الآخرة إنما هو لكونه وليا لهم في الدنيا وبيده زمام ناصيتهم الخاطئة وهو المسطر عليهم والمعبود لهم .

ولبس المراد من ولاية الشيطان على الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واخذوا آيات الله هزواً واتخذوا المؤمنين سخرى هو الولاية المستقلة اذ لا استقلال لشئ في دار التحقيق الا لله الذي هو الحق بذاته ومنه الحق في فعالة، بل المراد ان الشيطان الذي هو بنفسه جند من جنود القهر الإلهي والاضلال الجزائي دون الاضلال البدائي المنزه منه الله: «الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى» هذا الشيطان يصبر ما مور الإغوائهم ولا زاعة قلوبهم وتعمية صدورهم واخراجهم من نور الفطرة الى ظلمة الكفر والنفاق، بعد ان زاغوا بسوء اختيارهم وضلوا عن سبيل الله بسوء فعالمهم واقبلوا الى الدنيا مدبرين عن الآخرة بسوء نياتهم واشتروا الضلالة بالهدى فارتحت تجارتهم الكاسدة بسوء اعمالهم فعندئذ يسلط الله الشيطان عليهم ليزداد سقم قلوبهم، كما قال سبحانه:

انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون^١.

وقال:

انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا^٢.

فالغرض هو ان التوحيد الالهي والربوبية المطلقة التي لله رب العالمين لا تدع مجالاً لان يستقل شئ في امره سواء في ذلك الشيطان وغيره، بل جميع ما في السموات والارض عبد داخر له تعالى وجند خاضع لديه ولكن الله سبحانه قدير بسل ملكا ليخرج عبده الصالح من اي ظلمة محتملة الى النور دفعا اورفعا. وقدير بسل شيطانا

١ - الاعراف / ٢٧.

٢ - مريم / ٨٣.

ليستولى أمر عبده الطالح بعدما امهل له غير مرة وفتح لوجهه ابواباً من التوبة والانابة والاسلام....

والمحصل أنّ الولي المطلق الذي لا شبهة له في ولايته ولا شريك له في سلطنته ولا نذله في سيطرته ولا مثيل له في هيمنته - وعلى الجملة - الولي الذي ليس كمثل شئ بالضرورة الازلية... انما هو الله سبحانه وأنّ محور التوبة ومدار السيطرة هو النفس لا غير الله ولها ليخرجها من الظلمات إلى النور بالتزكية، والشيطان ولها كى يخرجها من النور إلى الظلمات بالتدسيس والتخيب وأنّ اس رقى النفس هو شهودها القلبي، الطاهر عن دنس التمثل الشيطاني وبنیان هبوطها وهبوطها هو العمى القلبي المشوب بالمغالطة الفكرية او التمثل الشيطاني في المثال المتحصل بها وأنّ الموعد الوحيد للتضارب والسباق والانتصار بين الحق والباطل هو مسرح النفس ولا همّ وشأن للشيطان سوى اغوائها، كما وان العناية الخاصة الالهية إنما هي منعطفة نحو هدايتها وتركيتها وعليه فان الاساس والقطب هو النفس لا غير لان جميع الشئون المدركة والمحركة تابعة لها، كما وان جميع ما هو خارج عنها تابع لها.

وحيث أنّ النفس هي النقطة المركزية للسعادة والشقاوة.. حث القرآن العلمى والقرآن العيني على معرفتها ومعرفة ما يصلحها وما يفسدها وحرصاً على تهذيبها وتجربتها عن التعلق والرباط بالطبيعة وحذرها عن الذهول والنسيان وانذرها عن الطغوى والعصيان وأمرها بالتقوى والايمان.. واليك جانباً مما في القرآن العلمى وبعضاً مما عن القرآن العيني ذى النفس المطمئنة الراضية المرضية الراجعة الى لقاء بارئها الدخيلة في عباده المخلصين وفي جنته الخاصة، لكى يستبان بذلك لزوم الاهتمام بمعرفة النفس ويمتاز به الشهود القلبي الحق المرغوب اليه عن التمثل الشيطاني الباطل المرغوب عنه. قال سبحانه:

يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله

مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون^١.

فالذى تفيدنا الآية الكريمة هو ان الانسان سالك الى الله وصائرا اليه ولا بد للسالك من الطريق، كما ولا بد له من الغاية والهدف. اما الطريق فهي النفس. واما الغاية فهي جنة اللقاء ولا طريق لها الا معرفة النفس وتركيتها ولا غاية للنفس الا لقاء بارئها، ولذا اهتم به المحققون من القدماء وغيرهم في كتبهم الممتعة المرموقة وكذا في سيرهم الطاهرة عن رجس الطبيعة.

ولقد كفانا في العرض لهذا الموضوع القيم سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي (قده) في كتابه الممتع «الميزان في تفسير القرآن» في موارد عديدة سيما فيما ذيله لايتنا المبحوث عنها وكذا في سائر تصانيفه الثمينة لا سيما رسالته المعمولة في الولاية... ومعه لا مجال للإسهاب في ذلك، عدانقل بعض ماورد في النفس مما لم تتح الفرصة لسيدنا الاستاد (قده) لان يتعرض له او انه (ره) رأى فيما نقله غنية عما لم ينقله. ومهما كان الأمر فان القرآن العيني - اى الانسان الكامل المصنوع - لما كان بنفسه قد سلك هذه الطريقة الوعرة التى هى احد من اى سيف قاطع وادق من ادق الشعريات والمناشير وبلغ بغيته وصار بنفسه إماماً لاى سالك رآه ان يسلك طريق النفس وقوة لاى سائر عزم ان يسير مسيرها واسوة لاى مرتاض اراد ان يروض نفسه بالتقوى...

فانه لزام علينا نقل جانب مما صدر عن صدره المنشرح وقلبه الشاهد ولسانه الناطق بالحق... فقد قال مولينا الرضا (ع):

من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف امن، ومن اعتبر ابصر،
ومن ابصر فهم، ومن فهم علم. وصديق الجاهل في تعب. وافضل العقل معرفة
الانسان نفسه^٢.

١- المائدة / ١٠٥.

٢- مسند الامام الرضا (ع) ١/ ٣٠٤ - ٣٠٢، عن البحار ٧٨/ ٣٤٥ - ٣٥٠.

وفي «الغرر والدرر» للآمدي عن مولينا امير المؤمنين (ع):

الاشتغال بهذيب النفس اصلح، من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل، من لم يهذب نفسه فضحه سوء العادة^١.

الغفلة اضر الاعداء، الغفلة شيمة النوى، دوام الغفلة يعمى البصيرة، بينكم وبين الموعظة حجاب من الغفلة والغفلة، من غلبت عليه الغفلات مات قلبه، ويل لمن غلبت عليه الغفلة فنسى الرحلة ولم يستعد^٢.

الفكر عبادة، الفكر جلاء العقول، التفكر في ملكوت السموات والارض عبادة المخلصين، بالفكر تنجلي غياهب الامور، صيام القلب عن الفكر في الآثام افضل من صيام البطن عن الطعام، من اسهر عين فكرته بلغ كنه هيمته، لا بصيرة لمن لا فكر له^٣.

الهوى شريك العمى، الهوى اله معبود، ان طاعة النفس ومتابعة اهويتها اس كل محنة ورأس كل غواية، ان اطلعت هواك اصمك واعماك وافسد منقلبك وارداك، دواء النفس الصوم عن الهوى والحمية عن لذات الدنيا، صلاح النفس مجاهدة الهوى، ردع النفس عن تسويل الهوى ثمرة النبل، ردع النفس عن الهوى الجهاد الاكبر، كم من عقل اسير تحت هوى امير، كيف يجد لذة العبادة من لا يصوم عن الهوى، لو ارتفع الهوى لانف غير المخلص من عمله، مغلوب الهوى دائم الشقاء موبد الرق، نظام الدين مخالفة الهوى والتزهر عن الدنيا^٤.

البقطة نور، لا تنجع الرياضة الا في نفس بقطة، اليقين نور، سبب الاخلاص اليقين، كفى باليقين عبادة ما اعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين، اليقين يشمر الزهد^٥.

الاخلاص اعلی فوز، العمل كله هباء الا ما اخلص فيه، عند تحقيق الاخلاص

١ - الغرر والدرر للآمدي - ٤٢٢/٧.

٢ - الغرر والدرر للآمدي ٩/٧ - ٣٩٨.

٣ - الغرر والدرر للآمدي ٦/٧ - ٣١٣.

٤ - المصدر ٤٢٩ - ٤٢٥.

٥ - الغرر والدرر للآمدي ٤/٧ - ٤٣٢.

تستير البصائر، من اخلص النية تنزة عن الدنيا^١.

حسن النية جمال السرائر، سوء النية داء دفين^٢.

الثقة بالنفس من اوثق فرص الشيطان، الثقة بالله افضل عمل^٣.

الذ كر نور العقل و حياة النفوس و جلاء الصدور، استديموا الذ كر فانه ينير القلب و هو افضل العباد ة، ذ كر الله جلاء الصدور و طمأنينة القلوب، عليك بذ كر الله فانه نور القلب، من ذ كر الله سبحانه احيى الله قلبه و نور عقله و له^٤.

لا عمل كالتحقيق و لا ينفع اجتهاد بغير تحقيق، لا سنة افضل من التحقيق^٥.

الدنيا مصرع العقول، اياك و حب الدنيا فانها اصل كل خطيئة و معدن كل بلية، ان النفس التي تطلب الرغائب الفانية لتهلك في طلبها و تسقى في منقلبها، ان من هوان الدنيا على الله ان لا يعصى الا فيها، ان الدنيا منتهى بصرا لا عمى لا يبصر مما ورائها، انك لن تلقى الله سبحانه بعمل اضر عليك من حب الدنيا، آفة النفس الوله بالدنيا، حب الدنيا يفسد العقل و يصم القلب عن سماع الحكمة، طلاق الدنيا مهرانة، عجيبت لمن عرف نفسه كيف يأنس بدار الفناء، كما ان التمس و الليل لا يجتمعان كذ لك حب الله و حب الدنيا لا يجتمعان، حب الدنيا صميت الاسماع عن سماع الحكمة و غميت القلوب عن نور البصيرة، من غلبت الدنيا عليه عمى مما بين يديه، هلك من استنام الى الدنيا و امهرها دينه فهو حيا مالت مال اليها، ينبغي لمن علم شرف نفسه ان ينزهها عن دنائة الدنيا، المؤمن من طهر قلبه من الدنيا^٦.

الشرعية رياضة النفس، لقاح الرياضة دراسة الحكمة و غلبة العادة، من

استدام رياضة نفسه انتفع^٧.

اذا احب الله عبدا اهمه حسن العباد ة، دوام العباد ة برهان الظفر بالسعادة،

١ - الغر و الدرر للآمدى ٣/٧ - ٩١.

٢ - الغر و الدرر للآمدى ٩/٧ - ٣٩٨.

٣ - الغر و الدرر للآمدى ٧/٣٩٩.

٤ - الغر و الدرر للآمدى ٧/٥ - ١٢٣.

٥ - الغر و الدرر للآمدى ٧/٧٧.

٦ - الغر و الدرر للآمدى ٧/١١٧ - ١٠٥.

٧ - المصدر ٧/١٤٦.

١٩٦ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

من قام بشرائط العبودية اقل للعتق^١.
 العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل، جمال العالم عمله بعلمه^٢.
 الصمت روضة الفكر، طوي لمن صمت الآمن ذكر الله، قد افلح التي
 الصموب، كن صموتا من غير عي فان الصمت زينة العالم وستر الجاهل^٣.
 الصمت بغير تفكر خرس^٤.
 افضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى وطماعها عن لذات الدنيا، جهاد النفس
 مهر الجنة، حاربوا هذه القلوب فانها سريعة العثار، ذروة الغايات لا يتألف الا ذووا
 لتهديب والمجاهدات، من عرف نفسه جاهدتها^٥.
 البطنة تحجب الفطنة، اذا ملى البطن من المباح عمى القلب عن الصلاح،
 كيف تصفو فكرة من يستديم الشبع، لافطنة مع بطنة، لا يجتمع الشبع والقيام
 بالمفترض^٦.
 التجوع انفع الدواء، تأدم بالجوع وتادب بالخضوع، نعم العون على اسر النفس
 وكسر عاداتها التجوع، نعم عون الورع التجوع^٧.
 عين المحب عمية عن معائب المحبوب واذنه صماء^٨.
 من نسي الله انساه الله نفسه واعمى قلبه^٩.
 افضل الذكر القرآن به تشرح الصدور وتستنير السرائر، ليكن سميع
 القرآن^{١٠}.

الأمل سلطان الشياطين على قلوب الغافلين^{١١}
 المؤمن نفسه اصلب من الصلد وهو اذل من العبد^{١٢}.
 البكاء من خيفة الله للبعد عن الله عبادة العارفين، البكاء من خشية الله ينير

١- الغرر والدرر للآمدي

٢- المصدر ٧/ ٢٨٠.

٣- المصدر ٧/ ٢٠٥ - ٦.

٤- المصدر ٧/ ٣١٣.

٥- المصدر

٦- المصدر ٧/ ٣٦ - ٣٧.

٧- المصدر ٧/ ٥٠ - ٤٩.

٨- المصدر ٧/ ٥٧.

٩- المصدر ٧/ ٣٨٠.

١٠- المصدر ٧/ ٣٢٢ - ٣٢٠.

١١- المصدر ٧/ ٢١.

١٢- المصدر ٧/ ٢٦.

على بن موسى الرضا عليه السلام والقرآن الحكيم ١٩٧

القلب ويعصم من معاودة الذنب^١.

الحازم يقظان، الغافل وشنان، انما الحزم طاعة الله ومعصية النفس^٢.

من طال حزنه على نفسه في الدنيا اقر الله عينه يوم القيامة^٣.

ثمرة المحاسبة صلاح النفس^٤

القلب مصحف الفكر، انتباه العيون لا ينفع مع غفلة القلوب، اصل صلاح القلب استغاله بذكر الله، تكاد ضمائر القلوب تطلع على سرائر الغيوب، صوم القلب خير من صيام اللسان وصيام اللسان خير من صيام البطن، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان، قلوب العباد الطاهرة مواضع نظار الله سبحانه فن طهر قلبه نظرا اليه، لا يصدر عن القلب السليم الا المعنى المستقيم^٥.

رضاء المرء عن نفسه برهان سخافة عقله، رضا العبد عن نفسه مقرون بسخط ربه^٦.

ازهد في الدنيا يبصرك الله عيوبها ولا تغفل فلست بمغفول عنك، ان عقلت امرك او اصبحت معرفة نفسك فاعرض عن الدنيا وازهد فيها، بالزهد تثمر الحكمة، سبب صلاح النفس العزوف عن الدنيا، من زهد في الدنيا اعتق نفسه وارضى ربه^٧.

شر الفقر فقر النفس^٨.

اعجاب المرء بنفسه حق، اعجاب المرء بنفسه برهان نقصه وعنوان ضعف عقله^٩.

العقل رقى الى عليين، بالعقل كمال النفس، بالعقل يستخرج غور الحكمة، بالعقول تنال ذروة العلوم، حد العقل الانفصال عن الفاني والاتصال بالباقي، خير المواهب العقل، لا يزكو عند الله سبحانه الا عقل عارف ونفس عزوف، من عقل يثقف من غفلته وتأهب لرحلته وعمر دار اقامته^{١٠}.

الخوف جلياب العارفين، الخوف سجن النفس عن الذنوب وراذعها

-
- | | |
|-----------------------------|------------------------|
| ١- الفرر والدرر للآمدى ٣٧/٧ | ٦- المصدر ١٣٩/٧ |
| ٢- المصدر ٦٤/٧ | ٧- المصدر ٣١٢/٧ |
| ٣- المصدر ٦٥/٧ | ٨- المصدر ٢٣٢/٧ |
| ٤- المصدر ٦٦/٧ | ٩- المصدر ١٥١/٧ - ١٥٠ |
| ٥- المصدر ٣٢٦/٧ - ٣٢٥ | ١٠- المصدر ٢٦٣/٧ - ٢٥٦ |

عن المعاصي^١.

السجود النفساني فراغ القلب من الفانيات^٢.

صلاح السرائر برهان صحة البصائر^٣.

من عرف قدر نفسه لم يهنا بالفانيات^٤.

النفس الكريمة لا تؤثر فيها التكببات، من كرمت نفسه صغرت الدنيا في عينه^٥.

نزّهوا انفسكم عن دنس اللذات وتبعات الشهوات، ولوع النفس باللذات يغوى ويردى^٦.

المكور شيطان في صورة انسان^٧.

سياسة النفس افضل سياسة ورياسة العلم اشرف رياسة، صوم النفس امساك الخواص الخمس عن سائر المآثم، كلما ازداد علم الرجل زادت عنايته بنفسه وبذل في رياضتها وصلاحها جهدة ليس على وجه الارض اكرم على الله سبحانه من النفس المطيعة لامره، إن النفس لجوهرة ثمينة من صائها ورفعها ومن ابتدلتها وضعها، ان الحازم من قيد نفسه بالحاسبة وملكها بالمغاضبة وقتلها بالجاهدة، خير الامراء من كان على نفسه اميرا، ينبغي ان يكون الرجل مهيمنا على نفسه مراقبا حافظا لسانه^٨.

التوحيد حياة النفس^٩.

سوسوا انفسكم بالورع^{١٠}.

المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب^{١١}.

اجعل لنفسك فيما بينك وبين الله سبحانه افضل المواقيت والاقسام^{١٢}.

١- الغرر والدرر للآمدى ٩٧/٧.

٢- المصدر ١٥٤/٧.

٣- المصدر ١٥٨/٧.

٤- المصدر ٣١٩/٧.

٥- المصدر ٤٠١/٧.

٦- المصدر ٤٠٣/٧.

٧- المصدر ٤٠٧/٧.

٨- المصدر ٤١١/٧.

٩- المصدر ٣٨٩-٣٩٣/٧.

١٠- المصدر ٣٤٦/٧.

١١- المصدر ٣٥٨/٧.

١٢- المصدر ٣٦٥/٧.

على من موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم..... ١٩٩

حرام على كل قلب متول به بالدنيا ان يسكنه التقوى، خلوا القلب
من التقوى بملاؤه من فتن الدنيا، ملاك التقوى رفض الدنيا ^١.
لا تجعلن لنفسك توكلالا على الله ولا يكن لك رجاء الا الله ^٢.

والمتحصل من هذه النصوص النورية هو: أنّ النفس الانسانية جوهر مجرد
ذاتا عن المادة. وأنّ لها الرقي الى ذروة الملكوت وشهود الغيب... وأنّ الفكر
الصافي الذي هو من شئون قوتها النظرية جلائها. وأنّ الاخلاص والتقوى/
والزهد وما الى ذلك من الملكات الفاضلة التي هي من شئون قوتها العملية
صقالها وصفائها... وأنّ توحيد الله ذاتا وصفة وفعلا حياتها وأنّ ذكر الله آناء
الليل و اطراف النهار وكذا عند اقبال الليل وادبار النهار وعند طلوع الكواكب
وادبار النجوم نورها وسبب طمأ نيتها... وأنّ التحقيق في المعارف والاصول
والتحرز عن التقلب والجمود سنة فاضلة لا افضل منها ولا ينفع اجتهاد ومكابدة
بدونها. وأنّ معرفة النفس انفع المعارف وشرط لمؤنة غيرها... وأنّ الشريعة
السمحة السهلة باوامرها ونواهيها وبعزائمها ورخصها وبفرائضها ونوافلها
وبحلالها وحرامها وبآدابها وسننها وبحدودها وتغورها وبعباداتها ومعاملاتها
واحكامها وسياساتها وباصولها وفروعها... كلها جميعا رياضة للنفس، وماها
من رياضة بلا حاجة الى بدعة ولا فاقة الى ابتداء ولا احتياج الى تشريع لان الله
الذي جعل شريعته رياضة للنفس صرح بكمالها وتمامها، حيث قال تعالى:
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا ^٣.

١-الغرر والدرر للآمدي ٧/٤١٦-٤١٥.

٢- المصدر ٧/٤١٩.

٣- المائدة/٣.

٢٠٠ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

قال سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي (قده): لقد سمعت بعض مشايخي وقد سئل عن طريق معرفة النفس لِمَ لَمْ يبين شرعا وهو اقرب الطرق الى الله سبحانه، فقال -مدظله-: واتى بيان في الشرع لا يروم هذا المقصد ولا يشرح هذا الطريق^١.

وقال (قده) ايضا: «ونعم ما قال بعض اهل الكمال ان الميل من متابعة الشرع الى الرياضات الشاقة فرار من الاشق الى الاسهل فان اتباع الشرع قتل مستمر للنفس دائمى مادامت موجودة والرياضة الشاقة قتل دفعى وهو اسهل ايثارا^٢. وانّ تطبيق الدنيا وهى ما يشغل النفس عن لقاء الله مهر الجنة وثمن لقائه تعالى، وأنّ الصمت والجوع والسهر والذكر والحلوة المندوب اليها في الشرع معدات للنفس، لان يدفع الرين او يرفعه لتصير مرآة صافية يتجلى فيها الغيب وان جهادها والظفر عليها وتملك زمامها والتأمر عليها واسرها تحت قيد العقل الذى به يعبد الرحمن ويكتسب الجنان، هو الفوز الاكبر وأنّ الغفلة عن الله والإعراض عن ذكره سبحانه حجاب يمنع عن مشاهدة الحق واسمائه الحسنى وأنّ للقلب المتذكر بصرا وسمعا وذوقا يبصر ويسمع ويدوق بذلك ما هو الغائب عن الحواس. وأنّ للقلب الساهى حواس خيالية يستخدمها الشيطان ويتصرف فيها ويدرك او يحرك بها. كما قال امير المؤمنين (ع):

اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ
في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظرباعينهم ونطق بالسنتهم^٣.

والى بعض ما تقدم قد اشار مولينا الرضا (ع):

١- رسالة الولاية، الفصل الرابع.

٢- رسالة الولاية، الفصل الرابع.

٣- نهج البلاغة، الخطبة ٧.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم..... ٢٠١

ان للقلوب اقبالا وادبارا ونشاطا وفتورا فاذا اقبلت بصرت وفهمت واذا
ادبرت كلت وملت، فخذوها عند اقبالها ونشاطها واتركوها عند ادبارها
وفتورها^١.

وَأَنَّ للقلب التطلع على الغيب وما استتر في ضمير الغير كما قال مولينا
الرضا (ع) لحسن بن الجهم لما قال له (ع) لا تنسني من الدعاء قال (ع):

او تعلم اني انساك؟ قال فتفكرت في نفسي وقلت هو يدعولسبعته وانا
من تبعته. قلت: لا. لا تنساني. قال (ع): وكيف علمت ذلك؟ قلت: اني من
تبعتك وانك لتدعوهم فقال (ع) هل علمت بشئ غير هذا؟ قال: قلت: لا،
قال (ع): اذا اردت ان تعلم مالك عندي فانظر الى مالي عندك^٢.

وَأَنَّ الانعتاق عن رِقَّة الدنيا والتحرر عن زِيَّ عبوديتها انما يتحصل
بالعبادة لله. وَأَنَّ افضل انحاء العبادة ما يكون حبا لله لا خوفا من النار ولا طمعا
في الجنة. وَأَنَّ حب الله كالشمس المضيئة وحب الدنيا كالليل المظلمة
لا يجتمعان اصلا.

وَأَنَّ الهوى مانع عن الالتذاذ بالعبادة وحاجب عن الاتعاظ بالموعظة
الحسنة.

وَأَنَّ الذي قال ربى الله ثم استقام على التوحيد الربوبى تنتزل عليه الملائكة
وتبشره اما بالتمثل الملكى او بالقاء الفكر فى نفسه، وان الشياطين انما تنتزل على
كل افاك اثم اما بالتمثل الشيطانى او بالقاء الفكر الحصى فى ذهنه. ويجمع
كل ذلك قوله تعالى:

...وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم^٣.

١- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠٣/١ عن البحار ٣٥٣/٧٨.

٢- مسند الامام الرضا (ع) ٣٠١/١. ٣- الانعام ١٢١.

٢٠٢ المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

وَأَنَّ المِيزانَ للمَقْسطِ الفارقِ بينَ الشُّهُودِ القَلْبِيِّ الصَّحِيحِ وَالتَّمَثُّلِ الشَّيْطَانِيِّ
بِالباطِلِ هُوَ الْقُرْآنُ الْعِلْمِيُّ وَالْقُرْآنُ الْعَيْنِيُّ، اعْنَى الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ لَا يَفْتَرِقَانِ فِي مَوْرِدٍ
أَصْلًا وَيَدُورَانِ مَدَارَ الْحَقِّ حَيْثُمَا دَارَ، بَلِ الْحَقُّ هُوَ مُحَقِّقُهُمَا وَالباطِلُ هُوَمَا
أَبْطَلَاهُ، وَأَنَّ طَرِيقَ وَصُولِ الْقَلْبِ إِلَى الْحَقِّ وَمُسِيرَ نَزُولِ الْحَقِّ عَلَى الْقَلْبِ
هُوَ الْعِبَادَةُ وَالْإِسْتِغْفَارُ، كَمَا هُوَ الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِ مَوْلَانَا الرِّضَا (ع) لِابْنِ إِسْبَاطٍ:
أَنْتَ الْمَسْجِدُ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ فَرِيضَةٌ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ وَاسْتَخِرِ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةً
ثُمَّ انْظُرْ أَيَّ شَيْءٍ يَقَعُ فِي قَلْبِكَ فَاعْمَلْ بِهِ^١.

لأن ظاهرة كلامه أن القلب الطاهر يتطلع على الغيب وهو الخير الذي
سيقع بعد ذلك وإن طريق عثوره هو الصلاة وطلب الخير من الله تعالى
إذا لا يوجد الخير إلا من عند الله كما قال مولينا السجاد (ع) في دعاء السحر.
وَأَنَّ الْعَثُورَ عَلَى الْغَيْبِ تَارَةً يَتَحَصَّلُ فِي النَّوْمِ وَآخَرَةً فِي الْيَقِظَةِ، كَمَا كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ (ص):

إذا أصبح قال لأصحابه «هل من مبشرات؟» يعني به الرؤيا^٢.

وَأَنَّ رُؤْيَا غَيْرِ الْمَعْصُومِ كَيَقْظَتُهُ بِحَاجَةٍ إِلَى الْمِيزَانِ، لِاحْتِمَالِ الْخَطْأِ فِي
ذَلِكَ كُلِّهِ... وَإِنْ رُؤْيَا الْمَعْصُومِ (ع) كَيَقْظَتُهُ حَقٌّ وَقَسْطٌ مَصُونٌ عَنْ تَطَرُّقِ
الْخَطْأِ وَتَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ، كَمَا قَالَ مَوْلَانَا الرِّضَا (ع) لِلْمَوْشَاءِ:

رَأَيْتُ ابْنَ (ع) فِي الْمَنَامِ قَالَ (ع): يَا ابْنِي إِذَا كُنْتَ فِي شِدَّةٍ فَافْكَرْ أَنْ تَقُولَ
يَا رُؤُفُ يَا رَحِيمُ، وَالَّذِي نَرَاهُ فِي الْمَنَامِ كَمَا نَرَاهُ فِي الْيَقِظَةِ^٣.

١- مسند الامام الرضا (ع) ٣١٤/٢ و ١٨٠، عن التهذيب ٣١١/٣.

٢- الكافي ٩٠/٨.

٣- مسند الامام الرضا (ع) ٦٦/٢.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٢٠٣

وكما قال ايضا مولينا الرضا (ع) لحسن بن علي:

ان ابني كان عندي البارحة. قال قلت: ابوك؟ قال (ع): ابني. قلت
ابوك؟ قال (ع): ابني قلت: ابوك؟ قال (ع): في المنام ان جعفرًا كان يبيء الى ابني
فيقول يا بني افعل كذا يا بني افعل كذا. قال فد خلت عليه بعد ذلك قال (ع)
يا حسن ان منامنا ويقظتنا واحدة^١.

وَأَنَّ الآخرة غيب عن الحس والطبيعة لا يشاهدها الا الذي تنزه عن الدنيا
واخرج حبها من قلبه وطهره من درنّها وقدهه عن رينها، كما وان النائل بالجنة
والواصل اليها لا يكون الا من لا يريد علوا في الارض ولا فسادا. وَأَنَّ طلب الجمع
بين الدنيا والآخرة من خداع النفس وَأَنَّ شهودها لا يتيسر الا لمن تتزودها علما
بتحصيل اليقين وعملا بتحصيل التقوى الذين هما الزادان للمعاد... وَأَنَّ
العدوان على العباد بثس الزاد له. فلذا كان امير المؤمنين (ع) ينادى بقوله:
الا متزود لآخرة قبل ازوف رحلته^٢.

مشيراً إلى دنو القيامة وضيق وقتها، ولذا يقال لها الآزفة، كما نقرئه في
قوله تعالى:

ازفت الآزفة^٣.

كما ويعبر عنها بالساعة ايضا اذ من الطبيعي ان المسافر الذي ينزل
في طريقه ومسيره ليتروح لحظات لو علم اقتراب الترحال وضيق وقته استعدادها
بكل جد... ولعلّه لذلك قال سبحانه:

اقى امر الله^٤.

١ - مسند الامام الرضا (ع) ١/١٥٨.

٢ - الغرر والدرر للآمدى ٤/٧.

٤ - النحل ١/.

٣ - النجم ٥٧/.

حيث عبر عن القيامة بلفظة الماضي لقربها وضيق وقتها، كما افاده الراغب في مفرداته... وأنَّ شهود المعارف الالهية لاختصاص له بالانبياء (ع) الآفيا يرجع الى التشريع. اذ لكل ممن آمن بما جاء به النبي (ص) وعمل به واتقى واخلص لله ينكشف له الحقائق على قدر ايمانه وانسراح صدره. نأخذ مثالا: حارثة بن مالك، حيث قال رسول الله (ص) في حقه: «عبد نور الله قلبه». وكما ان الانسان اذامات بالموتة الطبيعية يتجلى له غير واحد من الحقائق، كذلك اذامات بالموتة الارادية وامات ذكر الدنيا عن قلبه واحيي عقله وامات نفسه و احيي قلبه بالعظة وامات هواه المردى ونفسه المسولة بالزهادة واسمع دعوة الموت... اذن قلبه قبل ان يدعى به وكان بالنسبة الى الموت كقارب ورد وطالب وجد، وذلك نفسه بذكرى الموت... يجعل الله سبحانه له فرقانا يفرق به بين الحق والباطل، وبين الجنة والنار، وبين الولي والعدو. ويتمثل له ذلك تمثل عيان لا يقتدر على شرحه البيان وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ومثل هذا العبد الصالح المتاسي بالعترة الطاهرة في سيرته هو الحري المؤهل لأن يكون مصداقا لصالحى مواليه، على حد تعبير امامنا الرضا (ع) بقوله:

من لم يقدر على صلتنا فليصل على صالحى موالينا يكتب له ثواب صلتنا
ومن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحى موالينا يكتب له ثواب زيارتنا^١

وانَّ للمعارف الالهية اسراراً محجوبة تحت حجاب الظواهر لا ينالها الا الذى ارتاض بالشرعية الغراء بلانقص ولا زيادة وحفظ ظواهرها وجعلها قنطرة اليها وممرّاً لها، فانه يصل اليها بما هو الميسور له. لان الانبياء (ع) وكذلك العترة الطاهرة (ع) يكلّمون الناس على قدر عقولهم، وليس المعنى انهم (ع) يقتصرون

١ - مسند الامام الرضا (ع) ٢/ ٢٥٤، عن كامل الزيارات ٣١٩.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٢٠٥

في بيان تلك المعارف بقدر خاص ويزهدون في النصح بل بمعنى أنهم يبتنون جميع ما يقرب العباد الى الله وإلى الجنة ويأمرونهم بها، كما ويبتنون جميع ما يبعدهم عن الله ويقربهم الى النار وينهونهم عنها.

فالمراد كما افاده سيدنا الاستاد العلامة الطباطبائي (قده)، هو أنّ هناك اموراً لا يبلغها فهم السامعين من الناس حيث قال (ره) ... التعبير ناظر الى الكيف دون الكم فيدل على أنّ هذه المعارف حقيقتها التي هي عليها وراء هذه العقول التي تسير في المعارف بالبرهان والجدل والخطابة ... ومن هنا يظهر أنّ نحو ادراك هذه المعارف بحقائقها غير نحو ادراك العقول وهو الادراك الفكري ... ثم نفل (ره) الاحاديث الناطقة بان حديثهم (ع) صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان وانّ الصعب هو الذي لم يركب بعد وانّ المستصعب هو الذي يهرب منه اذا روى، وللمتتبع ان يعثر على المزيد منه سيما برجوعه الى «بصائر الدرجات» ولنأت فيما يلي بنموذج له:

روى ابو الصلت الهروي قال، قال المأمون يوماً للرضا (ع):

يا ابا الحسن أخبرني عن جدّك امير المؤمنين (ع) باي وجه هو قسم الجنة والنار وباي معنى فقد كثّر فكري في ذلك؟ فقال له: الرضا (ع): يا امير المؤمنين ألم ترو عن ابيك عن آباءه عن عبد الله بن العباس انه قال سمعت رسول الله (ص) يقول: حبّ عليّ ايمان وبغضه كفر؟ فقال: بلى، فقال الرضا (ع): فقسمة الجنة والنار اذا كانت على حبه وبغضه فهو قسم الجنة والنار. فقال المأمون: لا باقاني الله بعدك يا ابا الحسن. اشهد انك وارث علم رسول الله (ص). فقال ابو الصلت الهروي: فلما انصرف الرضا (ع) الى منزله اتيت به فقلت له: يا بن رسول الله (ص) ما احسن ما احببت به امير المؤمنين. فقال

٢٠٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

الرضا (ع): يا ابا الصلت انما كلمته من حيث هو ولقد سمعت ابي يحدث عن آباءه عن علي (ع) انه قال رسول الله (ص): يا علي انت قسم الجنة يوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك^١.

لظهوره في ان الكلام الواحد وهو كلمة الرسول الاعظم (ص) لعلي (ع): «انت قسم الجنة والنار» يبين لكل شخص على حسب استعدادة. فالكلام واحد والافهام شتى، لان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة. فكل من اخلد الى الارض واتبع هواه فانه محجوب عن نيل البغية، وكل من تجافى عن دار الغرور واناب الى دار الخلود واستعد للموت قبل حلوله ورآه بعين يقينه فرآه قريبا دون ان يراه بعين أمله حتى يراه بعيدا، فهو الذي يشهد الملكوت ويرى الملك النازل عليه يسدوه ويؤيده ويبيشره بالأمن من الخوف ولا يكذب فؤاده مارأى ولا يزيغ بصره ولا يطفئ كل ذلك بما هو ميسر له. حيث ان الله سبحانه:

يرفع الذين آمنوا والذين اوتوا العلم من المؤمنين درجات.

فلا يتيسر لكل احد ان يشاهد ما يشاهده ذلك الاخر الذي هو مظهر الرفة. كما انه ليس لاحد ان يشاهد ما يشاهده النبي (ص) فيما اوحى اليه ما اوحى، ولكن لكل من طهر قلبه من ارجاس الرذائل كما اوصى بذلك مولينا امير المؤمنين (ع) في قوله (ع):

طهروا قلوبكم من الحسد فانه مكمد مضى^٢.

و:

طهروا قلوبكم من الحقد فانه داء....^٣

٢٠٣- الغرور الدرر للأمدى ٧/ ٧٣ و ٦٨.

١- عبون الاخبار ٢/ ٨٦.

على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم ٢٠٧

وخلاه عن الادناس وحلاه بالفضائل... فان له ان يشاهد الغيب ويراه
شهودا مصونا عن الخطاء، رؤية طاهرة عن الختل. وكل من لم يحصل له هذا
النصاب فان شهوده مشوب بالتمثل النفساني وروئيته ممتزجة بالتمثل الشيطاني
والمائر هو الثقلان اللذان لا يحوم حومهما هاجس نفساني ولا وسواس شيطاني لان
سمائهما ملائنة بالحرس الشديد والشهب الثاقبة، فأتى شيطان رام الاستماع
والإستراق فانه يجذله شهابا رصدا. فأتى تمثلا لا يوازيها فهو مدسوس وأتى
شهود لا يطابقهما فانه موضوع وحاشاهما ان لا يصححا شهودا هو حصيل التقوى
ولا يمضيا كشفاهو وليد الهدى ولا يصوبا الهاما هو ثمر الجهاد في الله حق جهاده.
لأنها هما اللذان وعدا السالكين بالشهود والسائرين بالكشف والمجاهدين
بالالهام. فهما اولى بانجاز ما وعده، واحق بتحقيق ما بشر به واحرى بتصديق ما
اخبر به.

ولعل الى بعض مامر من معنى الرؤية وان لنصوص اهل البيت (ع)
كالقرآن اسرازا محجوبة عن افهام الاوساط من الناس وان جهاد النفس نعم
العون على كشفها وان طلاق الدنيا مهر شهودها... اشار شيخ مشايخنا
الامامية محمد بن علي بن بابويه القمي (قده) في كتابه القيم المدون في التوحيد
ونفي التشبيه والجبر، باب ما جاء في الرؤية، حيث قال (ره):

«والأخبار التي رويت في هذا المعنى واخرجها مشايخنا -رضى الله عنهم- في
مصنفاتهم عندي صحيحة. وانما تركت ايرادها في هذا الباب خشية ان يقرأها
جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عز وجل وهو لا يعلم، والاخبار التي ذكرها
احمد بن محمد بن عيسى في نوادره والتي اوردها محمد بن احمد بن يحيى في جامعه
في معنى الرواية صحيحة لا يردّها الا مكذب بالحق او جاهل به والفاظها الفاظ
القرآن ولكل خبر منها معنى ينفي التشبيه والتعطيل ويثبت التوحيد وقد امرنا

٢٠٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

الائمة - صلوات الله عليهم اجمعين - ان لانكلم الناس الا على قدر عقولهم ومعنى الرؤية الواردة في الاخبار العلم وذلك ان الدنيا دارشكوك وارتباب وخطرات فاذا كان يوم القيمة كشف للعباد من ايات الله واموره في ثوابه وعقابه مايزول به الشكوك ويعلم حقيقة قدرة الله عزوجل وتصديق ذلك في كتاب الله عزوجل:

ولقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديدًا.

فعنى ماروى في الحديث انه يُرى اى يعلم علما يقينا. كقوله عزوجل:
الم ترالى ربك كيف مد الظل.

وقوله تعالى:

الم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه.

وقوله تعالى:

الم ترالى الذين خرجوا منهم ديارهم وهم الوف حذر الموت.

وقوله تعالى:

الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل.

واشبه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين واما قول الله عزوجل:
فلما تجلى ربه للجبل.

-
- | | |
|----------------|-----------------|
| ١- ق/٢٢. | ٤- البقرة/٢٤٢. |
| ٢- الفرقان/٤٤. | ٥- الفيل/١. |
| ٣- البقرة/٢٥٧. | ٦- الاعراف/١٤٢. |

٢٠٩ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

فعبناه: لما ظهر عز وجل بآية من آيات الآخرة التي يكون بها الجبال سراباً والتي ينسف بها الجبال نفساً تدكدك الجبل فصار تراباً لانه لم يطق حمل تلك الآية. وقد قيل انه بدا له من نور العرش^١.

والمستفاد من كلامه (قده) هو ان الرؤية في تلك النصوص المتبعة ليست هي رؤية العين الحاسة المادية، لنزاهة المرئى من المادة ولوازمها، كما و انها ليست هي العلم الحصى الذهنى، لانه مشوب بالشكوك والخطرات، حيث انه من وراء حجاب المفهوم وغيم المعنى الذهنى، بل المراد هي الرؤية القلبية المنزهة عن ائى حجاب حاجب، المبرأة عن ائى تشكيك، المصونة عن ائى ارتياب، المعصومة عن ائى خطر. ثم قال (ره): ولو اوردت الاخبار التي رويت في معنى الرؤية لطال الكتاب بذكرها وشرحها واثبات صحتها، ومن وفقه الله - تعالى ذكره - للرشاد آمن بجميع ما يرد عن الاثمة (ع) بالاسانيد الصحيحة وسلم لهم ورد الأمر فيا اشتبه عليه اليهم اذ كان قولهم قول الله - عز وجل - وامرهم امره، وهم اقرب الخلق الى الله عز وجل واعلمهم به - صلوات الله عليهم اجمعين^٢.

وانت - ايها القارئ الكريم - بعد التأمل فيا قدمنا من استحالة تعلق الرؤية الحسية بالله سبحانه مطلقاً ومن امتناع العلم الحقيقى به سبحانه من وراء حجاب المفهوم او غمام الصورة الذهنية وما الى ذلك اذ ليس شئ من ذلك شبيهاً به تعالى ولا مثيلاً له سبحانه حتى يحكيه ويطابق عليه كما هو المعتبر في العلم الحصى ولا يمكن نيل ذاته بهذا العلم الذهنى والآيلزم انقلاب الذهن

١ - التوحيد، ص ١٢٠ - ١١٩.

٢ - التوحيد، ص ١٢٢.

٢١٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

خارجا او الخارج ذهنا والكل ممتنع، فلا يتمكن من العلم الحقيقي به تعالى من وراء حجاب الاستدلال وسحابة القياس الحصول... وهكذا بعد التنبيه بما مر من استحالة احاطة العلم الشهودى به سبحانه مع امكان اصله بل ضرورته...

تعرف حقيقة المراد من كلام مولينا الرضا (ع) حين قال له (ع) ذو اليراستين: جعلت فداك اخبرني عما اختلف فيه الناس من الرؤية... فقال بعضهم يرى وقال بعضهم لا يرى. فقال (ع): يا ابا العباس من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله. قال الله تعالى: «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير»، هذه الابصار ليست هي الاعين انما هي الابصار التي في القلب لا يقع عليه الاوهام ولا يدرك كيف هو^١.

اذ المراد من الرؤية المنفية هنا هي الرؤية الحسية والوهميه دون الشهودية القلبية وان عبرني بيانه (ع) بالابصار التي في القلب.

ويؤيد ذلك ما رواه محمد بن الفضيل قال سألت ابا الحسن (ع):

هل رأى رسول الله ربه عز وجل؟ فقال: نعم. بقلبه رآه اما سمعت الله عز وجل يقول ما كذب الفؤاد ما رأى، اى لم يره بالبصر، ولكن رآه بالفؤاد^٢.

وهذا لا ينافي مع ما روى عنهم (ع) من تفسير رؤية الفؤاد برؤية نور العظمة تارة و رؤية الايات تارة اخرى بعد ما اسلفنا من انهم (ع) كانوا يكلمون الرواة والسائلين على قدر عقولهم (مضافا) الى ان نور العظمة انما هو نور الذات، لان

١- مسند الامام الرضا (ع) ١/٣٣٢. عن تفسير العياشي ١/٣٧٢.

٢- النوحيد، ص ١٢٢.

٢١١ على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم

العظمة من شؤون القدرة التي هي عين الذات.

ومما يصحح الرؤية القلبية بالمقدار الميسور هو ما رواه ابو بصير عن ابي

عبد الله (ع) قال: قلت له:

اخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟
قال: نعم وقد رآوه قبل يوم القيامة. فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم الست
بربكم. قالوا بلى، ثم سكت ساعة. ثم قال: وان المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل
يوم القيامة الست تراه في وقتك هذا؟ قال ابو بصير: فقلت له: جعلت
فداك فاحدث بهذا عنك؟ فقال لا، فانك اذا حدثت به فانكره منكر
جاهل ثمعني ماتقوله ثم قدر ان ذلك تشبهه كفر وليست الرؤية بالقلب
كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والمليحدون^١.

وبالجملة إن القلب لتجرده عن المادة صالح لشهود الملكوت لولا ان يحوم
الشیطان حومه فاذا حام حومه اعماه واصمه واخرسه، لأنه قرين سوء مأمور من
القهر الالهی لان يسدى الغطاء على عين قلب كل متكبر جبار لا يؤمن بيوم
الحساب، حيث ان الذي يتعمى عن شهود الايات المبصرة التي لاحجاب
عليها، ويتعاشى عن رؤية البينات التي لاسترة لها، وكذا يتصنع الصم
والخرس، يخرج بسوء اختياره عن الاسماء الجمالية، ويحرم منها ويدخل تحت
الاسماء الجلالية الحاكمة على من اشترى الضلالة بالهدى، فيصير مقرونا بوليّه
المضل له وهو الشيطان، كما قال سبحانه:

ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين^٢.

فيفزيده العمى والعشا باجتراح الذنوب. اذ العصيان موجب للعمى

والاصرار عليه موجب لزيادته.

٢١٢ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وقد ذكر مولينا الرضا (ع) بعض مصاديق الذنوب الموجبة للعمى في قوله (ع) جوابا عن سؤال محمد بن الفضيل، سئله عن قول الله تعالى: ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، فقال (ع): ذاك الذي يسوف الحج، يعني حجة الاسلام، يقول العام احج العام احج حتى يجيئه الموت^١.

وقد تقدم منه (ع) تطبيق ذلك على من كان أعمى عن الحقائق الموجودة. فالمستفاد من ذلك كله هو ان عمل لا يرضاه الله ورسوله فهو موجب للعشاء لانه مصداق تعاش عمدى و تعام قهرى عن ذكر الله فلا خصيصة لتسويق الحج، بل المدار هو التعاشى عن ذكر الله الذى يندرج تحته الاعتقاد والخلق النفسانى والعمل الجارحى. فلذا قد يطلق الذكر على الصلاة، كما فى قوله تعالى:

واذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله^٢.

أذا لصلاة بماهى عبادة خاصة مصداق لذكره تعالى وسبب لحفظه ولعله لذا قال تعالى لموسى عند ابتداء الوحي:

إني أناربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى، اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدونى واقم الصلاة لذكرى^٣.

وقال تعالى:

قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى^٤.

١- مسند الامام (ع)، عن تفسير العياشى ٣٠٥/٢.

٢- الجمعة/٩.

٣- طه/ ١٤ - ١٢.

٤- الأعلى/ ١٥.

على بن موسى الرضا عليها السلام والقرآن الحكيم ٢١٣

وحيث انهم (ع) كانوا يكلمون الناس على مبلغ عقولهم وقلوبهم التي هي الاوعية للعلوم والمعارف وخيرها اواعاها، نراهم (ع) (تارة) يتكلمون بامكان رؤية الله سبحانه قلبيا (واخرى) يصارحون بأن الرؤية إنما هي تتعلق بالشوا، ليس الا... كما وان الحجاب ايضا قد يفسر بالنسبة الى الثواب. لذلك فقد قال مولينا الرضا (ع) في قوله تعالى:

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة^١: يعني مشرفة تنظر ثواب ربها^٢.

وقال (ع) في قوله تعالى:

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون: ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده ولكنه يعني انهم عن ثواب ربهم محجوبون^٣.

وقد مر مسبقا منهم (ع) انه لا حجاب اصلا بين الله سبحانه وبين خلقه الا الخلق نفسه وليس وزان شهود الله بالقلب المنزه عن غيره هو وزان المجيء والذهاب ومالى ذلك مما يتصل بالانتقال او الانفعال. فلذا قال مولينا الرضا (ع): في تفسير قوله تعالى:

وجاء ربك والملك صفا صفا: ان الله تعالى لا يوصف بالمجئ والذهاب تعالى عن الانتقال، انما يعني بذلك: وجاء امر ربك والملك صفا صفا. وقال (ع) في قوله تعالى: سخر الله منهم. وقوله تعالى: الله يستهزئ بهم. وقوله تعالى: ومكروا ومكر الله، وقوله تعالى: يخادعون الله وهو خادعهم. قال: ان الله تعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا^٤.

١- الفباة/ ٢٣ - ٢٢.

٢- عيون الأخبار/ ١١٥.

٣- الوحيد ص ١٦٢.

٤- عيون الاخبار/ ١٢٦.

فأى وصف يلزم التنقل اويصاحبه الانفعال فلا بد وان ينتزع من فعل الحق سبحانه، لافارق في ذلك بين الانفعال المادى، كما فى الحادث الزمانى وبين الانفعال الذاتى، كما فى الحادث الذاتى المستوعب لجميع ماسواه تعالى، وذلك لان الانفعال انما يتحصل فى مورد الفقر الذاتى، اذالغنى المحض لايتأثر عن الغير اصلا، فلاانفعال، فلاشيئ من الغنى الصرّف بمنفعل، فلاشيئ - اذّا- من المنفعل بغنى، وعليه فلا بد وان يكون فقيرا ليكون له حاجة الى غيره وينفعل عن ذلك الغير-بطبيعته-....

الفهرس

الفصل الأول :

روضة : في العلوم التي تحوم حول القرآن نفسه ٧

الفصل الثاني

الجنة الأولى :

في بيان ما هو طريق معرفة القرآن ٤٦

الجنة الثانية :

في بيان المائز بين التدبر في القرآن وبين استنطاقه ٨١

الجنة الثالثة :

في تحضيض القرآن الى التحقيق وطرده الامنية ٩٤

الجنة الرابعة :

في ترغيب القرآن الى البرهان العقلي والشهود القلبي وترهيبه

عن القياس الوهمي والتمثيل الشيطاني ١١٠

إيضاح ١٤٧

بيروت - بئر العبد - الصنوبرة - مقابل سنتر داغر - بناية دياب مهدي

Tel: 823518 - 822167 - 601002

Fax: 009611601019

P.o. Box: 36/24

ت: ٨٢٣٥١٨ - ٨٢٢١٦٧ - ٦٠١٠٠٢

فاكس: ٠٠٩٦١١٦٠١٠١٩

ص.ب: ٢٤ / ٦٣

